سلسلة ضفاف 18

القبطان سعيد كنون

الجبل الأمازيغي

آيت أومالو وبلاد زايّان:

«المجال والإنسان والتاريخ»

تعريب: الدكتور محمد بوكبوط



منشورات الزمن

سلسلة ضفاف

العدد 18
نونبر 2014

المدير: عبد الكبير العلوي الإسماعيلي
الإخراج الفني والغلاف : طاقم الزمن
الطبع : مطبعة بني ازناسن سلا - المغرب
الإيداع القانوني :2014MO3531
ردمك : 978-9954-516-35-5
التوزيع : سبريس
العنوان : 153، شارع سيدي محمد بن عبد الله، رقم 7 - العكاري - الرباط
الهاتف + الفاكس : 44 98 29 37 5 212 00
البريد الإلكتروني : az_zaman@hotmail.com
manchourat@gmail.com

القبطان سعيد كنون

الجبل الأمازيغي
آيت أومالو وبلاد زايّان:

«المجال والإنسان والتاريخ»

تعريب: الدكتور محمد بوكبوط

منشورات الزمن

ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵜⴷⵍⵙⴰ



المملكة المغربية
وزارة الثقافة

«نشر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة»

هذا الكتاب :

من تأليف: القبطان سعيد كنون

العنوان: **الجبل الأمازيغي**

آيت أومالو وبلاد زايّان:

«المجال والإنسان والتاريخ»

إصدار: **مصلحة الشؤون الأهلية للمغرب**

عن: **منشورات لجنة أفريقيا الفرنسية**

باريس

1929

تقديم تعريب الجبل الأمازيغي :

دأب ضباط الشؤون الأهلية ومختلف موظفي الحماية الفرنسية، مدنيين وعسكريين، على إنجاز دراسات وتقارير ومونوغرافيات تناولت جوانب شتى من أحوال المغرب، لحظة مباشرة القوات الفرنسية إخضاع البلاد، عقب إبرام معاهدة الحماية.

وقد أدرك نظام الحماية منذ البداية أهمية "**المسألة الأمازيغية**"، فجند في سبيل مواجهتها ضباط الشؤون الأهلية بالأساس لجمع المعلومات عن الاتحاديات القبلية الأمازيغية وبنياتها السياسية وقدراتها القتالية ومجالاتها الجغرافية وأعرافها، وغير ذلك من المعطيات الكفيلة بتوفير أدوات اتخاذ القرار العسكري والسياسي.

وفي هذا الإطار، أولت مصلحة الشؤون الأهلية اهتماما خاصا لاتحادية **آيت أومالو** منذ اقتراب الجيوش الفرنسية من جبال **فزاز** الشامخة والعصية على الإخضاع؛ هذه الإتحادية التي كانت لها صولات في تاريخ المغرب الحديث تركت صداها في مصنفات المؤرخين والإخباريين القدامى.

والأكيد أن إدراك الفرنسيين لأمجادها وشدة مراسها هو ما استدعى إماطة اللثام عن الجوانب الإثنية والتاريخية والقانونية والاقتصادية والعسكرية لقبائل آيت أومالو، سعيا للنفاذ إلى "**اللغز المغربي**"، على حد تعبير العقيد هوئي في تقديمه لكتاب الجبل الأمازيغي.

وقد تصدى القبطان **سعيد كنون** – **الأمازيغي الجزائري** – لهذه المهمة في إطار اشتغاله **كضابط استعلامات** خلال إخضاع **زايّان** ، وكشاهد عيان ومشارك في صنع أحداث احتلال بلاد زايّان ووضع الخطط لاقتحام **آيت أومالو** في جبال الأطلس المتوسط وسفوح الأطلس الكبير الأوسط.

ومما يضفي أهمية كبيرة على كتاب الجبل الأمازيغي تناول سعيد كنون جوانب هامة من تقاليد آيت أومالو ومؤسساتهم السياسية القضائية، كما وجدها الفرنسيون. ولا تخفى أهمية هذه المعطيات من الناحية التاريخية أمام التحول الذي تعرضت له أحوال قبائل هذه الاتحادية من جراء التدخل الاستعماري.

كما نجد في ثنايا الكتاب معطيات قيمة عن عادات وتقاليد آيت أومالو في المأكل والملبس والمسكن، والضيافة وأعراف الثأر وغير ذلك من تفاصيل الحياة الاجتماعية، فضلا عن

تناول التنظيمات **الاجتماعية للاتحادية**، مثل الأسرة والقبيلة وأحلاف **تاضا وتافركانت**، وغير ذلك من ركائز مجتمع **أمازيغ آيت أومالو** في أواخر تلك المرحلة البطولية للمجتمع المغربي التقليدي.

إلى ذلك قدم كنون تراجم لأبرز أعيان وأشهر زعماء مختلف القبائل، في أسلوب رائع جمع بين الحكي والوصف الواقعي، يخيل معه للقارئ أنه أمام شريط مصور بتفاصيل حياة الناس اليومية في بداية القرن الماضي.

وقد أفرد المؤلف أحد أهم أقسام الكتاب "**لتهدئة" بلاد آيت أومالو**، فتعرض **لاحتلال خنيفرة** و "**لقضية لهري**" التي قدم عنها رواية كشاهد عيان لأطوارها، وكذا انضمام آمهروق وحسن ابني موحى أوحمو للفرنسيين، ثم خضوع أخيهما بوعزا، وكلهم أبلوا البلاء الحسن في خدمة "القضية الفرنسية" بالمغرب. ولعل الصفحات التي خصصها لبوعزا ابن موحى أوحمو الذي برهن عن ولائه للفرنسيين وتفانيه في إخضاع وترهيب المناوئين للسيطرة الاستعمارية كفيلة بتسليط أضواء على جوانب تستدعي التأمل حين التطرق لمواقف بعض المغاربة من الظاهرة الاستعمارية.

ولم يفته الخوض في خلافات الزعماء الزايانيين، وخصوصا الصراع بين حسن وأولعايدي، مبرزا طبيعة العمل السياسي الذي عول عليه الفرنسيون لتفكيك جبهة آيت أومالو وما تلاه من خضوع زايان، ليتم الانتقال إلى وضع خطط احتلال بلاد إيشقيرن وآيت إسحاق وآيت سخمان وآيت يحيي وملوية، مع ما رافق ذلك من عمليات المقاومة.

إن مؤلف سعيد كنون من صنف الكتابات الفرنسية التي تكتسي أهمية تاريخية لا تنكر، لكونه تناول أوضاع اتحادية أمازيغية ضاربة في منطقة استراتيجية إبان إحكام السيطرة الفرنسية على " **المغرب النافع**" حسب تقسيم **ليوطي** الشهير، ويكشف عن كثير من التفاصيل التي قلما ينتبه إليها لدى التعرض لمقاومة القبائل لزحف جيوش الاحتلال.

إجمالا، يمثل كتاب الجبل الأمازيغي مرجعا هاما يسلط الضوء على صفحات من التاريخ المعاصر لآيت أومالو عند احتكاكهم بجيوش الاحتلال ومؤسسات الحماية، مما يجعل تعريبه اسهاما في تعميم فائدته بالتعريف بآيت أومالو وحيثيات احتلال بلادهم وخلفيات المواقف المتباينة التي اتخذتها قبائل الاتحادية وأعيانها.

وختاما، ومن باب الاعتراف بالفضل لأهله، أتقدم بجزيل الشكر للصديق الأستاذ علي فالح وللطالب الباحث جمال شعوان على مساعدتهما القيمة في توظيب الصور ومعالجة الخرائط وتعريبها، والشكر موصول للأستاذ عبد الكبير العلوي الإسماعيلي، مدير منشورات الزمن، الذي يرجع له فضل نشر الكتاب وتيسير تعميم فائدته لعموم القراء والباحثين.

الدكتور محمد بوكبوط،

فاس في يونيو 2014

تنبيه
من الناشر الأصلي لكتاب الجبل الأمازيغي

يفيد مثل شائع منذ زمن في جبال الأطلس أن «كل أمازيغي ببندقيته يعتبر أَسَدا[1]»، إن هذا المثل صحيح اليوم أكثر من أي وقت مضى ونحن أمام إخضاع آخر معاقل العصيان والتمرد. لقد أدرك نظام الحماية بالمغرب أهمية المسألة الأمازيغية، فمنذ سنة 1914 نصّ الظهير الشهير لـ 11 شتنبر على أن « القبائل ذات الأعراف «البربرية» كانت وستظل تُسيَّر وتُدار بمقتضى قوانينها وعاداتها الخاصة تحت مراقبة السلطات».

ومنذئذ قام ضباط وموظفون وعلماء بدراسة إيمازيغن[2] وأنجزوا أبحاثا نُشرت في «الوثائق البربرية»[3] التي اختفت اليوم (1929)، وفي هسبريس[4] أو في سلسلتنا هاته. ومما يُبرز غنى تلك الأبحاث أن دراسة الأمازيغ وأعرافهم ولغتهم إنجاز فرنسي كانت الجزائر والرباط على الأخص مركزي إشعاعه.

وسعيا على نفس النهج نقدم في هذا المقام وثيقة من الطراز الأول، ذلك أن ملحقنا لهذا الشهر جاء دسما بصفة استثنائية رغبة منا في نشر بحث القبطان كنون عن أمازيغ الجبل وتهدئة بلاد آيت أومالو في مجلد واحد.

والقبطان سعيد كنون أمازيغي قبائلي من الجزائر ينحدر من أولاد عيسى بناحية ذراع الميزان، التحق بالجندية في يناير 1902 وعُيّن ملازما ثانيا (sous-lieutenant) في أكتوبر1912، وفي يونيو 1914 اعتُرف له بحقوق المواطنة الفرنسية فأُلحق بالنظام العسكري الفرنسي ورُقّي إلى رتبة قبطان في دجنبر 1916.

---

1 جاء التشبيه في النص الفرنسي بالمَلِك، والصحيح المتواتر لدى المغاربة هو أن كل شخص مسلح يشبه الأسد في الإقدام والجسارة. (المترجم)

2 استعمل كنون لقب إيمازيغن وكتبه Imaziren، رغم انسياقه عموما مع اللفظ المستعمل عهدئذ من طرف ضباط وباحثي عهد الحماية أي البربر Berbères (المترجم)

3 Archives Berbères، سلسلة مجلدات دأبت «لجنة الدراسات البربرية» بالرباط على نشرها على عهد الحماية، بناء على أعمال جيوش من الباحثين والضباط التابعين لنظام الحماية، وكانت مخصصة كما جاء في ديباجة مجلداتها « لدراسة أعراف وفنون ومؤسسات ولهجات الساكنة البربرية بشمال إفريقيا». ومعلوم أن الغاية من ذلك توفير المادة العلمية الكفيلة بفهم أفضل للأمازيغ قصد إحكام السيطرة عليهم وإخضاعهم (المترجم).

4 مجلة هسبريسHesperis ، أسست عقب اندماج مجلة «الوثائق البربرية» و«نشرة معهد الدراسات المغربية العليا» سنة 1921، حيث واصلت دراسة بلاد وساكنة المغرب كما جاء في غلاف عددها الأول. ولا تزال هذه المجلة تواصل صدورها بكلية الآداب الرباط تحت إسم هسبريس تامودا.

تشير بيانات خدمته أنه منذ 1910 إلى اليوم (1929) كان دائما في الميدان وخاصة بالمغرب حيث شارك في أكثر الوقائع صعوبة وقساوة، مثل معارك 1912 تحت أسوار فاس[5] ورتل خنيفرة وعمليات تادلا والحرب ضد عبد الكريم وغيرها، فنال بذلك ثناء رؤسائه إذ جاء في تنويه عسكري بشأنه بتاريخ 9 ماي 1924: «ضابط استعلامات من الطراز الأول قدم خدمات جُلّى لعملية التهدئة على جبهة زايّان، بفضل معرفته العميقة باللغة والأعراف الأمازيغية وميزاته العسكرية الرائعة المثلة في الإقدام والعنفوان. وبعد أن كان أحد أبرز صناع حركة الخضوع التي تمت في نهاية 1922 وخلال 1923 بفضل حسه السياسي الحكيم جدا، برز مرة أخرى خلال عملية تمشيط في ملوية العليا قادها ببراعة يوم 30 يناير 1924، فنجح دون خسائر تقريبا في مطاردة مجموعة هامة من المتمردين حتى قَدَم جبل توجّيت، مُرغِما إياهم على ترك تسع جثث في ساحة المعركة فضلا عن أسلحة وخيول».

شارك كنون أيضا في الحرب بفرنسا حيث جُرح في جبهة شامباني وموروتفيليي في 17 أبريل 1917، وهو إلى ذلك ضابط جوقة الشرف. وضمن الإطار الخاص بضباط الإستعلامات يشغل مرتبة رئيس مكتب من الدرجة الأولى ويزاول مهامه اليوم (1929) بمدينة صفرو.

لقد استُغلت تجربة القبطان كنون دائما بخصوص الشأن الأمازيغي في المغرب، وحظي رؤساؤه وزملاؤه بفرصة تقدير مزاجه وذكائه في دراسة القضايا الأهلية ومستوى العروض الواضحة والرصينة التي كان يكتبها، بحيث أعادت مجلة أفريقيا الفرنسية نشر أحد أبحاثه القيمة حول فرق الجيّاشة والعصابات (عدد 1927، ص. 483). أما بحثه الموسوم الجبل الأمازيغي فيسلط ضوءا كاشفا على المسائل الأكثر راهنية بأسلوب سنتذوق جماله البسيط والأخّاذ، حيث يتناول مختلف مظاهر آخر معاقل العصيان والتمرد وحياة الأمازيغ، هؤلاء الرجال الجبليون الخشنون أمثال موحى أوحمو زعيم زايان، خصمنا العنيد الذي لم يَرَه أي فرنسي حيّا، أو ابنه بوعْزّا وجيه الأطلس الأصيل الذي انضم إلينا بإخلاص بعد أن حاربَنا، وسقط من أجلنا بعد أن وضع مجده العظيم للحصول على وسام جوقة الشرف وصفة ملازم ثاني! ماذا سنبخله في حق هؤلاء الرجال حين تأتي بهم التهدئة جميعا إلينا في الأخير؟.

لقد تفضل العقيد هُوتُوHuot بإعطائنا على سبيل التقديم رسالة كان قد بعثها للقبطان كنون، وهي بمثابة شهادة في حق هذا الضابط ستزكيها شهادة قرائنا وتبرر المجهود الذي بذلته لجنة أفريقيا الفرنسية بنشر هذه الوثيقة كاملة دفعة واحدة، حيث يتجلى الجبل الأمازيغي على حقيقته لأول مرة.

---

5 إشارة إلى العمليات العسكرية الفرنسية ضد القبائل الثائرة والمحاصرة للعاصمة فاس عقب إبرام معاهدة الحماية في 30 مارس 1912 (المترجم)

رسالة تقديم
إلى القبطان كنون
فاس في 12 يناير 1929

صديقي العزيز،

طلبتَ مني أن أقدمك لقرائك، طيب. قبل سنة عندما أثرتُ ولأول مرة انتباه الإقامة العامة وانتباه كل رؤسائك إلى الأهمية التي تكتسيها مونوغرافيتك عن «بلاد آيت أومالو» كتبتُ ما يلي:

«يشرفني أن أنقل إليكم نسختين لعمل أنجزه القبطان كنون بعنوان «تهدئة بلاد آيت أومالو»، أي تهدئة منطقة زايان والضفة اليمنى لواد العبيد إجمالا. إن استقامة المزاج التي ينضح بها هذا العمل ستتأكد لكل الذين سيقرأونه بحسن نية، لأنه إذا كان قد كُتب وفق السلطة الخاصة التي تخولها للقبطان كنون أصوله القبائلية وإقامته الطويلة في الجبل الأمازيغي، فإنه يتميز أيضا بوفرة المادة التوثيقية وأصالتها وتواضع في الملاحظة لا يخلو من استقلال ونزاهة فكريين، وفوق كل ذلك يتسم بالرغبة في خدمة الصالح العام.

إنني أعترف بأنه حين سلّمني هذا الضابط دليله المونوغرافي[6] الضخم بدَتْ مني إشارةُ إحباط. فخلال مساري المهني الطويل قرأت عددا كبيرا من بطاقات القبائل والأبحاث الشاملة والمصاغة بشكل صحيح، والمستعمَلة بكثرة أثناء العمليات العسكرية للتهدئة، ولكنها كانت جد مملة.

مع ذلك بدأت قراءة «تهدئة بلاد آيت أومالو»، وبقدر ما كنت أقلب صفحاته كان اهتمامي يزداد، سواء حين يعيد المؤلف بواسطة ريشته بعث الوجود العريق والمغامر للمجموعات الزّايانية، أو يعيد تسطير تاريخ غزونا الشاق ووثيق الصلة بالتطور السياسي للجبل الأمازيغي. فلم أتمكن من عدم استحضار تجربتي الشخصية وأنا ضابط مبتدئ للشؤون الأهلية بالهضاب العليا الجزائرية قبل ست وعشرين سنة، كنت حينها أبحث عن مادة وثائقية وعن مرشد ودليل يفتح لي ألغاز هذا العالم الجديد والغامض والغريب بالنسبة لي. لحسن الحظ، أمام غياب دروس تحضيرية في تلك الفترة وُجِد رؤساء دوائر حنّكتهم

---

6 أطلق ضباط الشؤون الأهلية على هذا النوع من الأبحاث لفظ Notice ولم نجد مقابلا دقيقا لتعريبه، فاستقر الرأي على الدليل المونوغرافي بعد استشارة العديد من الزملاء، ويُقصد به بحث يتميز من حيث شكله وحجمه عن الجذاذة والتقرير والبطاقة. وهو بمثابة عرض مفصل جيد التوثيق والتحرير، موجه لإطلاع الضباط على مختلف جوانب حياة القبائل التي كلفوا بتسييرها. (المترجم)

التجارب كانوا قادرين على توجيه المبتدئين إلى بيبليوغرافيا أولية، وإرشاد خطواتهم الأولى والمتعثرة في الممارسة. وعن طريق التهام «رسائل العقيد پان» Pein والدُ مَن كان مُعلّمي والذي قتل سنة 1915 على الجبهة الفرنسية، و«تقاليد وأعراف عربية» لفيليو Villiot، تمكنت من ارتياد الإمتدادات الشاسعة للهضاب الجزائرية في بحر الحَلْفَاء حيث نِمْت تحت الخيمة العربية وأحيانا في الهواء الطلق وسط مخازنيتي(7).

إنني أعتقد أن مونوغرافية القبطان كنون ستكون خير مُعلّم ومدرِّب للضباط الشباب على التقاليد والأعراف الأمازيغية حين يُدعَون للعمل في بلاد زايّان. فالمادة الوثائقية الشاملة التي تتضمنها عن الجوانب الإثنية والتاريخية والقانونية والإقتصادية والقوة العسكرية لقبائل آيت أومالو ستَهُم كذلك قراء آخرين، مؤرخين وأساتذة وإدرايين وضباط وعلماء وكل من يبحث عن النفاذ إلى «اللغز المغربي» الذي لم نخترقه أو نفككه بعْدُ».

منذ كُتبت هذه الرسالة حصلتم على تنويه رسمي وفَتَح لكم صديقنا المشترك السيد أوكوست تيريي Auguste Terrier أعمدة نشرية لجنة أفريقيا الفرنسية الغراء، وهو ما لا نملك إلا أن نشكره عليه. أما من جهتي، فأضيف بأنه يقدم مرة أخرى خدمة كبيرة للبلد بجعل كل الذين يكلفون بمعالجة مشاكل التهدئة في الجبال المغربية يستفيدون من تجربتكم.

سأظل صديقكم القديم.

العقيد هُوئو Huot

7 يقصد جنوده المنضوين في طوابير المخزن (المترجم).

الجبــل الأمـازيــغي

أهدي هذا البحث للرفاق الذين سقطوا بشرف يوم 13 نونبر 1914 بلَهْري[8]، وإلى الرؤساء والضباط والجنود الذين عانوا من أجل غزو بلاد زايان الجميلة والحفاظ عليها وتنظيمها، هذا البلد الرائع أكثر من غيره، وإلى بوعْزّا ولد موحى أوحمو الذي أحَبّ فرنسا منذ أول اتصال ومات من أجلها، وإلى كل الفرنسيين -كبارا وصغارا- الذين لم ييأسوا من العِرق الأمازيغي والذين يجعلونه كل يوم محبوبا أكثر عن طريق التعريف به.

تنبيه (من المؤلف)

1/ لا يمكن للمرء أن يكون إداريا وقاضيا جيدا في البلاد الأمازيغية إلا إذا كان مُلمًا بالأعراف والتقاليد بشكل جيد، ولعل الأمْثَل هو أن يتوفر كل ضابط أو مراقب مقبل على العمل في البلاد الأمازيغية على مؤلَّف جامع لأعراف وقوانين منطقته يوضَع بتعاون مع لجْماعْت[9] ويكون مقبولا لديها باعتباره قانونا. غير أن الأمر يتعلق هنا بإنجازِ طويلَ النّفَس بدأ بالكاد وبشكل خجول. ورغم الإرادة الطيبة للحماية ولبعض المتخصصين في المسألة فإن لا شيء يسمح بانتظار نهاية سريعة لتخبطنا، مما يستوجب معالجة الأمر ليس بالتكوين الذاتي وحده فحسب، بل أيضا بنقل وتعميم /2/ كل المعلومات الكفيلة بالإسهام في نجاح العملية إلى رفاقنا وجيراننا وإلى السلطات المكلفة بمركزة تلك المعلومات ومراجعتها والتثبت منها.

وقناعة منا بفائدة هذه المساهمة التطوعية على تواضعها، فإننا قمنا بوضع «مجموع لأعراف وتقاليد آيت أومالو» سنعمّمُه في أقرب وقت آملين أن يقدم خدمات ملموسة لمسيِّري ومسؤولي إدارة البلد.

ونظرا لكون أعمالنا في هذه المنطقة وبالأخص الإدارة ومراقبة العدالة ستتأثر لمدة طويلة بالأحداث الأخيرة، فإننا نرى ضرورة تقديم البحث قيد التحضير في شكل وصف موجز للبلاد وملخص تاريخي وسياسي. فضلا عن ذلك، وبما أن الأمر سيتعلق يوما بعمليات في منطقة واد العبيد، نعتقد أنه أمر جيد وضع بعض المعلومات التي استطعنا جمعها خلال ست سنوات متوالية قضيناها في اتصال واحتكاك بالمنطقة رهن إشارة القيادة.

لقد تم إنجاز هذا القسم الأول من العمل بعيدا عن المنطقة المدروسة، اعتمادا على ذكرياتنا وحدها وبعض المذكرات الشخصية. لذا نلتمس العذر والصفح من الرفاق والرؤساء الذين سيقرأونه باعتبار الأحداث الواردة قد تم إيرادها بدقة متناهية.

على أي حال، سنُرضي طموحنا إن نحن نجحنا في جعل الضباط المدعوين إلى العمل مستقبلا في مّ الربيع وواد العبيد يتفادون ترددات البداية والأخطاء المتعمّدة أو العفوية لمخبريهم من الأهالي.

8 يقصد معركة لَهْري بخنيفرة حيث كبد مجاهدو قبائل زايان بزعامة موحى أوحمو القوات الفرنسية هزيمة قاسية. (المترجم)
9 يقصد المجالس التمثيلية للقبائل وعشائرها أي «الجماعة» (المترجم).

3/ القسم الأول

البـــلاد
ملاحظات عامة:

تشمل البلاد المدروسة حسب تصنيف الأهالي[10] ست مناطق مختلفة واضحة الحدود: آزاغار ومّ الربيع[11] وجبل زايان والدير وملوية وواد العبيد والأطلس الكبير أو معسكر حسب التسمية الشائعة.

فآزاغار هو منطقة الإنتجاع الشتوي بينما يمثل جبل زايان مجال انتجاع الجبال الواقع بين مَ الربيع وسَرُو، أما مَ الربيع وملوية وواد العبيد فتُنسب إلى الأنهار التي ترويها، بينما سُمي الدير كذلك للشكل الصدري للجبال التي تشكله. وأما معسكر فيعني القمم الأكثر ارتفاعا في سلسلة الأطلس الكبير في القطاع الذي يعنينا.

تتمثل النقاط المركزية والمهمة في هذه المناطق فيما يلي: سيدي حْساين بالنسبة لآزاغار وخنيفرة بالنسبة لام الربيع وجنان إيمِّيس لجبل زايان، والقصيبة وناوور وزاوية الشيخ وزاوية آيت إسحاق ولْقّباب بالنسبة للدير، وأغْبالا وبُووَاطّاسْ وبُوتْفْرْدَا لواد العبيد، أما في الأطلس الكبير فتتمثل في تُونْفِييتْ وسيدي يحيى أوْيوسف وتاعْدْلُونْتْ.

---

10 دأب ضباط وباحثو الحماية على استعمال اللفظ التحقيري «الأهالي» لدى حديثهم عن المغاربة (المترجم)

11 فضلنا كتابة اسم هذا الواد بطريقة مغايرة للسائدة، ذلك أن أم الربيع تحيل على علاقة الأمومة التي لا محل لها، فـ «مْ» الأمازيغية تعني ذات أو صاحبة.(المترجم)

خريطة توضيحية لبلاد زايان و الدير المجاور و واد العبيد

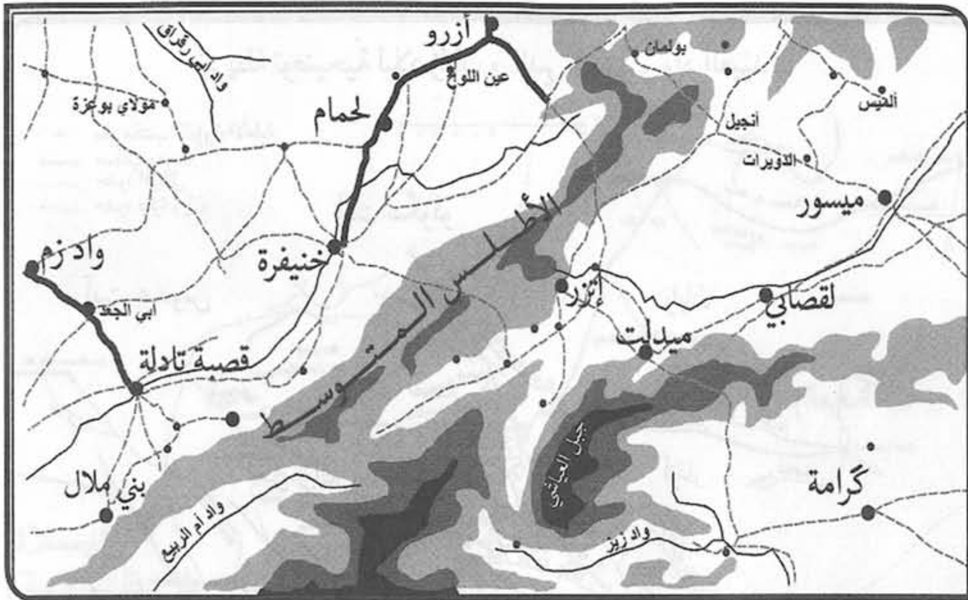
10 كلم

مقر مكتب الشؤون الأهلية
مسالك معبدة
حدود القبائل
حدود دائرة زايان

آيت سكوكو
آيت عبدوس
زايان
خنيفرة
أزغار
جبل زايان
أم الربيع
آيت إيحاند
بني مكيلد
آيت إسحاق
الدير
القصيبة
آيت ويرا
أدربو
آيت أم البخت
آيت عطا
واد العبيد
آيت يحيى
الأطلس الكبير
آيت حديدو

Moulay Bou Azza
Plateau de Mrirt
Ait Haddou Hamou
Région de Sidi Hassine
Oued Grou
Sidi Lamine
Ait bou Mezough
Ait Boumzil
Ait Lahcène ou Said
Ait Chart
Ait Lahcène
Oued Serou
Kerrouchen
Ksiba
Moulay Yacoub
Ouarzazi
Bou Iraffi
Alemsid
O. Moulouya
Maasker
Dj. Irouta
Dj. Bab Newayed
Plaine de Azaghar Irezh
Dj. Tiskerfine
Dj. Kenner
Dj. Tagharghouzine

/6



الجبل الأمازيغي

7/ آزاغار:

يطلق الأهالي لفظ آزاغار على المنطقة الواقعة داخل الحدود التالية: شمال وغرب خنيفرة: تازْرُوتْ مْ أُوخْبُو (الصخرة المثقوبة)- تالمكتار- هضبة منت- وردان- سيدي بوعباد- لكرار- تاكنتا- م الربيع. وهذه بلاد المراعي التي يوجد فيها العشب بوفرة والحرارة معتدلة دائما والمياه كافية بفضل الآبار المتعددة التي حفرت فيها.

قبل وصولنا إلى البلاد كان آزاغار يشمل مجالا لانتجاع كل واحدة من القبائل التالية[12]: زايّان شمال وجنوب المسلك الحالي بين خنيفرة وتادلا، وإيشقيرن آيت إيحاند جنوب نفس المسلك، وآيت إسحاق حول جبل الحديد، وآيت مْ لْبَخْت غرب جبل الحديد وآيت ويرّا باتجاه تاكونْت.

من حق كل قبيلة نظريا أن تستغل مجال انتجاعها كما يحلو لها، لكن في الواقع لم يكن يتم الإنتقال إلى الضفة اليمنى لام الربيع إلا إذا سمحت الوضعية السياسية بذلك، أو بعد الحصول على الحماية المؤدى عنها دائما تقريبا لموحى أوحمو الزاياني القوي آنذاك

---

12 استعمل كنون لفظ sous-confédérations لدى حديثه عن هذه القبائل، وتعذر علينا إيجاد مقابل له بالعربية، فاقتصرنا على تعريبه بالقبائل لإيفائه بالمعنى. (المترجم)

بالنسبة لزايان وإيشقيرن وآيت إسحاق، أما آيت مْ لبخت وآيت وِيرّا فكانوا يربطون مصيرهم بمصير موحى أوسعيد نْ آيت ويرّا الذي يهيمن على بلادهم، وكثيرا ما ترتب على ذلك أن بعض القبائل التي تخشى التعرض لهجوم إبان الإنتجاع تفضل تحمل قساوة البرد في الجبال على المخاطرة بحروب غير مرغوب فيها، أو تقديم فروض التبعية لأحد ذوي النفوذ والقوة في المكان. 8/ أما اليوم فتنتجع القبائل بحرية حسب الشروط المحددة من طرف السلطات المحلية بعد استشارة لجماعات ووفق توزيع يأخذ بعين الإعتبار الإتفاقيات القديمة.

كانت أراضي آزاغار كلها فيما مضى أراضي جماعية لا تتمتع فيها الفخذات التي تستغلها إلا بحق الإنتفاع المؤقت، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا آيت بوحدّو المطرودين من خنيفرة من طرف موحى أوحمو والمستقرين عنوة بجوار سيدي عْمَرْ، مع الإذن بالإحتفاظ بالمساحة المجتثة والمستغلة من طرفهم على سبيل التملك.

أما في الوقت الراهن، وبسبب خشية السكان غير المعقولة من رؤية أراضيهم الجماعية تنتقل إلى أيدينا من أجل الإستعمار، وجدت كل القطع الأرضية ذات قيمة مالكين ظهروا فجأة، أغلبهم من حشد الزعماء الأهالي الذين منحناهم ثقتنا الكاملة(13).

تبدأ عملية الإنتجاع مبدئيا مع نهاية شهر أكتوبر بالنسبة لكل القبائل بعد الفراغ من الحرث في مناطق جبل زايّان وم الربيع، وتنتهي في نهاية شهر مارس حسب الشروط المعروفة.

مْ الربيع وجبل زايّان:

تتشكل منطقة م الربيع(14) من مجرى النهر الذي يحمل نفس الإسم من منابعه شمال آيت بومْزّوغ إلى التقائه بواد سْرُو على بعد 8 كلم غرب زاوية آيت إسحاق، ويحتفظ النهر باسمه ما وراء هذا الإلتقاء. ولكن بالنسبة لأهل البلد (خريطة بلاد زايان) /9/ يغادر المرء م الربيع بمجرد تجاوز هذا الحد. أما منطقة جبل زايان فتضم المنطقة الجبلية الممتدة من جبل تاغّاطْ إلى بوكجْدِي وآفْلْكْتُور شرقا حيث توجد قصور زايّان الرئيسية. يشكل المجموع بلادا متوسطة الغنى تنتشر الصخور بوضوح في أجزائها العليا المكسوة غالبا بغابات كثيفة من أشجار الأرز الجميلة، لكن الأراضي الصالحة للزراعة والخصبة والمروية جيدا تكثر أيضا وبالأخص في ناحية قصور آيت شارط وآروكو وجنان إيمس وإلى الشمال

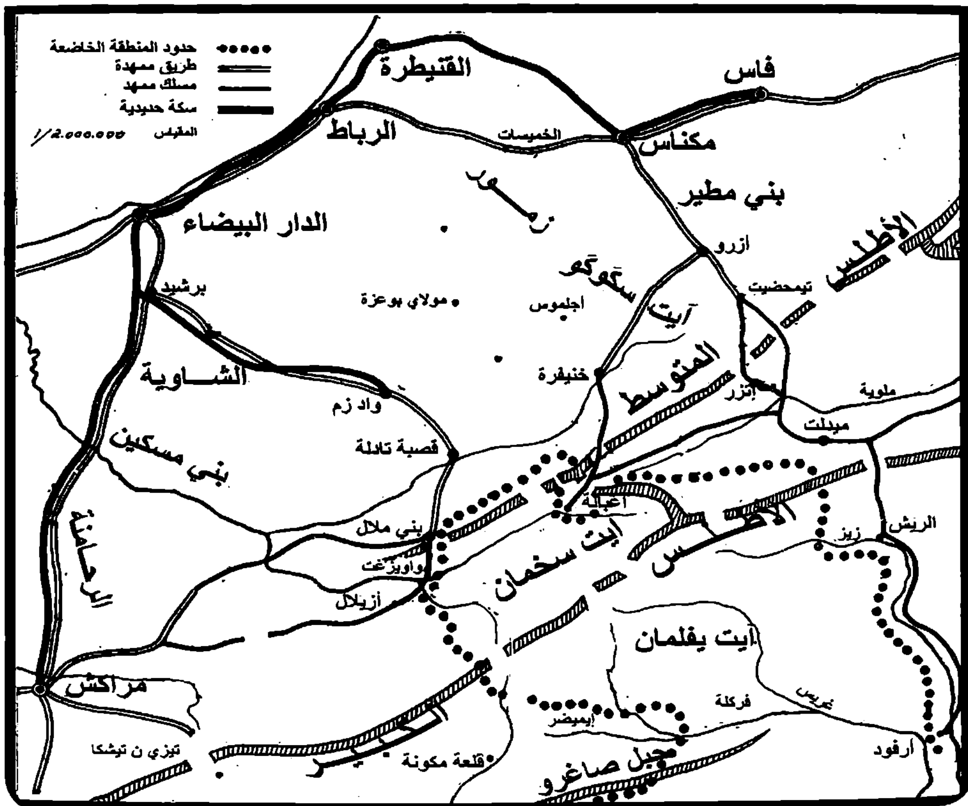
13 يلمح كنون هنا إلى عملية اغتصاب الأراضي الجماعية في بداية المرحلة الإستعمارية من طرف ذوي النفوذ، وهو إذ يستغرب من خشية الناس من سيطرة الإستعمار على أراضيهم الجماعية، فإنه يكشف مع ذلك أن زعماء القبائل والشيوخ الموالين للفرنسيين هم أبطال الترامي على الأراضي الجماعية وتملكها على غرار ما حدث في كل مناطق المغرب، ويفسر الغنى الأسطوري لكثير من القياد الذين سارت بذكرهم الركبان (المترجم).

14 يشرح كنون الإسم لفظيا بترديد ما هو متواتر إلى اليوم من كونه يعني والدة الربيع وهو ما لا نرجحه، إذ الأسماء الأمازيغية التي يبتديء نطقها بـ مْ مشددة ومجزومة لا علاقة لها بالأم، بل تفيد النسبة، فـ مْ الربيع تعني ذات الربيع أو صاحبة الكلأ (المترجم).

لدى آيت لحياني من آيت بومزوغ. وفي المناطق المنخفضة المجاورة للنهر، نجد أولا خنيفرة القرية الصغيرة الحمراء مثل البلاد المحيطة بها، والمكونة من منازل متواضعة ذات سقوف منخفضة تطل عليها القلاع القائدية لموحى أوحمو وأولعايدي وأقربائهما. وعلى بعد 10 كلم إلى الأسفل توجد تامْسْكورْتْ، وهي إقامة قديمة لعشيرة من أولاد سيدي بناصر أخليت سنة 1914 ويعاد تعميرها بالتدريج. وأخيرا هناك السهول الخصبة لبوزْقّورْ وآذْخْسانْ ولهْرِي من جهة، ومن جهة أخرى وادي الفايجة والمرتفعات المشجّرة لبوعرعار التي تزود زايّان بالعرعار الذي يهوونه كثيرا وبالمراعي الأكثر غنىً.
الدِّير: يمثل الدير بالتحديد السفح الشمالي للأطلس المتوسط الذي يبدأ من منطقة دمنات لينتهي ما وراء ملوية السفلى بناحية بني وراين باتجاه عام شمال شرق-جنوب غرب /10/ وبمتوسط ارتفاع حوالي 2000 متر. وإذا كانت السلسلة في جزئها الشرقي مشكلة من كتل ذات أعراف صخرية عارية وغير صالحة للسكن مثل تلك الموجودة في الأطلس الكبير وتبدو منتصبة بوضوح وسط السهول والوديان، فإنها تتكون في جزئها الغربي من تعاقب كُتَل مستديرة أو متمددة وفق الإتجاه العام، كما أنها مكسوة بالأشجار وصالحة لاستقرار الإنسان والقطعان وقيام الزراعات.
وفي المنطقة التي نحن بصددها وخصوصا ناحية القصيبة ولقْبَابْ، فإن فوارق الإرتفاع متوسطة والتضاريس متموجة تتخللها أودية قصيرة، كما أن شعابا عميقة تُقَطّع سفوح الجبال لتصب على شكل سيول في الوديان. وهناك مسالك كثيرة وسهلة تخترق البلاد في جميع الإتجاهات متفادية السفوح الوعرة للمنحدرات لتربط عبر الأعراف كلا من مناطق م الربيع وملوية وواد العبيد.
وفي السفح الشمالي تُشرف سلسلة الأطلس المتوسط على أودية سْرُو ومْ الربيع، ويتميز الإنحدار العام بين الأودية والقمم الممثلة في بويْخْجورْن ومولاي يعقوب وتيفْريتْ وتِيزْوِينْ وتاوْرِيرْتْ نْ تِيِّنِي وبويكنُّوسْن بالإعتدال، حيث تنتشر مدرّجات ممتدة بموازاة السلسلة من مكان لآخر موفرة للسكان إمكانية الإستقرار. كما تنبع من عيون كثيرة عدة مجاري مائية تصب في كل من واد سرو وواد م الربيع تنشُر الحياة على طولها. وتكسو غابات هامة البلاد وخصوصا قرب القمم حيث لم تسبب بعدُ فؤوس الحطّابين والإجتثاث الممنهج الساعي لتكثيف الزراعات أضرارا كما هو الشأن قرب السهول.
وفي السفح الجنوبي على الجانب الآخر من القمم /11/ المشار إليها سالفا تبدو التضاريس متموّجة أيضا، غير أن الإنحدارات الأقل حدة تمنح للمنطقة السمة العامة لهضبة هائلة تجزِّئها سلاسل ثانوية وأودية صغيرة تنتهي عند وادي ملوية وواد العبيد.
يقع الأطلس المتوسط في مجرى الرياح والأمطار، إذ يلائم انتظام التضاريس استقبال التيارات الرطبة المحملة بالتساقطات التي تهطل خلال فصلي الشتاء والربيع على شكل ثلوج، بينما تكون على شكل عواصف رعدية خلال فصل الصيف من ماي إلى شتنبر.

ملوية:

تم احتلال واد ملوية على طول مجراه بما في ذلك منابعه منذ عمليات 1926 في اتجاه أغْبالا، ويخترق بلادا منبسطة وعارية تحدها شمالا المنحدرات الأولى للسفح الجنوبي للأطلس المتوسط، وغربا العتبة المسماة آقَشَّا نْ أغْبالا وتُونَا أُو سيدي طلحة، وتحدها جنوبا المنحدرات الشمالية لجبل تُوجِّيتْ. أما في الشرق فإن ملوية الذي يشكل أصلا واديا عرضه بين 10 إلى 15 كلم يتسع على مرمى البصر باتجاه ميدلت. وبين الجداول الآتية من منابع ملوية والمنحدرة لتشكيل الواد ينتصب تَلّْ تاكزّالْت مثل مرصد قوي مطل على كل البلاد سالفة التحديد. وتشتهر بلاد ملوية ببرودة طقسها إذ تسقط الثلوج على الجبال المطلة عليها بين شهري أكتوبر وماي رغم ذوبانها السريع بضعة أيام على تساقطها، فضلا عن أن الرياح بها قوية ودائمة /14/ حيث تهيمن الرياح الغربية والجنوبية، كما أن /13-12/



خريطة الجبل الأمازيغي والمغرب المركزي

العواصف متواترة خصوصا في الصيف والخريف، من هنا شهرة المنطقة بكونها غير صالحة للعيش بدءا من نهاية الصيف بسبب التقلبات المناخية والأخطار التي تحدق بقطعان الماشية.

واد العبيد:

ينبع واد العبيد من منطقة سيدي يحيى أُويوسف جنوب جبل توجِّيت، ويبدو أن أحد روافده يأتي من جهة قصر آيت بومزوغ (آيت يحيى) فيما وراء خنك تاتْرُوتْ الذي يشكل هوة ضخمة تفصل الكتلة الرئيسية لجبل مْعَسْكَرْ عن طرفه الغربي إيغْفْ نْ عاري (رأس الجبل[15]). ويُطلق على جزئه الممتد من المنابع إلى نواحي بُوتْفَرْدَا آسِيفْ نْ إِيوْرِيرْنْ (واد الجبال[16])، وفي القسم الأعلى من هذا القطاع يتعمق مجراه غير المنتظم بحوافٍ صخرية عموما، كما تطل عليه جبال مرتفعة مكسوة بالأشجار شمالا وجنوبا. وابتداء من تاغْدْلُونْتْ نحو السافلة يتسع الوادي الذي يخترقه ليشكل بعد التقائه بواد وِينْ تْسن سهل آزاغار أوفلا المتسع نسبيا والممتد نحو الغرب حتى بلاد آيت داود أوعْلي بمُسَمَّيات لم نتمكن من تحديدها.

تتحدد منطقة واد العبيد على الشكل التالي: تحدها شمالا تفريعات السفح الجنوبي للأطلس المتوسط وجنوبا سُلَيْسِلات السفح الشمالي للأطلس الكبير، وشرقا عتبة آقْشّا نْ أغْبالا وتونا أوسيدي طلحة التي يتم الولوج منها إلى هضبة منابع ملوية، وإلى الغرب تمتد في اتساع إلى نواحي وَاوِيزْغْتْ./15/ ويبدو أن الإرتفاع العام للمنطقة لا يتجاوز 1200 متر ناحية آزاغار أوفلا، كما أن المناخ معتدل والتربة صالحة لشتى الزراعات، وتكسو الأشجار المتنوعة المجال خصوصا على الضفة اليمنى لواد العبيد، والماء متوفر نسبيا ويفي بالحاجيات. ويمكن العيش تحت الخيام في كل الفصول إذ نادرا ما تسقط الثلوج بالمنطقة وتسود الرياح الغربية.

تتمثل روافد واد العبيد في المنطقة التي نحن بصددها في واد وِينْ تْسن الذي يحمل مياه كتلة تيفَرْت وتيزْوِين وواد تيزي إيسْلِي وكلاهما على الضفة اليمنى، وفي الضفة اليسرى واد آغْدُّو المتلقي لمياه جبل آمْنْزي وآسيف مْلّولْ اللذين يحملان مياه جبلي إِيزْلانْ وتِينْكارفْ. في هذا القطاع الذي نحن بصدده يبدو صبيب واد العبيد- إيوريرن أقل من صبيب واد سرو بالقرب من لقباب، ومن ثم يمكن اجتياز الواد بسهولة من أي مكان تقريبا حتى في حالة فيضانه.

---

15 تعريب المترجم.

16 لم يفلح كنون في نقل الإسم الصحيح ولا ترجمته كما يبدو، إذ الأصح هو ما أثبتناه. (المترجم)

الأطلس الكبير:

إن جزء الأطلس الكبير الذي يهم هذه الدراسة هو الواقع بين تونْفِييْتْ وناحية وَاوِيزْغْت، حيث تتكون السلسلة من كتل وطيات متمايزة ومتوازية بوضوح ومختلفة جدا من حيث الأهمية. ويمثل جبل معسكر الكتلة الرئيسية بينها بارتفاع يقترب من علو جبل العياشي إلى الشرق (4250 متر).

وتوجد بين هذه الكتل والطيات وديان ضيقة /16/ تجري فيها الأنهار ويحتمي بها السكان (آيت يحيى وآيت حديدو وآيت سخمان)، كما تمر بها أيضا المسالك الرابطة بين سفحي الأطلس باجتياز الطيات المنخفضة الفاصلة بينها. هنا وفي اتجاه الشرق والغرب، يكتسي الأطلس الكبير نفس أهمية سلسلة جبال الألب في أوربا اعتبارا للمناطق الطبيعية التي يحددها ولأهمية مجاريه المائية وتأثيره في توزيع الرياح والأمطار ودوره في تاريخ الشعوب.

فمن حيث المناخ يشكل الأطلس حاجزا في وجه الرياح الجنوبية الحارة والجافة مكونا بذلك الحد بين نطاقين مناخيين مختلفين من حيث الرطوبة. وفيما يتصل بالرياح الغربية يلعب دور مكثف قوي، وابتداء من نهاية أكتوبر تظهر الثلوج على قممه وتدوم إلى نهاية يونيو، مما يترتب عليه أن المجاري المائية النابعة من السفح الشمالي والوفيرة المياه تحفر الوديان أسرع من مثيلتها على السفح الصحراوي. والثابت أن للأطلس تأثير أكيد على مصير القبائل القاطنة به[17] والمجاورة له.

فرغم عدم الحصول بعْدُ على معلومات دقيقة عن الموجات البشرية المتعاقبة التي أفضت إلى الوضع الراهن، بوسعنا القول إن تلك الموجات تمت ببطء لكون السلسلة حاجزا هاما في وجه الغزوات الجماعية الخاطفة، فضلا عن ان قلة طرق المواصلات بين الشمال والجنوب كمؤشر دالٍ لا تترك مجالا للشك في هذا الصدد، إذ لا تتيح إلا أربعة مسالك /17/ ذات أهمية اجتياز الأطلس من سفح لآخر وبصعوبة كبيرة: تيزي إيتكلْ شرقا في اتجاه تونفييت وتيزي نْ إيغِيلْ جنوب سيدي يحيى أويوسف، ومسلك بحيرة إيسلي[18] جنوب سيدي عْمَرْ أوحَلّي، والمسلك المؤدي إلى آسيف ملّول وغريس وزيز عبر بوتْفَرْدا وتِينكارْفْ وهو أفضلها.

يبدو إذن أن الأطلس الكبير سيعيق بجدية طموحاتنا وأطماعنا في التقدم من الشمال نحو الجنوب أو العكس، كما سيشكل لمدة طويلة بالنسبة لعُتاة ثوار ملوية وواد العبيد ومنطقة بودنيب ملجأ صعب المنال عسكريا، مما سيستلزم السيطرة عليه وادياً وادياً وربما قصرا قصرا، بواسطة العمل السياسي الكفيل وحده في اعتقادنا بكشف أسرار هذه الجبال المهيبة ومفاتنها السياحية الأكيدة من خلال تضحيات مالية وحصار موضوع بحكمة.

17 استعمل كتون لفظة peuplades لنعت القبائل القاطنة في الأطلس الكبير، ولا تخفى الشحنة القدحية لمثل هذه المفاهيم التي درجت عليها الأدبيات الإستعمارية (المترجم).

18 كتبها المؤلف خطأ Izly، وواضح أنه يقصد البحيرة الشهيرة حيث يقام موسم إيميلشيل (المترجم).

/18/ القسم الثاني

الدليل الإقتصادي

ملاحظات عامة:

تمثل المنطقة المدروسة مجالا لتربية الماشية وتدين بازدهارها لمراعيها الشاسعة والغنية، إذ يحظى المرء باعتبار واحترام جاره تبعا لعدد أبقاره وأغنامه أكثر من امتداد أراضيه أو أهمية مخازنه، كما يمكن الجزم بأن القطعان تحتل المكانة الأولى في اهتمامات القبائل ويكيِّف مصيرها الحياة السياسية للجماعات، بل إن ضمان تغذية ملائمة وكافية للقطعان في كل الفصول هو ما لا يزال يحمل الناس على حياة التّرحال.
من الناحية الفلاحية لا يطلب أمازيغ هذه الناحية من أراضيهم إلا تلبية حاجات عامهم وبذور السنة الموالية، بحيث لا توجد الإحتياطات الغذائية إلا لدى كبار الأعيان وملاك الأراضي، الذين يقعون في غُلُوّ معاكس بالتباهي بحيازة حبوب قديمة تعود إلى ما بين عشرين وثلاثين سنة في مخازنهم. أما الصناعة والتجارة فغير موجودتين بمعنى ما، ذلك أن الأمازيغ ينسجون في عين المكان خيامهم وبرانسهم ويصنعون فخّارهم البسيط، ولا يحتاجون من مدن الشمال والساحل في مقابل /19/ خرفانهم أو أخشاب أرزهم إلا السّكر والشاي والشموع وأواني النحاس ومنسوجات القطن والسروج الفاخرة.

تربية الماشية:

تجري حياة الرعاة الأمازيغ تحت الخيمة التي تتيح وحدها بلوغ المراعي البعيدة جدا، مع وجود قصور مبنية ومريحة نسبيا في كل جهات المنطقة تقريبا، بل نجد مدنا حقيقية مثل خنيفرة ولقْبَابْ وزاوية آيت إسحاق وأَغْبالا وزاوية الشيخ والقصيبة، لكن لا يقطنها إلا البؤساء المحرومون من الخيام وقطعان الماشية والعجزة المكلّفون بحراسة المؤن، والتجار والحرفيون الذين يفرض عليهم عملهم البقاء في دكاكينهم، وأغلبهم من أصول عربية وصحراوية.
تتم عملية الإنتجاع بانتظام منذ قرون وفق دورة معروفة وثابتة فرضتها متطلبات الفصول وحاجة كل فرد لضمان العيش لذويه ولقطعانه. ففي الصيف والخريف يعيش الناس في الجبال بالقرب من الحقول قصد حرثها أو حصادها وبجوار العيون الضرورية لقطعان الماشية. وخلال الشتاء والربيع حين تكون الجبال مكسوة بالثلوج يتم الإنتقال إلى آزاغار حيث دفء الشمس وحيث لا تقطع الأبقار والأغنام والماعز إلا بضعة أمتار لتلتَهم العشب الطري والناعم.
تقوم تربية الماشية في المنطقة المدروسة أساسا على الأغنام وعلى الماعز في بعض المناطق الجبلية، ولا يُعتنى بالأبقار إلا لضرورتها /20/ في أعمال الحرث ونقل الخيام

والأثاث زمن الترحال والإنتجاع، ولذلك غالبا ما يوجد لدى نفس المالك ستة إلى عشرة ثيران أو بقرات فقط مقابل خمسة إلى ستة آلاف رأس غنم أو ماعز، كما تُربى الخيول والبغال والحمير ولكن بطريقة رديئة، أما الجِمال فلا توجد إلا بأعداد قليلة جدا لدى إيمازيغن[19] خنيفرة وآيت يحيى وآيت سخمان.

تتم تربية الأغنام والماعز إما مباشرة على يد المالك ذاته الذي قد يعوّل على الرعاة حسب أهمية قطيعه، وإما بواسطة شركاء يطلق عليهم «إيرّباعْنْ» لكونهم يُكلّفون بحراسة القطعان مقابل رُبُع المواليد ومحصول الزيدة والأصواف في السنة. وتدوم الشراكات من أبريل إلى ماي من كل سنة عموما، بمعنى من عملية جز الصوف إلى أخرى، ويمكن تجديدها بعد التصفية الإجبارية للحسابات ومنح الربّاع مستحقاته، كما قد تُفسخ قبل موعد الإستحقاق العادي. وفي حالة كون الرباع هو المسؤول عن فسخها فإنه لا يحصل على أجره إلا بعد تحكيم إيجابي لـ«إيكْسّابْنْ» الدوار (مربّو الماشية)، باعتبارهم المؤهلين للبث في هذه المسألة التي سيتم تناولها بتفصيل في مجموع القانون العرفي.

الفلاحة:

تقوم الزراعات في أغلب مناطق البلاد على القمح والشعير والذرة والبشنة (الذرة البيضاء) والفول، وعلى الدُّخن (آدْكّو) لدى آيت يحيى وآيت سخمان، /21/ كما يُزرع القليل من الجلبانة دون العدس. وتكثر الجنّات والبحائر في الجبال حيث أشجار التين والتفاح والإجاص والمشمش، إلا أن الأشجار غير معالجَة وقليلة العناية والثمار التي تجنى قبل نضجها قليلة الجودة. وتوجد أشجار البرتقال والليمون في منطقتي القصيبة وزاوية الشيخ، إلا أن تجربة تمت في قصبة موحى أوعلي ويجّانْ قرب مركز آيت أسحاق أعطت نتائج جيدة، بينما لم يتم تتبع تجربة مماثلة جرت بالقرب من قصر لِنْدَا في السهل. وتنمو الكروم طبيعيا في كل مكان تقريبا وقد غرس بعضها قبل مجيئنا، ويتم الإعتناء بها في القصيبة وزاوية الشيخ وسيدي بوعلي وتاسْكَرْت وآرُوكو (آيت إيحانْد). وتعتبر أعناب القصر الأخير (آرُوكو) أجود أنواع العنب وهي موضوع تجارة مربحة. كما يتوفر الخيار والقرع والبطيخ والدلاح والبصل بكثرة في محيط كل قصر، بل تم تجريب زراعة البطاطس بنجاح في منطقة لندا قرب القباب، لكن يبدو أن الأمازيغ لم يدركوا بعد إيجابياتها.

تتمثل المناطق الفلاحية الأكثر شهرة فيما يلي:

لدى زايّان: نواحي خنيفرة وآذْخْسان وآرُوكو وجنان إيميس ولهري، ولدى إيشْقّيرْن: تيزْمُّورِينْ ولِنْدا وتِينْغيرْت وتيغَسّالِين، وعند آيت إسحاق: تِيبْحيرِينْ وتيرس نْ بوعارا ووَاوْمانا، ولدى آيت مْ لْبَخْتْ وآيت وِيرّا: بُووْغْبُو وتِيفاسُورِينْ وإيسِيلْ وغيرها...، وفي

---

19 يقصد إحدى الفخذات بالمنطقة والتي انفردت بإطلاق هذا الإسم العام والمشترك على نفسها (المترجم)

ملوية: صفتي الواد وقرب المنابع والهوامش الجنوبية لتاكزّالْتْ، وفي واد العبيد: هوامش أغبالا وضفتي واد العبيد (آسِيفْ نْ إيوْرِيرْنْ)،/22/ وأخيرا في الأطلس الكبير: نواحي تونْفِيتْ وقدم السفوح تجاه سيدي يحيى أويوسف وتاغْدْلُونْتْ. فضلا عن ذلك، نجد في المناطق الجبلية لدى زايّان وفي الدِّير حقولا كثيرة وخصبة جدا، ونظرا لقابليتها للري فإنها تخصص لزراعة الذرة التي تتطلب مياها كثيرة.
تتباين جودة التربة كثيرا، حيث يسود الحَمْري في بلاد إيشقيرن وفي الدير، بينما يهيمن التِّرْس في السهل الممتد بين أسفل لقباب وأسفل القصيبة، في حين يسود الحَرْشْ في منطقة لهري وآقيِصَارِي وتاداوْتْ ونِخْسِينْ، والرّمَل في ملوية وجنوب أغبالا.
أخيرا، تجدر الإشارة إلى أنه في بعض مناطق الأطلس الكبير بناحية قُوصَرْ وتِينْكارْفْ يعتبر المناخ قاسيا جدا إلى حد يُجهَل معه استعمال المحراث، ومن ثم يتغذى الأعيان بالحبوب المشتراة من الشمال في حين يستهلك العامة دقيق أنوية التمر المطحونة.

الصناعة:

ترتبط كل الصناعات الحرفية التي نجدها في البلاد تقريبا بتربية الماشية والفلاحة زيادة على كونها ذات طابع عائلي صرف، بحيث أن كل عائلة تشتغل مبدئيا في بيتها ولصالحها، إذ تُغسل الأصواف التي ينتجها القطيع وتنسج وتصبغ في المنزل أو تحت الخيمة بواسطة أدوات صنعت غالبا في القرية ذاتها اعتمادا على مواد مستخرجة من الأرض والأشجار المجاورة. هكذا تتم «صناعة» البرانس والجلابيب والخيام والزرابي و«تِيرْحّالِينْ» و«إِقْرَابْن» ذاتيا ويُحتفظ بها في المنزل، /23/ لأن رب الأسرة كان فيما مضى يعتبر إرسال منتوج عائلي إلى السوق حاطا بكرامة ذويه، ولا يضطر إلى ذلك اليوم إلا لأداء ضريبة الترتيب.
مع ذلك فإن الأسواق مزوَّدة بوفرة بحصائر الأَسَل والدُّوم والقفاف والتلاليس وأدوات الغَزْل والصحون الخشبية والأواني الخزفية والأكياس و«البلاغي»الجلدية الحمراء والصفراء المصنوعة من طرف حرفيين مقيمين في المراكز الكبرى أو في القرى المتوفرة على المواد الأولية. هكذا تشتهر قرية آيت نوح الواقعة على بعد عشرة كلم شرق خنيفرة بجودة خزفها الذي تُغرِق به البلاد، بينما يتبوأ عمال جلد لقباب مكانة الصدارة في الحرفة بفضل جمالية البلاغي و«إيقرابن» التي يصنعونها، بل نجد أن هؤلاء العمال (إِيسْبِيطْرِيِنْ) قد انتقلوا إلى صناعة مناشف جلدية رائعة موجهة للأوربيين، بينما يشتغل آخرون على الخشب بواسطة سكين الجيب فقط لإنتاج مرافع جميلة من الدفلى لنفس الزبائن، وكذلك أطر المرايا وحافظات البارود التي يكثر الطلب عليها.
تجدر الإشارة أيضا إلى أنه رغم وفرة صخور الكلس فإن الأهالي لا يستعملونه ويفضلون

التمسك باستعمال الطين لطلاء مساكنهم المبنية بالطابية. ومع ذلك وتحت تأثير الرؤية اليومية لبياض ومتانة ونظافة بيوتنا ومكاتبنا، قرر العديد من الزعماء الأهالي تقليدنا ببناء مساكنهم بالحجارة والجير واستعمال الجبس في سقوفها، والأمل معقود أن يحذو العامة حذوهم. وعلى كل حال فإن العديد من «المساكين»[20] يكسبون اليوم عيشهم بفضل الجير /24/ والجبس الموجهين لمراكز المراقبة ومساكن الأوربيين.

التجارة:

إن الأسواق الهامة في المنطقة هي خنيفرة وكْرُوشّنْ ولقباب وزاوية إسحاق وجنان إيمس وزاوية الشيخ والقصيبة وأغبالا وناوور وتونفييت وإيديكل وبوعادل وبوتفردا وسّونتات، ولا تزال الأسواق الستة الأخيرة في المنطقة المتمردة، أما سوق أغبالا فأصبح مهجورا بعد احتلال قواتنا للقرية سنة 1926 ولن يستأنف نشاطه إلا بعد خضوع آيت سخمان.
تجدر الإشارة إلى أن لكل قبيلة سوقها الذي ينعقد مرتين في الأسبوع عموما في المكان المحدد دائما، حيث تتوفر كل الحاجيات خصوصا السكر والشاي والشموع والمنسوجات القطنية والأشياء الجاهزة وأواني المطبخ والفحم وغير ذلك... كما ينصب فيه الإسكافيون والحلاقون والحدادون والطّلْبة بائعو التمائم والتعاويذ دكاكينهم أو يجلسون في الهواء الطلق. وتُجلب منتوجات المدن الكبرى إلى هذه الأسواق من طرف غرباء (عرب وصحراويون ويهود) يلعبون دور الوسيط بين أهل البلد وتجار فاس ومكناس ومراكش في شراء الأشياء المصنوعة تحت الطلب، مثل السروج الفاخرة أو الأشياء الثمينة (أواني الفضة والسماور).
أما الصادرات فتتمثل أساسا كما أسلفنا أعلاه في المواشي والأخشاب التي يوفرها حطابو زايان آسّوّل /25/ أو شرفاء تاسكرت، ويتعاطى بعض الأوربيين اليوم لاحتكار الأصواف والجلود والبيض والحبوب ويبعثونها في ظروف مفيدة جدا إلى الدار البيضاء أو مكناس.
وتتزود أسواق المنطقة المتمردة بالمنتوجات الضرورية مثل السكر والشاي وغيرها عن طريق التهريب التي يتعاطاه على نطاق واسع سكان المناطق الخاضعة المجاورة. وعلى العموم تُقايَض المنتوجات بالحبوب خاصة بعد انتهاء التعامل بالعمْلة الحسنية[21] في المنطقة المحتلة. ونظرا لكثافة الرواج فإن المتمردين ينجحون دائما رغم المراقبة في دفع أسعار أدنى من تلك المفروضة على الساكنة الخاضعة لنا.

20 نقلها كنون كما ينطقها المغاربة، ويقصد بهم الناس البسطاء الكادحين (المترجم)
21 نسبة للسلطان الحسن الأول (المترجم)

/26/ القسم الثالث

الأعراف والتقاليد

«إنهم لا يعرفوننا جيدا بعدُ، إننا نخيفهم فيظلون منطوين. ولكن من السهل جدا استمالتهم وترويضهم بمجرد ما نبدي لهم ودا ذكيا، وبالأخص حين يشعرون بأننا نقدر قيمتهم، لأن السر هنا يكمن في اليد الممدودة وليس المتعالية، في المصافحة الوفية بين رجل ورجل من أجل التفاهم. ووفق المقولة الجميلة للعقيد بيريو Berriau: «إن هذا الجنس ليس أدنى بل مختلف». لنعرف فهم اختلافاتهم كما سيفهموننا من جهتهم، لنتكيف مع بعضنا البعض»

المارشال ليوطي، 26 ماي 1921

«هناك شيء يتمسك به الأمازيغ أكثر من غيره، إنه تنظيمهم الإجتماعي وعاداتهم الخاصة، ومن ثم تتمثل السياسة الأمازيغية الحقيقية في احترام هذا التنظيم وهذه التقاليد، والعمل على انسجامها مع الإصلاحات الإدارية والسياسية التي علينا إدخالها في البلاد»

الملازم ثاني هوئو huot، 9 فبراير 1922

عموميات:

باستثناء آيت يحيى تونْفِييْتْ وآيت خْديدّو المنتمين لاتحادية آيت يافْلْمَانْ، فإن القبائل والفخذات المنعزلة المدروسة في هذا المقام تدعى آيت أومالو «أهل الظل»: إنهم زايّان وإيشْقّيرْن وآيت إيحاند /27/ وآيت إسحاق وآيت مْ لْبَخْتْ وآيت وِيرّا وآيت سْخْمَان. إضافة إلى هذه القبائل الأصلية توجد عدة عشائر مندمجة إلى هذا الحد أو ذاك من أصول صوفية تدّعي قرابة ما مع الأسرة الحاكمة، وتتمثل في آيت سيدي عيسى أونوح في خنيفرة وأهل تاسْكَرْت في لقباب، وآيت سيدي علي أوعْمَرْ في كْرُوشْن وآيت سيدي بناصر في خنيفرة ولقباب وزاوية الشيخ، وآيت سيدي علي آمْهاوْش في لقباب والقصيبة وبووَاطّاس، وأخيرا آيت سيدي علي أويوسف وآيت سيدي عْمَرْ أوحَلّي في الأطلس الكبير. وستقدم جداول القيادة في الملحق رقم 1 تفريعات هذه المجموعات والقبائل وكذا عدد كوانينها.

النوع (الجنس):

ينتمي آيت أومالو على غرار كل أمازيغ أفريقيا الشمالية إلى الجنس الأبيض، ويتميزون بقِوام فارع وعيون سوداء حادة وأسنان بيضاء سليمة وقسمات رقيقة، وبحكم عيشهم الدائم في الهواء الطلق في بلاد جبلية وبيئة قاسية، فإنهم يتمتعون بصحة حديدية وعرقوب صلب، بحيث يكثر بينهم رياضيون حقيقيون، كما أن نساءهم يشتهرن بالجمال الفاتن عن جدارة.

من أين جاءت هذه الإتحادية؟ لن نتوقف كثيرا لبحث ذلك، لأننا من جهة لم نتمكن بعدُ من جمع معلومات شخصية كفيلة بإفادة المؤرخين بهذا الصدد، ومن جهة أخرى، ونظرا لغياب الكتب ولامبالاة الأمازيغي تجاه تاريخه البعيد، فإن أصل آيت أومالو لا يستحق الإهتمام /28/ أكثر من معرفة الأحداث الأخيرة بالنسبة لسياستنا الراهنة والمستقبلية في البلاد. يكفي إذن أن نعرف في الوقت الحاضر أن آيت أومالو تمسكوا دائما بحريتهم وحاربوا بشراسة كل من هدّد بسلبها. سنرى لاحقا أن عدو الجبليين ليس الرُّومي(22) أو النصراني بل ببساطة «الغريب المتسلل» كيفما كانت ديانته ومن أي جهة أتى.

إن الحاجة المستمرة للدفاع عن حياته المهدّدَة وضمان مراعي أساسية لقطعانه مهما كان الثمن قد جعلت من أُومَالُو محاربا لا نظير له، يعيش حالة تأهب دائم ومستعد للقتال

22 تعريب للفظة «أرومي»، وقد تعمد كنون استعمال هذا الإسم الذي أطلقه الأمازيغ وأغلب المغاربة على الفرنسيين خلال غزوهم للبلاد في بداية القرن العشرين. ويحيل الإسم في خلفيته التاريخية إلى الرومان القدماء الذين كانت للأمازيغ جولات معهم كما هو معلوم. (المترجم)

باستمرار خشية هجوم مباغت يقوم به جاره بسبب أو بدونه، أو رغبة منه هو نفسه في توسيع مجال مراعيه. ويفسر ذلك أيضا كون قصوره كلها تقريبا مبنية كعش النسر في أماكن منيعة جدا يسهل الدفاع عنها، ولذات الأسباب كذلك لا ينصب أومالو خيمته إثر أي تنقل إلا في أماكن يصعب مباغتتها وحيث يكون يسيرا على رب الأسرة تكبيد العدو المهاجم خسائر دون الإضطرار إلى فراق أبنائه ومواشيه. إن بندقيته التي لا تفارقه أبدا والتي يزيّنها يوميا وفرسه الذي يعتني به «مثل عينه» يمثلان زينته المفضلة ودليله الذي يتباهى به خلال المحادثات.

إن سماع أول طلقة أو رؤية دخان علامة الخطر يجذبانه بقوة، وحين لا يوجد أي شيء يفرض عليه القتال من أجل نفسه أو عشيرته، فإنه «يطير» على كل حال إلى ساحة القتال لكي «يشم البارود» ويرى و«يحصي عدد الطلقات المتبادلة» ليحكي عن ذلك بشكل حماسي خلال السّمَر ليلا.

/29/ إلى هذه الروح القتالية التي تؤججها الرغبة الجامحة في الإغارة والغنيمة والمفاخرة والمباهاة تعزى الإعتداءات المرتكبة ضد الخاضعين لنا أو الشاردين المنعزلين وضد مراكزنا.



عناصر من آيت أومالو

من اليسار إلى اليمين: عمر أوعبدوس، حماد ن حمو أبوقسوس، آمهروق، ادريس، علي أو بّا، الغالي، سعيد ن حماد ن مرعيشت، مصطفى أوحوسا

فجأة وبينما هو منهمك في عمل يذكّره كثيرا ببؤسه ويثير فيه رغبة الحصول على شيء من المال، أو أثناء أغنية حماسية تثير حماسه أمام فتيات جميلات يبتسمن للشجعان، أو عقب اجتماع أصدقاء لم يتمكن فيه من المباهاة بأي عمل بطولي، يقرر أومالو فجأة الذهاب إلى الحرب ويدعو أصدقاءه ليتبعوه. إلى أين سيذهبون؟ ماذا سيفعلون؟ لا يدري شيئا ولكن ذلك لا يهم! المهم هو الذهاب نحو العدو ويتكفّل الله واستطلاع بضعة ساعات بالباقي. وحين يرى بعض المنعزلين يراقبهم بصبر طيلة أيام وليالي إن لزم الأمر ويحصي أسلحتهم، ثم يتسلل بين الشعاب والصخور، وفي اللحظة المناسبة ينقض على الضحايا الواثقين جدا وغير الحذرين. وإذا تعلق الأمر بدوار خاضع للفرنسيين غير محروس جيدا ويُعرف ضعفه ودونيته، تتم مراقبته بنفس الطريقة وتُحصى مداخله ومخارجه في الزرائب (آفَرّاك)، وعند منتصف الليل يتم التسلل إليه في الظلام بعد التخلص من كل الحاجيات سعيا للعودة بفرس جميل أو بندقية، أو فقط لتسديد طلقات رصاص في اتجاه الخيام لتذكير «ذلك الكلب» آمْغار الدوّار بأنه لا زال هناك مُسملون حقيقيون ينغصون عليه نومه ونوم «عذراواته الممنوحة للعدو»[23]. غير أن مقاتلينا هؤلاء لا يهاجمون الرجال العزل والدواوير النائمة فقط، صحيح أن ضرباتهم تؤذي الخصم ولكنها لا تكون موضوع الأحاديث في الجبال إلا إذا كانت الغنائم المستولى عليها مهمة. فالنصر المؤزر والحاسم الذي يُتغنى به في آحيدوس يتمثل في الإنتصار الشامل على أعداء مسلحين حوربوا وجها لوجه، والعودة إلى المضارب وسط طلقات البارود المعبرة عن الفرح بالنصر وراء القطعان المسلوبة... بل يتجلى أيضا بالنسبة لهؤلاء الأطفال الكبار في استهداف مركز أو رتل متحرك من أعلى جرف بغرض التسبب في قصف المدفعية أو سماع قعقعة الرشاشات...

بعد التوقف عن القتال يتغير مظهر وهيئة أومالو بشكل جذري، فيصبح مزارعا طيبا وبسيطا ورب أسرة ممتازا، ودودا ولطيفا مع زوجته وحنونا تجاه أبنائه الذين يحبهم أكثر من أي شيء آخر. فأدنى شيء يجعله مرحا ويبتهج لسذاجات ابنه أو ابنته الصغيرين ويحكيها لكل زوار خيمته، /31/ كما يحب الحفلات ويشارك فيها مع ذويه بمن فيهم النساء والصبايا اللواتي يذهبن للغناء والرقص بكل حرية وسط شبان الدوار، بينما يمتطي صاحبنا فرسه مطلا على الجموع وأمامه طفله الصغير حاملا بندقيته، ويصغي منتشيا للأشعار المرتجلة لإينْشّادْن (الشعراء المتجولون).

إن أومالو حريص على سمعته وكرامته وفخور بهما، كما أنه حساس تجاه أي إخلال بالإحترام أو أية إهانة، بحيث يستشيط غضبا لأي غمز جارح يمسه أو يمس ذويه ولا تهدّئ غضبه إلا اعتذارات صريحة أو انتقام مناسب. فالإهانة التي تلحق بفخذته أو دواره أو أي جماعة ينتمي إليها تجعله متضامنا مع إخوانه ومستعدا إذا لزم الأمر لحمل السلاح معهم للحصول على الترضية اللازمة.

---

23 نموذج من التعابير التي درج المجاهدون على تعيير الخاضعين بها، والمقصود بالعذارى رجال القبائل والدواوير المستسلمة للفرنسيين، مع لمز وغمز في الأعراض لمزيد من الإهانة والنكاية (المترجم).

أما حين يتعلق الأمر بالمصالح في علاقته بالغير، فإنه يكشف عن أنانية شرسة وشُح مُعيب، فهذا الرجل الذي قد يقتل أو يتسبب في حرب بين القبائل لإرضاء كبريائه وشرفه المُهان ويستدين من أجل إكرام ضيفٍ، قد يترك في المقابل قريبا سيئ الحظ يموت بؤسا عوض إنقاذه بشيء من المال. وبالمناسبة فهو ليس أكثر سخاء على نفسه وعائلته، بحيث لا يوافق على تجديد «إزار» زوجته أو «بلْغة» ابنه إلا إذا لم يجد لذلك مفرا، وحين يُتخذ القرار ويكون عليه الحصول على المال الضروري ببيع خروف أو ماعز، قد يقطع 40 كلم للحصول على فرنك أو فرنكين أكثر في سوق يبعد عن سوق قبيلته الذي ينعقد أمام باب بيته.

تجدر الإشارة أخيرا إلى أن الأمازيغي يستمتع /32/ بخشونة عيش لا تُضاهَى ويكره النبيذ والتبغ كرها شديدا، ولا يتخذ عدة زوجات شرعيات إلا لتكثير سواعدٍ خيمته التي تنوء تحت ثقل الموجودين فيها.



نموذج لأمرأة
من آيت أومالو

أما المرأة أُوتْ أُومَالو[24] فجميلة ونشيطة وذكية تتفرغ كليا للإعتناء ببيتها وتربية أبنائها، وتحب زوجها خصوصا حين تكون هناك دواعي حقيقية للإفتخار به، وتتقاسم معه بصدق أفراحه وأتراحه كما لا تستغل حرية الحركة الممنوحة لها بدون حجاب. غير أنه إذا كان سلوك الشابة فوق الشبهات مبدئيا، فإن الأمر يختلف كثيرا بالنسبة للأرملة



الحسن أوعكي وحرمه

24 يكتبها كنون la femme Aït Oumalou كما يفرضه سياق الفرنسية، ومعلوم أن أيْت الأمازيغية جمع «أو»، ومؤنثه «أوتْ» وجمعه إيسْتْ، ومن ثم وجب تصحيحه حسب سياق اللغة الأصلية. (المترجم)

والمطلقة (تاهْجّالْتْ، جمع تِيهْجّالْ) اللواتي يتمتعن وفق التقاليد بحق اتخاذ عشاق بمجرد الحصول على الحرية. إنها بداية حياة جديدة بالنسبة لهؤلاء النسوة سواء في الخيمة العائلية ذاتها أو خارجها، فإذا وُجد حفل في الجوار يُدعَون للغناء والرقص في آحيدوس والتمتع بأفراح الشباب. وإذا كان أحد كبار الأعيان في رحلة صيد بالمنطقة فإنهن يسامرنه ليلا حتى الفجر إن رغب في ذلك، ويذهبن بعد أن تدعو لهن أمهاتهن بحسن الطالع وبأن يُقدّر لهن الله لقاء أزواج أو الحصول على هدايا قيّمة. وفي حال اضطر مسافر قضاء الليل في بيت الأسرة تكفيه إيماءة حذرة أو كلمة تنقلها إحدى الجارات لكي يُزيّن فراشه الدافيء ليلا.

موجز القول إن تِيهْجّالْ يوجدن في الميدان العام ويبدو أنه بإمكان أي شخص أن «يستعملهن»، شريطة أن يكون لبِقًا بالمفهوم الأمازيغي للكلمة بمراعاة بعض الشكليات والسخاء عند الفراق. إن هذه العادة مثيرة للدهشة بالتأكيد في بلاد تتباهى بتدينها بالإسلام وتربك جميع الأوربيين الذين عرفوا تقاليد مختلفة في بلدان أخرى مثل القبايل بالجزائر، غير أنها كذلك ويعتبرها المعنيون جيدة جدا، وبعيدا عن أن تحرجنا فإنها كثيرا ما ساعدتنا خلال تحرياتنا.

من ناحية أخرى تشبه وضعية المرأة أُوتْ أَومَالو وضعية مثيلتها في المناطق الأمازيغية الأخرى، بحيث تقوم بكل أشغال البيت بمساعدة بعض الخدم حسب درجة ثراء /35/ ووضعية زوجها الإجتماعية. أما القواعد المتحكمة في زواجها وطلاقها وفي شتى مناحي حياتها فسيتم تناولها في مجموع القانون العرفي قيد التحضير.

اللغة:

يتحدث آيت أومالو لغة متميزة يسمونها «**تامازيغْتْ**»، وهي مختلفة عن العربية اختلاف الفرنسية عن الألمانية أو الإنجليزية مثلا. إلا أن العلاقات التجارية مع المناطق المجاورة واستقرار بعض العناصر الأجنبية في البلاد جعل تامازيغت تغتني يوميا بكلمات من جذر عربي مُكيَّفة مع النطق المحلي. وهكذا يسمَّى المزارع مثلا «آحْرّاث» حيث نجد بسهولة الجذر العربي حرث، ويسمى سائق الدواب «آسَوّاك» (من العربية «سائق») وغيرها من الأمثلة.

كيفما كان الحال فإن آيت أومالو وعلى الأخص زايان الذين لا يشكون مطلقا في الإستعارات من العربية يفتخرون بلغتهم ويقابلون جمالها وبساطتها بازدراء مع الرّطانة الغريبة لـ«**إينْمْنَامْنْ**» أبي الجعد. ولكن دعنا نقول على التو لكي لا ندع أي قيمة لهذه الدعابة غير اللائقة في حق لغة الرسول إن زايّان يستهزئون أيضا بإيشقيرن وآيت سخمان لكون بعض تعبيراتهم تختلف شيئا ما عن لغة حديثهم رغم أنها أمازيغية صريحة.

أما أهل الدِّير فيتحدثون لهجة خاصة هي «تامِيدُولِيتْ»، غير أن الفوارق المميزة التي تمكنّا/36/من تسجيلها في هذا المقام بسيطة وقليلة.
نشير أخيرا إلى أن عددا لا يحصى من مغنّيي البلاد (إِيمْدْيَازْنْ[25]) الذين يحترفون التجوال ويجوبون البادية بطبولهم ومزاميرهم يستعملون لغة معروفة[26] لديهم ولدى بعض العارفين فقط، مما يسمح لهم بتبادل أفكارهم في منأى عن تطفل وتلصّص إخوانهم الأمازيغ وضباط المكاتب[27] وكل إِيرُومِيِّن[28] حاليا.

اللباس:

إن اللباس هنا هو ذاته المعروف في كل أجزاء بلاد الأمازيغ الأخرى، ويتمثل بالنسبة للرجل في «سِلْهام»الصوف (البُرنس) وقمصان القُماش (تِيقبْرِينْ) و«البْلاغِي» (الصّبّاط) و«الرَّزَّة» (العمامة) الملفوفة على جوانب الرأس مع ترك أعلاه مكشوفا. ويتميز الثّرِي عن عامة الناس بنظافة وأناقة ثيابه الدائمة وبكثرة عدد لفّات رَزَّته و«قفطان» من الجوخ الأخضر أو الأزرق أو الأحمر، وسلهام من الجوخ الأزرق الغامق وأحيانا جلباب أبيض من الصوف والحرير. ويحمل الجميع خُرْجًا من الجلد (آقْرَابِ) مختلف الأحجام يتدلى من الكتف إلى مستوى الخصر بواسطة جديلة من صوف أو حرير وتوضع فيه أغراض وأدوات شتى من نقود وخراطيش ومسامير ومثاقب وإبر وخيط وغيرها.
ويعُمّ حاليا استعمال السروال الناعم من الكتان والقطن والحرير بارتدائه مباشرة على الجلد تحت أطراف القميص الطويل والفضفاض، وكثيرا ما يضع الشبان والأعيان خواتم في أصابعهم، أما الحزام /37/ الجلدي الأسود فيوضع بين القميصين.
أما لباس المرأة فبسيط جدا، حيث ترتدي قميصا من القماش الناعم (تيقْبَرْتْ)، وفوقه قطعة قماش من خمسة إلى ستة أمتار تلف الجسم (إزار)[29]، تُقبض على مستوى الثديين بمقبضين «تِيسْغْنَاسْ» بشكل يبقي الذراعين عاريين وطليقين، وبحزام من حرير ذي ألوان فاقعة على مستوى الوركين. ويتكون الإزار من ثلاثة أجزاء (إِيفْلِيجْنْ) مُخاطَة طوليا بشكل يجعل القماش الرقيق على الصدر والركبتين والقماش الغليظ (المهر) في مستوى الحزام. ويوضع وشاح من حرير (تَاسْبْنِييْتْ) على الرأس وجوارب صوفية (تَارْغِيوِينْ) على الساقين، بينما ترتدي في الرجلين حذاء جلديا أحمر أو أصفر (رّيحِيتْ). أما لدى

25 كتبت Imeliazènes، وواضح أن الخطأ مطبعي (المترجم)
26 يجب ألا يفهم أن إيمديازن يتحدثون فعلا لغة أخرى غير الأمازيغية، وإنما المقصود أن كلامهم المنظوم مشفر ويتضمن مغازي ودلالات لا يلتقطها فعلا إلا العارفون بخبايا اللغة والوضع العام في البلاد. (المترجم)
27 يقصد مكاتب ضباط الشؤون الأهلية الفرنسيين (المترجم)
28 يطلق الأمازيغ على النصارى اسم إيروميين جمع أرومي. (المترجم)
29 يطلق الأمازيغ على الإزار أسماء مختلفة حسب المناطق مثل تاخْرَامْتْ (بترقيق الراء) وتاخُرُويْتْ وغير ذلك (المترجم)

الأسر الميسورة فيتخذ اللباس نفس الشكل ولكنه أكثر أناقة وغنىً، فـ«الشرابيل» تكون من جلد مخملي مكسو بتطريزات مذهبة (الصّقلي) تأتي من فاس أو مكناس، وفوق كل ذلك «قفضان»[30] أو اثنين من الجوخ يكملان اللباس، إضافة إلى حلي نفيسة تزين الرأس (تَاسْفِيفْتْ) والأذنين (تِيوِينَاسْ) والصدر (تَاسْدِيتْ) والذراع (دبالج)[31] والأصابع (تِيخُوتَام) والساقين (إِيخَلْخَالْ).

ويرتدي الأطفال الصغار ذكورا وإناثا نفس الثياب، مع تميز الصبيان بحمل حلقة صغيرة في الأذن اليمنى ورؤوس حليقة ما عدا ترك خصلة شعر إما في أعلى الرأس (تَاكطَّايْتْ) أو في الصدغ الأيمن (تَاشْيُوتْ). أما الفتيات الصغيرات فيتخذن حلقة في كلا الأذنين (إلى حين حصولهن على أقْراط حقيقية)، وتُحلق شعورهن بدورهن لكن مع الإحتفاظ بثلاث خصلات شعر، واحدة مثلثة الشكل على الجبهة /38/ (تَاوْنْزَا) واثنتين على جانبي الرأس (تَاشْيِوِينْ).

المسكن:

تعتبر القرى والقصور (إِيغْرْمَانْ بالأمازيغية) مخازن منيعة بالأساس، إذ هي ملاجيء دفاعية في حالة الحرب ضد عدو قوي، أما الحياة العادية فتتم تحت الخيمة وسط القطيع الذي يمثل كل الثروة ويتطلب التنقل.

هناك تمييز بين القرية العادية (**إِيغْرَمْ**) والقرية المحصنة تحسبا للحرب (**إِيغْرَمْ أو تِيغْرَمْتْ نْ لَبْلاَ**) حسب أهميتها. فالقرية العادية لا تتوفر عادة على سور، إذ حين تقرر جماعة (عشيرة أو فخذة أو دوار) بناء قرية، يختار ثلاثة أو أكثر من بين أعيانها المهمين الموقع المناسب قرب عين ماء ويوزعون الأرض بين الأسر، وفي حالة خلاف توزع القطع بالقرعة، فيقوم كل واحد ببناء بيته حسب ذوقه ومزاجه.

لكن كثيرا ما يحدث أن شخصية نافذة تفرض بعض النظام في البنايات، بشكل تتكون معه أزقة أو يُسهّل مهمة الدفاع ضد عدو مفترض أو متسكعي الليل. للقصر آمغار ولجْماعْت سنرى تكوينها فيما بعد، وتتم الحراسة المختزلة عموما إلى حدودها الدنيا على يد السكان أنفسهم، إذ يسهر كل واحد على أمنه الخاص. وحين يصبح أذى اللصوص والمتسكعين خطيرا ومتكررا، تلتئم لجماعت لتقرر إرساء مصلحة عامة، فيعيّن آمغار حينئذ /39/ أمكنة الحراس ويوزعها بين السكان. ورغم عدم وجود زعماء أحياء (رئيس الدرب كما هو الشأن لدى العرب) معينين صراحة، فإن الوجهاء البارزين يعتبرون من طرف الجميع مسؤولين أخلاقيا عن سير مصلحة الحراسة.

30 كتبها المؤلف كما تنطقها الأمازيغيات، وتعني القفطان طبعا (المترجم).
31 جمع دملج بالعربية، ومعلوم أن الأمازيغ يسمون الدملج أسماء مختلفة مثل أَزْبْيْ جمع إِيزْبْيَانْ (المترجم)

اما بالنسبة للقرية المحصنة (إيغْرَمْ أو تِيغْرَمْتْ نْ لَبْلاَ) فيتم بناؤها بنفس الطريقة السالفة، غير أن الفكرة المهيمنة في اختيار موقعها هي حاجيات الدفاع، إذ تُختار لهذا الغرض نقاط مرتفعة ووعرة تجعل أي محاولة للهجوم أو التسلق مستحيلة أو صعبة على الأقل من جهة أو اثنتين، خصوصا ليلا. أما الماء فيأتي في المرتبة الثانية في انشغالات الناس، لأنه معلوم أن القتال يدور دائما في الخارج باستثناء الليل، ويكاد يستحيل فرض حصار يحول دون استعمال عين ماء بعيدة شيئا ما.

بعد اختيار الموقع ترسم لجماعت مربعا منتظما تقريبا لتحديد خط السور الدفاعي (**آكادِيرْ نْ بَرًّا**) وأبراج حراسة ودفاعية (**لَبْرُوجْ، من اللفظة العربية برج**). وإثر استكمال السور الذي يبنى بسرعة في حالة القتال في ليلة واحدة وأحيانا تحت النيران، يستقر المحاربون داخل الأسوار في العراء أو تحت خيام صغيرة (إِيقِيضَانْ من لفظة قيطون) في انتظار إمكانية بناء غرف مسنودة إلى واجهة السور الداخلية، وبعد ذلك يتم تقسيم إيغْرَمْ إلى أربعة أرباع مطابقة لواجهات المربع، حيث تُناط حراسة كل ربع بعدد من المحاربين يتولون المهمة في حالة أي هجوم. وجدير بالإشارة أن هذا التوزيع يأخذ بعين الإعتبار علاقات القرابة كلما أمكن ذلك./40/ لإيغرم بطبيعة الحال أمغاره وجماعته الذين يراقبون سير مصلحة الحراسة وينظمون نوبات العسس.

تمثل الخيمة (**آخَامْ جمع إِيخَامَنْ**) المسكن بامتياز لكونها كما أسلفنا أعلاه الوحيدة التي تسمح بارتياد المراعي واستغلال الحقول البعيدة في أحسن الظروف وتشكيل «تِيزْمَّالِينْ» (جمع تَازْمَّالْتْ) أو المعسكرات الحربية الدفاعية. وتصنع الخيمة ذاتيا من الصوف الناتجة عن جز القطيع العائلي أو المشتراة في السوق، حيث تحرص النساء على إنجاز هذا العمل بعناية لارتباطه بكرامتهن كربات بيوت.

تتخذ الخيمة شكل حرف V مفتوح ومقلوب، وتتكون أساسا من «**إِيفْلِيدْجَنْ**» من الصوف بعرض 60 سنتمترا ومن اثنتين من «تِيمُودَالْ» بعرض 80 سنتمترا، ثم تخاط كل هذه الأجزاء ببعضها في اتجاه طولي. ويختلف عدد **إِيفْلِيدْجَنْ وتِيمُودَالْ** حسب ثروة كل شخص، غير أن الخيمة العادية المتوسطة تحتوي على اثنتين من تِيمُودَالْ وستة إِيفْلِيدْجَنْ. فخيمة حسن ولد موحى أوحمو[32] حيث استُقبل رئيس الجمهورية في بوعنكور سنة 1922 والتي يمكن أن تستوعب 200 شخصا دفعة واحدة، تضم 22 **إِيفْلِيدْجَنْ** من بينها بضعة تِيمُودَالْ. إضافة إلى ذلك تتضمن الخيمة الأدوات التالية:

ركيزتين اثنتين للخيمة (تِيغْسَالْ) بعلو 3 إلى 5 أمتار توضع عليها أفقيا قطعة خشبية منقوشة (آحْمَّارْ) تجتاز الخيمة وتدعمها وتقسمها إلى قسمين.

جانبين اثنين (**إيسْكلاف، جمع آسْكلْفْ**) من نفس نسيج إِيفْلِيدْجنْ يغلقان الخيمة طوليا.

---

32 أحد أبناء الزعيم موحى أوحمو الزاياني الذي انضم للفرنسيين ضمن من اختاروا الصف الفرنسي قبل استشهاد أبيه الذي لم يخضع كما هو معلوم (المترجم).

/41/ جانبين اثنين (إيخريبن، جمع آخْرِيبْ) ويغلقان الخيمة عرْضيا من كل طرف.
أوتاد كبيرة من خشب (بطول متر إلى مترين) (إِينِيضَانْ) وأخرى صغيرة (تِيفُولِينْ) بطول 30 إلى 40 سنتمترا لتثبيت الخيمة على الأرض.
«إيدْرِيقَنْ» و«تِيفاسِّينْ» من الصوف مختلفة الطول توضع بين الأدوات الخشبية والخيمة لتَفادي تآكلها السريع الناتج عن الإحتكاك المباشر بأشياء صلبة.
يتم نقل الخيمة خلال التنقلات على ظهر الدواب (البغال والأبقار والحمير)، أما الأسر الكبرى التي تملك خياما ثقيلة جدا فتستخدم الجمال أحيانا. بالمقابل، تتكفل المرأة بهذه السخرة لدى الفقراء الذين لا يملكون إلا «آقِيضُونْ» بسيطا مصنوعا من القش أو الدوم.

الدين والمسجد:

يعتبر آيت أومالو مسلمين من حيث المعتقد ويمارسون طقوس دينهم بإيمان عميق، غير أنهم على غرار كل الأمازيغ يُهْمِلونها خصوصا حين لا تتوافق هذه الطقوس مع مصالحهم المادية أو مع غرائزهم. ففي كل قرية يوجد جامع (مسجد) تقام فيه الصلوات بطريقة غير منتظمة. وبالنسبة للرحل، يتمثل المسجد في خيمة وسط الدوار حيث يؤدي المؤمنون الصلاة ويدرِّس الطالب القرآن، كما يبيت بها الضيوف الطارئون وعابرو السبيل. ونشير كمثال عن المساجد الرائعة من بين التي نعرفها، مسجد زاوية آيت إسحاق الذي شيده /42/ السلطان سيدي محمد وُسّي الحاج[33] حوالي 1750 وهو حاليا عبارة عن أطلال، ومسجد خنيفرة الذي بناه إِيمْحْزَانْ[34] في عصر كان هؤلاء الأعيان الأقوياء يتصرفون كملوك صغار، وأخيرا مسجد لَقْبابْ الذي يَشِي طرازه الأصيل برغبة أكيدة في إتقان العمل لدى أجداد إِيشْقِّيرَنْ الحاليين.
يتحمّل آيت أومالو برحابة صدر أي كُلَفٍ ذات طابع ديني ويكنون كثيرا من الإحترام والتقدير لرجال الزوايا والطرق الذين يحلون بينهم، غير أنهم باعتبارهم متمردين وماكرين لا يترددون في تسفيههم واحتقارهم بمجرد أن يُوَلّوا الأدبار، وتمثل بعض الأغاني الزايانية التي تتردد في حفلات القبائل أو في خنيفرة خير معبر على ذلك.
يُنجز الجامع (المسجد) على نفقات كل المجموعة عن طريق التبرعات، وهو مكان مغطى لدى المستقرين يتميز أحيانا بشيء من الإتقان، غير أنه غالبا ما يقتصر على غرفة واحدة من الطراز العادي لا تتميز عن غيرها إلا بطلاء من الجير من الداخل والخارج.
أما لدى الرحل، فإن الجامع الذي يطلق عليه آيت أومالو «سِيدْنَا جْبْرِيلْ»(؟) تمثله خيمة متباينة الإتساع والقيمة تتنقل مع المجموعة في ترحالها وتحتل دائما وسط مضارب الخيام.

33 يقصد محمد الحاج الدلائي الذي كانت زاوية آيت إسحاق عاصمة لإمارته قبل تدميرها من طرف السلطان مولاي الرشيد سنة 1665، لذلك فالتاريخ الذي أورده كنون خاطيء.(المترجم)
34 أشهر وأقوى عشائر زايان، وهي عشيرة موحى حمو الزاياني (المترجم).

وللجامع أملاكه الخاصة ممثلة في الأراضي والقطعان التي يهبها المؤمنون، وتدار هذه الممتلكات من طرف لجماعت أو مقدم منتدب يختار من بين رجال القرية أو الدوار المشهورين بنزاهتهم وورعهم /43/، كما يجب عليه أن يكون غنيا ليمارس وظيفته مجانا وبدون أن يمس بمصالحه الخاصة. ويشمل تسيير أملاك المسجد العلميات التالية:

تسلّم الهبات على شكل مواشي (**لْمَالْ نْ لجَامْعْ**) أو أراضي (**إِيكْرَانْ نْ لجَامْعْ**) أو كيفما كانت.

بناء المسجد (في القرى) وصنع الخيمة المسجد (**لدى الرحل**).

شراء الزرابي والحصائر الموجهة لتجهيز فراش المسجد والقِراب اللازمة لتوفير مياه الوضوء.

تشغيل خمّاس أو عدة «خماسين» لاستغلال الأراضي وبعض «**إِيرْيَاعْنِ**» للإعتناء بقطيع ماشية المسجد حين يكون مهما.

مراقبة هؤلاء الأجراء.

جني محاصيل الأراضي وبيعها لصالح المسجد بعد عملية القسمة مع الخماسين.

إحصاء الماشية في الأوقات العادية وتصفية الحسابات مع **إِيرْيَاعْنْ**.

تحديد المصاريف المقررة من طرف لجماعت أو المفروضة حسب التقاليد.

وتؤدى مصاريف بناء المسجد مبدئيا من أموال المؤسسة، وينطبق نفس الشيء على شراء ونقل الأخشاب وغيرها من مواد البناء، أما في الواقع فإن لجماعت تنفذ دائما الأشغال التي لا تتطلب أهلية خاصة من طرف أهل القرية مجانا (**تِيوِيزَي**)، مثل حفر الأسس ونقل الأحجار والجير والأخشاب وغير ذلك، بحيث تتم أعمال السخرة هذه دون تبرم بسبب صبغتها الدينية.

أما الخيمة-المسجد لدى الرحل، فتُنسج عموما بالمجان/44/ من طرف المجموعة كلها بعد اتفاق الأسر حول الأجزاء التي تود التكفل بإنجازها. وفي حال تعذر ذلك لأي سبب، تشترى الخيمة ويؤدى ثمنها من أموال المسجد.

يُشغَّل خماسو المسجد ويعاملون وفق نفس شروط الشراكة التي يخضع لها نظراؤهم لدى الخواص، أما الرعاة فلا يتم اللجوء إلى خدمتهم إلا إذا كانت أهمية القطيع تفرض ذلك، وفي الحالات الأخرى يتناوب رعاة القبيلة على رعي القطيع الصغير للمسجد مجانا.

أما إذا كان المسجد يملك راعيا خاصا، فإنه يشغله طبقا لنفس الشروط السارية بين الخواص، أي منحه ربع الولادات في السنة، فضلا عن ربع الصوف والزبدة، ومن هنا تسميته آرْيَّاعْ (**جمعه إِيرْيَاعْنْ**).

وعلى المقدم (**أو لجماعت في ظروف معينة**) أن يمارس على أجراء المسجد نفس المراقبة التي يمارسها على أجرائه، وأثناء تصفية الحسابات يدافع عن مصالح المسجد كما لو كان الأمر يتعلق بممتلكاته الخاصة، لتفادي السرقات أو ممارسات الغش المحتملة دائما لدى شعب ذي إيمان ضعيف على العموم.

إن مداخيل المسجد التي كان العرف يرصدها سابقا للأغراض الدينية أو لإسعاف الفقراء تستعمل حاليا وبشكل يكاد يكون حصريا في الإستعداد للحرب، باقتناء السلاح والذخيرة الكفيلة بتسليح المحاربين الفقراء تحسبا لبدء القتال أو لمواجهة ظروف مضطربة، مما يترتب عليه في كثير من الحالات أن موقف الجماعات أثناء خلافاتها مع الجماعات المجاورة رهين أساسا بحالة صندوق الحرب ممثلا في أملاك وأموال المسجد.

/45/ إن المصروف العادي للمسجد هو أجر الشخص (**رجلا أو امرأة**) المكلف بصيانة المؤسسة، ويتمثل هذا الأجر أساسا في شراء ثياب حين تبدو الحاجة إلى ذلك بمناسبة الأعياد الدينية الرئيسية. أما خدمة حارس المسجد فتتمثل في التنظيف اليومي والتزويد بالماء، وفك الخيمة المسجد وإعادة نصبها لدى الرحل خلال تنقلات الدوار.

يعتبر المسجد ملاذا لا يجوز انتهاكه للأفراد الفارين من المقاضاة العمومية أو من الخصوم. كما أن طالِب القرية أو الدوار الذي يشاهد عموما في المسجد حيث يؤم الصلاة ويلقن القرآن يبقى بعيدا عن تسييره وصيانته، فلا يتدخل إلا إذ طُلب منه توثيق أمر ما كتابة، كما أنه لا وجود لإمام ولا نعرف أي مِلْك للأحباس في بلاد آيت أومالو.

الضيافة (تِينُوبْـكا)

يمارس الأمازيغي الضيافة بسخاء بقدر ما تسمح به إمكانياته، وقد يستدين أحيانا ليحتفي بضيوفه، بل إن آنكلافْ أو الشخص الذي يفر من الضيوف أو يهملهم أو يسيء معاملتهم يفقد أي اعتبار لدى إخوانه وأصدقائه مثله مثل الجبناء الفارين من ساحة القتال.

هكذا يكون كل مسافر يحُل بقرية أو دوار على يقين بأنه سيجد استقبالا جيدا، فإذا كان يعرف أحدا هناك يقصد داره أو خيمته حيث يتم استقباله بكل الحفاوة اللائقة. أما إذا لم يكن يعرف أحدا، فإنه متأكد /46/ من استقباله في المنزل الأول أو الخيمة الأولى التي يتقدم إليها قائلا «**آنْبكي نْ رَبّي**» (**ضيف الله**).

ورغم شغفهم بالمساواة، يراعي الأمازيغ مقام ضيوفهم وإن كانت الحفاوة نفسها حتى حين يتعلق الأمر بزوار متواضعين، بحيث يتم التمييز بين صنفين من الضيوف: الأقرباء والأصدقاء، والغرباء أو الرسميون، مسافرون أو أعيان القبائل المجاورة أو لجمّاعات وشخصيات دينية.

أما الأقارب والأصدقاء فيستقبلون داخل الأسرة التي يقصدونها حسب العلاقات التي تجمعهم بها ودرجة حميمية الأواصر وكذا وضعيتهم، ويخلو مثل هذا الإستقبال من أي تكلف أو ترتيب، ومع ذلك يحرص الأمازيغي على ألا يقَصِّر في الحفاوة في كل الأحوال، وفي حالة عوزه فإنه يعتقد في التعويل على معذرة ضيوفه، بحيث لا يألو أبدا في أن يقدم

لهم كل ما تسمح إمكانياته باقتنائه. فبالنسبة للبعض لا بد من «تَامْغْرُوسْتْ» التقليدية (ذبح خروف) وما يرافقها من مشوي و«طواجين» و«طْعَامْ» (كسكس)، وبالنسبة للبعض الآخر يتم ذبح «إِيغْجْدْ» (ماعز) أو اقتناء رِطْلَين فقط من اللحم لدى الجزار لإعداد كسكس من القمح أو الشعير أو الذرة. بل يكون على الضيف أحيانا أن يقبل بوجبة العائلة التي تقتصر على كسرة خبز وثلاثة أكواب من الشاي، بينما يستقبل«آمناي» (الفارس) دوما بـ«إِيدَامْنْ» (الدم)، أي بذبح حيوان حتى لو كان دجاجة.

أما الضيافة الرسمية المتعلقة بالغرباء العُزّل وأعيان القبائل المجاورة أو أعضاء لجْماعات /47/ والشخصيات الدينية المنحدرة من أسر شهيرة، فتخضع لقواعد محددة. فأنّى كان عددهم، للغرباء الحق في ضيافة كريمة وودية على نفقة الدوار أو الفخذة أو القبيلة حسب الحالات. إذ يستضاف على حساب الدوار الذي يبلغونه عند حلول الليل كل الغرباء العزل الذين لا يعرفون فيه أحدا، والذين يسافرون لقضاء أغراضهم الخاصة وتكون مواصلة السير في ساعة متأخرة محفوفة بمخاطر حقيقية. أما الأعيان وأعضاء لجْماعت عشيرة أخرى من القبيلة أو من قبيلة مجاورة، والذين يحلون بأحد دواوير المجموعة لمعالجة أمر يهم مجموع الفخذة، أو باغتهم الليل وعليهم اجتياز أراضي الفخذة أثناء أداء مهمتهم فيستضافون على نفقتها.

أخيرا يُستضاف على نفقة القبيلة وفي نفس الشروط الأعيان وأعضاء لجْماعات القبائل المجاورة والشخصيات الدينية أو غيرها ممن يشمل تأثيره مجموع القبيلة، وفي كل جماعة هناك «تاوالا» (دَوْرُ أو نوبة الضيافة) يتم اتباعها بدقة، بحيث تتناوب الفخذات على الإعتناء بالضيوف كيفما كان عددهم، وحدها الأمور المتعلقة بالمسافة والأمن يمكن أن تحدث على نظام التناوب القائم تعديلات تؤخذ بعين الإعتبار في المرة التالية. أما داخل كل عشيرة فتتناوب الدواوير فيما بينها وفق نفس الشروط، ويتم اتباع الطريقة التالية داخل الدوار:

هناك دوْر في تقديم الحيوان الواجب/48/ ذبحه للمناسبة باعتباره أساس طعام الضيافة، ودوْر آخر بالنسبة لمختلف المواد الملْحقة من خبز وسمن وكسكس وحليب وتوابل وغيرها، إذ تقدم الخيام الذبيحة (خروف، حمَل، معزة أو جَدْي حسب مقام الضيوف) بالتناوب وفق ترتيبِ مكانِها المعتاد في الدوار. غير أنه في حالة الإقرار بفقر خيمة ما وعدم قدرتها على توفير ذبيحة مناسبة لمقام الضيوف وعددهم، يتم تكليف الخيمة الموالية ثم تعود الخيمة المعفية إلى تحمل دورها عند أول مناسبة مواتية.

أما مختلف المواد الأخرى الضرورية لإطعام الضيوف، فتشكل الخيام مجموعات من أربعة أو خمسة لتوفيرها، بحيث تتناوب هذه المجموعات وفق نفس الترتيب في الدوار أو حسب الدور المتعارف عليه فيما بينها. وتتناوب الخيام ضمن كل مجموعة على جمع اللحم والمواد

الأخرى لتحضير الطعام وضمان نوم الزوار. وفي كثير من المجموعات، تكون نفس الخيمة دائما مرشحة لذلك نظرا لحجمها المناسب أو مهارة نسائها في الطبخ أو لدواعي أخرى يقرها المعنيون.

يعفى الفقراء والطُّلْبة المكلفون بتعليم القرآن من هذه الكُلف، كما تستثنى الخيام أو المنازل التي ليس فيها إلا نساء من التناوب القائم، مع مشاركتها حسب إمكانياتها في تكاليف الإستضافة.

ويعود جلد الحيوان المذبوح لمن وفّره، بينما يستعمل الكبد والشحم في تحضير قطبان الكبد الملفوفة «تُوتّلا» التي يسيء غيابها في البداية أو عدم جودتها لباقي طعام الوليمة في نظر الضيوف./49/ أخيرا، يُتخلى عن الرأس والأرجل والأمعاء للأشخاص المكلفين بطهي المشْوي.

يتناول الضيوف الطعام وينامون في المنزل أو الخيمة التي استقبلتهم، وإذا كانوا ذوي منزلة متواضعة قد يوَجهون إلى الجامع (الخيمة المسجد) بعد أن يمنح لهم الفراش اللازم. ويشارك أعيان الدوار في تناول الطعام المحضّر للضيوف، اللهم إلا إذا كانت منزلة هؤلاء أعلى بكثير من منزلتهم. وعلى العموم، يبقى صاحب الخيمة المستقبِلة منزويا في الجهة التي تأتي منها الأطباق يراقب الخدمة التي تناط إما بخدم الضيف إن كانوا لديه أو بخدم متطوعين من الخيام المجاورة.

تنتقل الأطباق بالتتابع من جماعة الضيوف إلى جماعة أعيان الدوار ثم لصاحب الخيمة الذي يحرص على دعوة كل رؤساء الخيام التي ساهمت في توفير بعض عناصر طعام الوليمة، بينما يرسل الباقي للنساء والأطفال. غير أنه من الخطأ استنتاج أن هؤلاء الأخيرين تساء معاملتهم، لأن من سبقهم من المدعوين حول الأطباق يحرصون على عدم الإفراط في الأكل.

وينبغي أن يتضمن الطعام المشرِّف المقدَّم لضيوف مميَّزين الوجبات التالية المذكورة حسب ترتيب تقديمها:

قضبان الكبد الملفوفة مشوية على الجمر (تُوتّلا).

طبقين من المشوي (يتكونان غالبا من النصفين الأمامين للخروف مشويين على الجمر أيضا)

طجين أو أكثر من الدجاج، أحدها مرفوق ببيض مسلوق يغلف الدجاج.

طجين أو أكثر من لحم الغنم

كسكس بالسكر والقرفة (السَّفَّة)

كسكس بمرق عادي (الطْعامْ)

إسفنج بالعسل

فطائر بالسكر والعسل (بَغْرِيرْ).

/50 إلا أنه نادرا ما تُقدم كل هذه الوجبات كاملة لدى هذا الشعب من الفلاحين، ومن ثم على الضيف أن يعتبر مُحتفىً به بشكل لائق حين تُقدَّم له قضبان الكبد المشوية والمشوي وطجين من الدجاج وآخر بلحم الغنم والكسكس العادي.

يقدم المشوي أولا على شكل قطع كاملة مع الخبز وقضبان الكبد، على قطعة صوف بنية اللون تسمى «تاميزارْتْ أُو غْرُومْ»، ويجب أن يكون الخبز ساخنا أو طريا جدا. وفي حالة ما إذا كان الضيف ذا مرتبة عالية، يوضع الكل أمامه ليأكل كما يحلو له، بعد أن يغسل يديه في الطّاسْ حسب ما تقتضيه العادة. في المقابل، حين يكون الضيوف عاديين يقوم رب الخيمة أو أحد أقربائه بتقسيم المشوي إلى أجزاء حسب عدد المدعوين لينال كل واحد نصيبه، مع تفضيل الضيوف بأحسن الأجزاء، كما يحتفظ عموما بنصيبين أو ثلاثة لمن قد يلتحق بالوليمة بشكل غير متوقع، وإذا لم يصل أي شخص قبل انتهاء الطعام تعاد هذه القسمات في «تامِيزارْتْ أُو غْرُومْ» إلى مُستخدمي الخيمة.

وبما أن الشوكة والملعقة غير موجودتين لدى الأمازيغ، فإن قِطع لحم المشوي تُفصَل باليد، غير أنه لا يجب علي الأشخاص المميزين عضّ حصتهم من اللحم مباشرة بالأسنان، إذ يُحتفَظ بآخر معركة ضد العظام والفتات للخدم ثم للكلاب. أما الكسكس فيؤكل أيضا باليد بتكوين كُرَيّات بمهارة في راحة اليد اليمنى. وبطبيعة الحال، يلتزم كل مدعو بتناول لحم الطواجين والكسكس الموجودين أمامه، دون أن يلحق أي أذى بالأيدي الذي يغطيها الشحم بسرعة، لذلك يضطر صاحب الوليمة إلى تمرير إبريق الماء لغسل الأيدي بعد /51/ كل وجبة من المرق وقبل تقديم الكسكس في كل الأحوال. إلا أن كثيرا من الأمازيغ يبدون الرغبة في لعق الأصابع بعد الأكل، مما يعتبر فعلا يثير التقزّز بالنسبة لعيون أوربية، لكنه جد مقبول في هذا البلد، ، كما يعتبر التجشُّؤ مقبولا.

يجب صنع الخبز والكسكس من دقيق القمح بالنسبة للضيوف المتميزين والمهمّين، بينما يقتصر الضيوف الآخرون على المواد المستعملة عادة لدى الأسرة التي تستقبلهم. كما تقتضي الضيافة أن يتناول الضيوف الذين قضوا الليل في خيمة أو منزل الفطور قبل مغادرتها، وتتكون هذه الوجبة عموما من الخبز والشاي وطجين من لحم الغنم أو الدجاج، تقدم حوالي التاسعة صباحا أو قبل المغادرة في كل الحالات. أما الضيوف الذين مكثوا في هذه الخيمة أو ذلك المنزل إلى ما بعد الزوال، فيتناولون حوالي الرابعة وجبة خفيفة (آلآسْ) من الخبز والزبدة والشاي.

وتجهل عبارات «بسم الله «و»الحمد لله» التي يُستَهلّ ويُختتم بها الأكل في البلاد العربية، أو على الأقل قليلة الإستعمال في بلاد آيت أومالو، بحيث لا تُسمع إلا حين يوجد طالبْ بين المدعوين.

رغم كون تقاليد وقواعد الضيافة معروفة ومقبولة لدى الجميع، فإن آيت أومالو يظهرون

حساسية مفرطة تجاه الطريقة التي تتم بها هذه الضيافة خصوصا تجاه مجالس لجْماعات المكونة. وفي هذا الصدد هناك طقس لا يمكن إغفاله دون الإساءة بشكل جدي للضيوف بل قد يضطرون أحيانا إلى الذهاب إلى مكان آخر وسط استنكار الجميع.

/52 فالضيوف يجب أن يُستقبَلوا بحفاوة، إذ بمجرد اقترابهم من الدوار على أول رجل يراهم أن يسارع إلى لقائهم والترحيب بهم وإيوائهم إلى خيمته أو غيرها ويُقدِّم لهم الشاي، كما ينبغي ربط خيولهم وتغطية السروج لحمايتها من الشمس أو المطر. يكتسي هذا الإجراء «آسّيكْمْ» (الدخول) أهمية قصوى، لأن ترك الضيوف «في الخارج» أو جعلهم ينتظرون أكثر من اللازم يعتبر سوء تصرف مشين. في ذات الأثناء يلتحق «إيجْمّاعْنْ» (أعضاء لجماعت) بالمجموعة حيث يتناولون الشاي ويستخبرون عن أسباب الزيارة-دون طرح أسئلة مباشرة- لتحديد من سيتحمّل مصاريف الإستضافة. إثر تناول الشاي ينتقل الضيوف إلى الخيمة التي عليها دوْرُ استقبالهم يرافقهم واحد أو عدة أعيان يمكثون معهم إلى الغروب لمؤانستهم والحرص على ألا ينقصهم أي شيء. وفي حالة وجود خدم مرافقين للضيوف يُقتادون إلى خيمة أخرى، غير أنهم يُطعَمون من نفس الخيمة التي تأوي أسيادهم.

هذا بالنسبة للضيوف العاديين ذوي أهمية ما، أما حين يتعلق الأمر باستضافة شخصيات أكثر اعتبارا، مثل «آmرّامْ » مشهور كسيدي علي آمهاوش أو سيدي محمد بن الطيبي، فإن طقوس الإستقبال والحفاوة مغايرة تماما، إذ تتم تعبئة حقيقية لكل ما هو جيّد وجميل ومريح في القبيلة، فيرتدي الرجال والنساء والأطفال أجمل ثيابهم ويتم إخراج السروج المزيّنة، كما يذهب فرسان يختارون من بين الأكثر شهرة إلى حدود مضارب القبيلة للقاء الضيف، حيث /53/ يستقبلونه بمظاهر الحفاوة البالغة والمحترمة (طلقات البارود... إلخ)، لتتم مرافقة آكرّامْ إلى أفضل مكان يليق باستقباله، حيث تُنصَب خَزْنته (الخيمة) وسط الدوار الضخم المقام خصيصا للإحتفاء به ورعايته خلال مدة إقامته. بعد ذلك تتوالى الأطعمة والمؤن عليه وعلى رفقته كثيرة العدد في الغالب، فيكثر الزرع والسمن والعسل والسكر والشاي والشعير للبهائم، بحيث توفر القبيلة ذلك وفق توزيع موضوع مسبقا من طرف آمغار ولجْماعت. كما تتدفق الهبات الخاصة من طرف المحاربين الباحثين عن حماية آكرّامْ أو من المتخاصمين الراغبين في عرض نزاعهم عليه أو من أعيان طامحين فقط في نيل رضاه.

الحاصل أن آكرّامْ يحظى بحفاوة بالغة من لدن الجميع ولا يدخر أحد جهدا لنيل بركته حتى يحين موعد سفره، فتتم مرافقته إلى حدود تراب القبيلة من طرف نفس نخبة الفرسان محمّلا بالهدايا المتنوعة، من جياد عتاق وبنادق رفيعة وتلاليس[35] من القمح والشعير والسكر والشاي، وأحيانا ترافق القافلة واحدة أو أكثر من أجمل عذارى المكان سعيدات وفخورات باختيارهن وإعطائهن للرجل الصالح ...

---

35 جميع تَلّيسْ أو أتليس، كلمة أمازيغية تعني الكيس، وهو مخصص لحفظ الغلات ونقلها. (المترجم)

في الضرائب والخدمات العينية:

لم يكن آيت أومالو يؤدون أي ضريبة للمخزن الذي يتجاهلونه حتى عندما كان يُعين قياد بانتظام في جوار بلادهم، غير أنهم يؤدون من أجل أمنهم أو إدارة شؤونهم بضعة ضرائب منتظمة أو استثنائية، بعضها تحدده الأعراف والشرع والبعض الآخر تحدده لجماعت.
54/ وتتمثل الضرائب المنتظمة والدائمة في الفَطْرات[36] والعشور، تؤدى الأولى صباح يوم العيد الصغير (لْعيد إيمْزّي[37]) الذي يطابق نهاية شهر رمضان، وتتمثل في حصص من أربعة «آرَاوْنْ» من الحبوب حسب عدد أفراد الأسرة الأحياء بمن فيهم الرضع والخدم توزع على الفقراء، وقد تعطي بعض الأسر فطرات عن بعض أمواتها، وآرَاوْ هو الصاع. ويعتبر هذا العطاء إجباريا لا يتملص منه أي أمازيغي بحكم طابعه الديني بالأساس[38].
قد يكون الزرع الموَزَّع في زكاة الفطر قمحا أو شعيرا أو ذرة، إلا أنه جرت العادة أن على كل شخص أن يؤدي الفطرة من الغلة التي تشكل أساس غذائه الإعتيادي. فيأتي الفقراء إلى المنازل والخيام بحثا عن الفطرة، أما الطالْب[39] فيحصل على حصته في المسجد أو المكان الذي يقوم مقامه، حيث توضع على قماش ينشره بعناية أمام الباب منذ فجر يوم العيد.
لا تحصل لجماعت على أية حصة من الفطرة، ويعطى زرع الفطرة الذي يُخرج عن الرضيع لقابلة والدته مبدئيا ما عدا إن كانت امرأة موسرة، وفي هذه الحالة تعين الشخص الذي يستفيد من الفطرة محلها.
ويُعفى رب الأسرة الذي يعجز عن إخراج الفطرات مؤقتا حسب العادة، إلا أن الأمر لا يعدو كونه تأجيلا، إذ عليه أداء هذا الدّيْن تجاه الفقراء بمجرد ما تتحسن وضعيته، ولتفادي أية إمكانية سهو أو نسيان يعلّق على /55/ جدار غرفته أو عمود خيمته (تاغْسَلْتْ) شيئا ما يذكره باستمرار مثل دُملج أو قِرط أو غيره...، وأحيانا يُرهَن هذا الشيء لدى جار يعيده لصاحبه بمجرد أداء الفطرة، إلا أن ذلك يبقى عفويا من طرف المدين للفقراء. كما يجب على الفقراء أنفسهم توزيع الفطرات على من هم أكثر فقرا باقتطاعها مما حصلوا عليه من الأسر الموسرة.
وخلال فترة عاشوراء تقضي العادة أن يؤدي كل شخص عن قطيعه أو أمواله ضريبة لفائدة الفقراء دائما تقدر بعُشُر الماشية والنقود المكوّنة لثروته، إلا أنه نادرا ما تتجاوز 2,5 بالمائة في الممارسة، فضلا عن أن العشور لا يتوجب أداؤه إلا حين يملك المرء أكثر

36 الفطرات أو زكاة الفطر.(المترجم)
37 عيد الفطر. (المترجم)
38 لا يجد كنون بدا من إقرار بعض الحقائق التي تثبت شدة تدين آيت أومالو والتزامهم بمقتضيات الشريعة رغم إيماءاته التي يسعى من ورائها إلى تأكيد الأطروحة الإستعمارية التي تزعم قلة تدينهم سطحية إيمانهم (المترجم)
39 يعني الفقيه إمام المسجد (المترجم)

من أربعين رأسا من الماشية، بينما لا يوجد حد أدنى للنقود[40]. ويحدد تكوين القطيع ذاتُه النسبةَ المقتطعة من الخراف والماعز، كما يمكن تقديم وقت أداء الزكاة حين يعتقد أمازيغي مثلا أنه من الضروري عدم ترك فقير من الأقارب ينتظر.

يختار كثير من الأمازيغ يوم العيد الكبير[41] (لِعِيدْ مِقِوزْ) للقيام ببادراتهم الخيرية، لأن البعض يعتقد أن اليوم أفضل يوم عند الله، ويختار المحسنون أنفسهم المستفيدين من صدقاتهم.

فضلا عن هاتين الضريبتين المنتظمتين اللتين تبقيان طوعيتين، يمكن للجْماعت بعد المداولة أن تفرض على الإتحادية أو القبيلة أو الفخذة أو الدوار ضرائب استثنائية لمواجهة حاجات محددة بدقة./56/ هكذا يتم فرض نفقات جماعية لتهيئة بوابة موجهة لاستخدام القطيع أو أية منشأة ذات نفع عام معترف به. كانت هذه المصاريف الطارئة توزع من طرف لجماعت وفق الشروط المشار إليها أعلاه، بحيث تتحملها تقسيمات كل مجموعة بالتساوي دون مراعاة لثروتها أو عدد خيامها أو وضعية حقولها. وتستخلص المبالغ المفروضة في كل حالة من طرف «إيمُورْنْ»[42] الدواوير الذين يؤدونها لآمغار القبيلة على يد إيمورن المرتبة الأعلى.

أخيرا يؤدي آيت أومالو عن طواعية هباتٍ لمساجدهم على شكل ماشية بالخصوص. وقد سكتنا عن تكاليف استقبال الضيوف، إذ رغم كونها من الكلف الثقيلة فإنها تخضع لشروط خاصة أسلفنا دراستها ضمن قواعد الضيافة.

الخلاصة أن آيت أومالو لا يقبَلون بخصوص الضرائب المنتظمة إلا تلك التي يفرضها عليهم الدين، ومع ذلك يرفضون أي قسر حتى بهذا الصدد. وعلى الصعيد المحلي لا يوافقون إلا على جبايات استثنائية تستخلص لأهداف محددة بدقة، شريطة ألا يُطلب منهم كل مرة إلا المبلغ الضروري للعمل المقترح. هكذا لا نجد لديهم ذلك التنظيم الذي أعجِبنا به في القبايل، كما لا يتوفرون على ميزانية ولا على احتياطي مالي.

تترتب هذه الوضعية أساسا عن /57/ حالة الحرب الدائمة تقريبا التي كانت تعيشها القبائل وعن حياة ترحالها، فقد قادت الحاجة إلى إيجاد زعماء للحرب بالفعل أمازيغنا المغاربة تدريجيا إلى تعويض سلطة لجماعت القديمة المكونة من مجموع المواطنين بسلطة لجنة صغيرة مختزلة في بضعة أعيان، لكنها مفوَّضة بكل صلاحيات الجمعية القديمة التي احتفظت باسمها، علاوة على ذلك فإن أعضاء هذه اللجنة-لجماعت غير مختارين ولا منتخبين من الجمهور، مما يفضي إلى جعل مصير المجموعات بين يدي أناس لا يمثل الاهتمام بالشؤون العامة أولوية لديهم دائما، بل صار بعض هؤلاء الأعيان مستبدين

40 واضح أن كنون غير ملم بتفاصيل الواجبات الضريبية الشرعية، إذ من المعلوم أن الأموال الملزمة بالزكاة هي التي حال عليها الحول. (المترجم)

41 عيد الأضحى (المترجم)

42 إيمورن، جمع أمُوزْ أي الحصة أو القسمة، ويبدو أن المكلفين بجمع هذه الحصص هم ايت إِيمُوزْنْ (المترجم)

حقيقيين مارسوا أحيانا طغيانا فعليا، ونذكر كنموذج لهذا الاغتصاب للسلطة مثال موحى أوحمو آزايّي (الزاياني) وأبناؤه وأحفاده الذين نجحوا في تأسيس نظام فيودالي حقيقي لصالحهم ظل قائما إلى سنة 1920 بعد أن كانوا مجرد «إيجَمّاعْنْ» بسطاء.

تتعدد آثار خضوع الجماهير لبعض القادة والزعماء، فمن جهة ورغم المظاهر المعاكسة، صارت هذه الجماهير عاجزة عن تمييز مصالحها الحقيقية نتيجة فقدان عادة الإهتمام بها والتعويل بهذا الصدد على أفرادها النافذين. ومن جهة أخرى، فإن هؤلاء الأخيرين الحريصين على مصالحهم الذاتية أكثر من مصالح الجماعة قد نجحوا في تحويل الموارد المتأتية من تسيير العدالة وفرض بعض الجبايات لفائدتهم، بحيث صار الحصول على مبلغ الغرامات المفروضة مكسبا لأعضاء هذه لجْماعت، كما يفرضون لفائدتهم أيضا مكوسا على مختلف المعاملات /58/ بل يحتفظون لأنفسهم بجزء من مبالغ الدِّيّات بين الأشخاص.

في مثل هذه الظروف المؤسِفة نفهم بيسر غياب أية ميزانية عامة وتردد الأمازيغ في قبول فرض جبايات ترمي إلى تكوينها، ومن ثم حالة الإهمال المزرية التي تركت فيها المسالك والعيون والقرى.

بالمقابل، يبدي آيت أومالو عداء أو لامبالاة أقل تجاه الخِدمات العينية، نظرا لكون مراقبة استخدام جهدهم وعرقهم أسهل من مراقبة المبالغ المؤداة للأعيان، إذ يتعين على كل رجل مُعافى قادر على ركوب الخيل -(وفي بلاد القبايل حيث يحال أكثر على الدين يقال: كل من بدأ الصيام)[43] أداء نصيبه من العمل مع دوابه كلما فرضت لجْماعت ذلك. غير أنه لكي يفرض إلزام رسمي يتوجب أن يكون العمل المفروض تنفيذه موجّها لمصلحة عامة واضحة أو تفرضه عادات الأسلاف، أما في الحالات الأخرى فلن تُطلب مساعدته إلا بطريقة ودية وتطوعية، ويكون الإلزام أساسا في الظروف الآتية:

بناء المسجد (لجْامْعْ) أو ترميم ضريح (رُّوضْتْ)، أو حرث وحصاد لصالح آكرّامْ (شخصية دينية) أو آمغار المجموعة، أو بناء قصر لتقوية الدفاع عن المجموعة (إيغْرَمْ نْ لَبْلاَ) وأشغال أخرى ذات منفعة عامة معترف بها تنجز بناء على أوامر لجْماعت.

جدير بالذكر أن العادة تستثني في أداء هذه الخدمات الشيوخ والعجزة والطُّلْبة والحداد والحفّار والبرّاح، أما النساء /59/ ربات الخيام الميسورات فيؤجرن عمالا، كما أن الرجال المسافرين لا يُعفَون -كما هو الشأن بالنسبة للحرب- إلا إذا صادفهم صدور الأمر بتنفيذ الأشغال خارج بيوتهم أو خيامهم، غير أن تكليف الغير مسموح به.

وتُترك الأشغال ذات صبغة خاصة بشكل كامل على عاتق المجموعة أو الأفراد الذين يستفيدون منها، من ذلك مثلا أن السواقي يتم حفرها وصيانتها من طرف ملاك الحقول

43 هناك تعبير مماثل لدى القبائل المغربية يشير إلى معيار بلوغ الرجل ومن ثم التزامه بمختلف الواجبات، وهو «حَدّ الصّايم»، أي كل من بلغ سن وجوب الصوم (المترجم)

التي تُسقى منها، وحين يكون هؤلاء كثيرين أو ينتمون إلى مجموعات مختلفة، فإنهم يختارون آمغار ن تارْكا (آمغار الساقية) من بين المجموعة عن طريق القرعة (إيلاَنْ)، وهو مكلف بالسهر على إنجاز العمل المطلوب بعد تحديد عدد العمال الواجب توفيرهم ونصيب كل مجموعة في المهمة، وعموما بعد أن يُصدر تعليمات لـ«إيمورْن»[44] بخصوص التفاصيل الضرورية (لأنه يحتاج أيضا إلى ممثلين خاصين).

كما أن بناء الجسور والقناطر يعتبر من مسؤولية الفخذات أو القبائل المدعوة لاستعمالها، وهذه المنشآت نادرة على كل حال. هكذا نجد أن القنطرة المسماة «تِيلُوكيتْ تاجِيزُونْتْ» 'القنطرة العرجاء) وقنطرة خَلاّدَا (على وادي م الربيع) قد بنيتا بمساهمة إيشقيرن وآيت إسحاق فقط، لكون مراعيهم موجودة شمال النهرين.

السوق:

يُعقد السوق مرتين أسبوعيا في اليوم والمكان المحددين من طرف لجماعت، ويكون في ملك قبيلة أو قبيلتين أحيانا، لأن شراء الأرض التي يقام فيها يكون على نفقة المجموعة كلها أو تمنح مجانا للجماعت من طرف المالك، وفي بعض الحالات يحتفظ مانح الأرض بتوافق مع لجماعت بحق استخلاص واجب ضئيل على خيام البقالة أو الإستفادة من الحجامة والحلاقة مجانا كما هو شأن أهل دوار آيت عْمَرْ (آيت مشان) بلقباب الذين يملكون المكان حيث يقام سوقا الإثنين والخميس.

ويمكن للمجموعات ألا تكتفي بسوق القبيلة وتخلق أسواقا خاصة في مضاربها دون إذن أحد، وحدها لجْماعت الدوار أو الفخذة تقرر في ذلك، غير أنه لا يتم استعمال هذا الحق إلا في حالة الحرب حين تكون المسالك المؤدية إلى سوق القبيلة غير آمنة بالنسبة للمنعزلين.

كما يمكن للجْماعت القبيلة أن تتخذ قرار نقل السوق إلى مكان آخر أو تغيير أيام انعقاده، لكنها لا تفعل ذلك إلا نادرا جدا ولأسباب جدية حقا، لأن مثل هذا الإجراء يمكن أن يؤدي فضلا عن إلحاق الضرر بالعادة العزيزة على الأمازيغ إلى اضطراب حقيقي في حياة القبيلة وجيرانها.

يشتغل السوق تحت حراسة آمغار القبيلة المكلفة بضمان سيره، حيث يتلقى الشكاوى ويتخذ كل الإجراءات الضرورية لاستتباب النظام، في ظل مراقبة مختلفة الفعالية للجماعت، إذ تكون العقوبات المفروضة مبدئيا على مثيري الإضطراب (لصوص، محتالون...إلخ) محددة مسبقا في أدق تفاصيلها وليس على آمغار إلا تنفيذها. هكذا مثلا حين يتعارك شخصان

44 إِيدْ بَابْ نْ إيمُورْنْ أو ايت إيمُورْنْ، حرفيا اصحاب النصيب، وهم ممثلون عن الفرقاء المعنيين، ويوجدون في مختلف بنيات ومستويات التمثيلية لدى إيمازيغَن (المترجم)

/61/ في السوق يتعين على آمغار أن يتدخل على الفور ليذبح ثورا على نفقتهما، يوزع لحمه على الأعيان والفقراء وأحيانا بعض المنحرفين. كما يتم تحديد حالات المسؤولية الجماعية بدقة مسبقا أيضا. ومع ذلك، نظرا لصعوبة توقع جميع الحالات، كثيرا ما يحدث أن تؤدي حوادث بسيطة إلى تطورات خطيرة بين الإفراد في البداية ثم بين الفخذات ومن قبيلة لأخرى أخيرا. آنذاك تتدخل لجماعات لصالح أبناء قبائلها، وبعدها يتدخل إيكرّامّن الذين يلعبون عموما دور الحكم، وإذا تعذر تحقيق التفاهم يسفر الأمر عموما عن حالة قريبة من الحرب إن لم تكن الحرب ذاتها.
تتمثل حوادث السوق الأكثر خطورة في المشاجرات والإضطرابات المصحوبة بإطلاق النار، حينها يُقال إن السوق«كُسِّر» (إيرّزَا سُّوقْ) وتُنهب المتاجر. منذئذ لا تعرف القبيلة المالكة للسوق الراحة إلا حين يتم الثأر للإساءة بتعويض الخسائر المتكبّدة، حيث تربط لجماعات الإتصال فيما بينها وتستنجد بإيكرّامّن، بينما تتوقف المعاملات التجارية وكل اتصال بين أفراد القبيلتين لتفادي تأزيم الوضع بسبب نشوب حوادث متفرقة، إذ يكون الوضع آنذاك على شفى الحرب وتكفي مجرد شرارة لاندلاعها.
إن السوق ضروري لأومالو مثل الهواء التي يتنفسه، بحيث يترك أكثر الأشغال استعجالا من أجل ارتياده. وحين يحول سبب قاهر دون ظهوره /62/ شخصيا في السوق يبعث ابنه أو أحد أقاربه، وأحيانا فإن المرأة لدى الأسر المتواضعة هي من تذهب إلى السوق.
ذلك أن السوق بالنسبة للأمازيغي ليس مكانا للتزود والتبضع فحسب، بل يمثل أيضا وبالأخص النادي السياسي بامتياز، ففيه تُعرض كل المسائل والنزاعات التي تتطلب تدخل لجماعت الأعلى من لجماعت الدوار أو اللجوء إلى آمغار أو حَكَم أجنبي (آنَحْكامْ)، وفيه أيضا تُعقد وتُفسخ المواثيق والعقود وتتم الثرثرة وتشاع النميمة ويُعلق عليها، وتنتقل الأخبار بين الإخوة في الشمال والجنوب والشرق والغرب، فضلا عن المعلومات المتصلة بسياسة القبيلة والفخذة. وفي السوق أخيرا تحضّر العناصر المحاربة عملياتها ضد القبائل المجاورة أو نصارى الجوار.
كما يحدث خلال الأيام المخصصة للسوق غزو حقيقي للقرية التي ينعقد بها، بحيث تُترك القصور وقطعان الماشية بدون حراس تقريبا حتى في حالة وجود العدو على بعد بضعة كيلومترات. إن وجه البلاد يبدو غريبا جدا خلال أيام السوق، فمنذ مطلع الفجر تُلاحظ حركة دائبة في المكان المعتاد لانعقاده، إذ يضع أصحاب المتاجر الذين وصلوا بالأمس بضائعهم تحت أكواخ من قصب أو قش أو تحت خيام هشة بيضاء غير منتظمة الإصطفاف، حيث الأثواب القطنية والحريرية و«البلاغي» والمناديل من كل الألوان مكوّمة على التلاليس التي استعملت في نقلها، بالقرب من أكياس السكر وصناديق الشمع المرتبة على شكل دائرة حول التجار الذين يشتغلون بوقار جالسين القرفصاء أو جاثين على

ركبتيهم،/63/ عارضين وطاوين القطع باستمرار لإغراء المارة وحملهم على الشراء. وعلى بعد بضعة خطوات في صف آخر من الخيام يعرض العطارون أكياسهم منتظرين زبائنهم، وأبعد من ذلك يوجد الطّلْبة المقَلْنَسون والمُمَدَّدون باسترخاء على حصائر قذرة أمام أقلامهم القصبية ودواتهم الخضراء على أهبة تقديم استشاراتهم، كما يَحْضر الحجّامون أدواتهم نافخين بقوة في أنابيب مِحْجَماتهم المسدودة بالغُبار، بينما يبدأ إيمْسُوْقَنْ (رواد السوق) في الوصول جماعات صغيرة، يسوقون أمامهم حيوانات محمّلة بالحبوب والخشب والطيور وكذا البهائم الموجهة للبيع.

يعتبر المنظر في البادية رائعا جدا، فعلى كل المرتفعات وفي كل الشعاب وحول كل إيغْرَمْ، تبدو صفوف طويلة من الفرسان والراجلين تبعث بقعها البيضاء والمتحركة الحياة في المنظر وتبهجه. فإيمسوقن يذهبون إلى السوق كما لو كانوا ذاهبين إلى حفل، إذ يخرج الفرسان أجمل أسرجتهم ويستديرون بجيادهم على طول الصفوف الصغيرة المتحركة متحدّين بعضهم البعض باستمرار، حيث يقومون ب «تِيفْرْوِينْ» جريئة، منتشين بإظهار إقدامهم ومهارة دوابهم، بينما تطلق النساء زغاريد إعجاب إثر كل استعراض ناجح لأحد أهلهن أو يسْخَرن بدون شفقة من عديم المهارة الذي لم يوفق في تفادي حاجز أو تأخرت طلقة بندقيته عن رشّقة المجموعة بشكل مثير للرثاء.

أما الشبان الراجلون فيشكلون أيضا مجموعات من أربعة أو خمسة أو ستة أشخاص ويصدحون بأعلى صوتهم بشكاوى ترددها الجبال، أو يتمرنون بصوت منخفض -استعدادا للحفلات المقبلة- على أشعار مرتجلة /64/ سيكون ضحاياها أفراد قبيلة معادية أو «تِيهْجّالْ»(45) القرية الشابات أو الزوج الأكثر تعاسة في الدوار. ومن جهتهن تجهد النساء العجائز المنهكات ولكن الشجاعات على عدم التأخر كثيرا عن أفراد المجموعة، وفي جِيدِهن حزمة من الأمتعة أو عناصر من الطعام الآني (الخبز والبصل) الملفوفة ببراعة في قطعة قماش وسخ والمرتَّبة بمهارة مع البلاغي التي يجب الحفاظ عليها، يثابرن على المسير بلا كلل ويهرولن ويتوقفن ويتأوهن مستغيثات بالأولياء كلما تعثرن أو آذت شوكة مزعجة أرجلهن مرغمة إياهن على التوقف. غير أنهن يثأرن من ذلك توا على ظهور حميرهن المثقلة التي يستحثِثْنها على السرعة بوَخْز مسيلٍ الدم، مرفوق بترديد رًّا، رًّا، وشتائم متنوعة وفعالة في حق البهائم المسكينة الفاقدة للإحساس منذ مدة. وأخيرا يتحدث الرجال البالغون وهم يمشون عن صعوبة الوقت وأحداث اليوم، ولا يتوقفون إلا لأخذ نفَس حين يقتربون من منحدر شاق، أو لمحاولة التخلص من تشنّج عضلي بجعل عُقَد من الأغصان على «إِيلُوكا» (جنبة ذات أزهار صفراء) التي تصادفهم حسب الطقس الجاري.

أخيرا يصل الجميع تقريبا حوالي الساعة الحادية عشرة حيث يبلغ السوق أوج نشاطه،

45ك جمع تاهْجّالْتْ، وتعني المرأة المطلقة (المترجم)

في خضم جَلبَة عارمة من الصيحات المتقاطعة مع مجادلات حادة وأحاديث صاخبة ودقات نواقيس بائعي الماء (آكرّابْ)، وصهيل الخيل وأصوات الحيوانات المختلطة مع الحشد في انتظار المشترين أو الأحمال، كما يصل إِيمَدْيَازَنْ[46] (الشعراء المتجولون) بدورهم ليضيفوا صخب موسيقاهم ودُفوفِهم إلى ضجيج السوق. غير أن تنافر الأصوات هذا /65/ لا يزعج أحدا في هذا الحشد المتعوّد، وتتم الأعمال بدون انقطاع في شكل مساومات حادة وصارمة دون كلل كما يمكن أن تكون فقط في هذا البلد الشاق، حيث يجب أن تُنتزع أدنى قطعة نقدية من حجارة صماء عموما.

لكن لنتبع إيمسوقن الذين رأيناهم قبل قليل، لقد كفت أغانيهم ودعاباتهم ومزاحهم وتوجه كلٌ واحد إلى «رّحَبْتْ»[47] (الرحبة) التي تهمه وسط تحيات وعناقات متبادلة مع أصدقاء أو أقارب قادمين من مناطق أخرى.

يلتحق تجار الحبوب والأنعام وبائعي البيض والدواجن والفحامون والحطابون وغيرهم بأماكنهم المعتادة دائما، كما يوجد كيال الزرع (آعْبّارْ) مصحوبا بأدواته والبراح (آبْرّاحْ)، بينما الخبازون ومحضّرو الطعام في أفرانهم ومطابخهم لتحضير الخبز الساخن والإسفنج والشواء (اللحم المطهو على الجمر) و«لفْوَارْ» (اللحم المطهو على البخار) التي ستشكل وجبات القرويين الراغبين في انتهاز فرصة تنقلهم للتمتع بوليمة فاخرة.

وفي خضم حشد من البرانس متشابهة الإتساخ، تتسلل وتتهَادى شابات جميلات وأنيقات ذات عيون فاتنة مزينة بكثير من «تازُولْتْ» (الكحل) وايادي مخضبة بالحناء. وفي استفزاز خفي دون التخلي عن براءتهن الخادعة، ودون إبداء أنهن ينظرن شيئا آخر غير البضائع المعروضة أمامهن تبحث هذه الصبايا عن المغامرة، إنهن «تِيهْجَّالْ» الأرامل أو المطلقات اللائي يمتلكن حرية قلوبهن وأجسادهن في هذه البلاد ويبذلن الجهد لإثارة انتباه شبان القبيلة وغيرهم ممن يعتبرون عشاقا أو أزواجا مفترضين.

بجوار السوق تحت أشجار قرب العيون، يُرى رجال ذوو هيئة مشبوهة يبدو كأنهم يتآمرون ممدين على جَنْبِهم ومتقاربي الرؤوس، وتحت برانسهم يخفون بنادق أو عصي/66/ يمسكونها بقوة مستعدة لتؤدي مهمتها: إنهم «إِيخْوّانْ» (لصوص) و«إِيقْطّاعْنِ» (قطاع طرق) يتحدثون بشأن العمليات المحتملة بعيدا عن الآذان المتنصتة.

وبعيدا من هناك يتلقى الآمغار شكاية وينفذ على التو عدالته البسيطة في حق شخص لا يزال يدافع عن قضيته بقوة. لكن المشهد تغير، فقد وصل عجوزٌ ممتطيا بغلة ذات قيمة ومحاطا بحراسة مسلحة مثيرة، ثيابه نظيفة وقفطانه الأخضر مشرق وبلغته جديدة. كانت الصفوف تنفتح أمامه باحترام ويسارع رجال ونساء وأطفال إلى تقبيل رِكاب سرجه. وبينما هو شارد الذهن يقوده خادمه الممسك برسن دابته حتى بلغ تحت شجرة تِينٍ، تم

46ك كتبت خطأ Imeliazen، والظاهر أنه خطأ مطبعي. (المترجم)

47ك تمزيغ للكلمة العربية الدارجة «الرَّحْبَة»، وهو المكان المخصص لبيع شيء معين في السوق، مثل رحبة الزرع أو رحبة الصوف. (المترجم)

توقيف دابته ومساعدته على النزول، فامتد عشرون ذراعا للحيلولة دون أن يناله أي تعب ولنيل شيء من بركته. في ذات الوقت كان أناس من القرية قد سارعوا إلى تهيئ فراش من الزرابي تمدد عليه ثم تكلم بصوت منخفض، فردد رسوله بصوت مرتفع قوله:» إخواني المسلمين السلام عليكم، لقد جئت أحمل إليكم كلام الله الذي يأمركم بأن تقاتلوا في سبيل دينكم وبلادكم. لقد وصل النصارى بالقرب من دواويركم وازداد التضييق على قطعانكم، بينما يشيع بعض أعدائكم أن منكم من يتردد على الرومي اللعين ويمده بمعلومات عن السبل المؤدية إلى داخل البلاد. إنني أرفض تصديق هذا العار، لأنني أعرف أنه لا يوجد أكثر شجاعة ووفاء منكم في جبالنا، فثابروا إذن واصمدوا أمام الإغواء، فإن متاع هذه الدنيا لا يساوي شيئا أمام النعيم والسعادة في الآخرة، ومن الأفضل الموت فقيرا في الإسلام على العيش في عار الإتصال بالكلاب /67/ في الجهة الأخرى من سِيرْوَا، بارك الله فيكم يا إخواني».

تحت تأثيرا هذا النداء الذي خاطب إيمانه وشجاعته وكراهيته للأجنبي، انسحب الحشد متململا ليترك المكان لوجبة الطعام التي جيء بها للرجل المبجّل. لكن اللوم فعل فعله وتساءل كل واحد عن مستحِقّه الذي جلب الخزي والعار على القبيلة، فتكونت مجموعات حسب الدواوير والفخذات واشتد الجدل بانفعال. فجأة، اشار فرْدٌ نحو رجل لم ينطِقْ بعدُ بكلمة وفَضَحه: «ها هو صديق الرومي الذي تبحثون عنه، إنكم عميان إذ لم تلاحظوا الرّفاه الذي يستفزُّنا به منذ بدأ يخدم الكافر، أنظروا قندورته وبلاغيه الجديدة وتذكروا أنه الوحيد في الدوار الذي يأكل كل مساء تقريبا».

بُهت الرجل المعيّن من وقع الصدمة، فهو مذنب لكن الإعتراف بذلك يعني الموت المحقق والفوري فكان عليه الصمود، وبثبات اتّكأ بيده على فوهة بندقيته وأجاب متّهما:

«صحيح يا مُوحى أوعْلِي أنني ذهبت لرؤية الرومي اللّعين، لكن ألم يكن تحت طلبك لتخليص ابن أخيك الذي قُبض عليه وكُبِّل؟ ألم أخدع الكافر بإعطائه معلومات خاطئة عن عين آيت امحمد؟. وأنت يا سيدي محمد ألا تستطيع أن تشهد بأنك بعثتني لأقول «للحاكَم»[48] بأنك أكبر الأعيان وبأن منصب قائد القبيلة يجب أن يعود إليك لاحقا؟ وأنت يا قاسي أومبارك ألم تعطني عشرين فرنكا لاكتشاف سبيل يخترق الأسلاك الشائكة المحيطة «بالمركز»[49]؟ وأَنتم كلكم أيها الكلاب التي تنبح، ألا ترغبون كلكم في معرفة الرومي؟ عِلماً بأنه سيحكُمُكم آجلا أو عاجلا أنتم ومستشاريكم المشئومين الذين لا يحسنون إلا الكلام عوض المجيء لقيادتكم والإنخراط في القتال».

/68/ أعقب هذا الكلام غضبٌ عارم، فتغير وجه السوق وسكتت الموسيقى وخَفَتَ هرج الرجال والأشياء ثم توقف كلّيا، وسارع الجميع نحو المجموعة التي يحدث فيها شيء ما ليجد

48 يقصد الحاكم الفرنسي وهو ضابط في جيش الإحتلال (المترجم)
49 يقصد مركز الجيش الفرنسي(المترجم).

المرء نفسه غريزيا ضمن عشيرته، إلا مخبِرُ المركز المجاور التعيس الذي لم يعد له أنصار، بل إن آمغار نفسه حذا حذو الحشد ورفض أن يمنحه الحماية وتنكر له حتى أقرباؤه.
حين همّ بالذهاب انهالت عليه الأيدي بعنف وخنقته، وبسرعة انتُزِع السلاح الذي لم يجرؤ على استعماله من يديه وسالت الدماء على خديه، ورغم جهوده فقد نُكّل به وترك شبه ميت على الأرض.
في ذات الوقت، انتهز الرعاع الجلبة وهاجموا أصحاب المتاجر الضحايا السهلة والأبدية لكل الحركات الشعبية. وفي رمشة عين حُطِّمت الأوتاد وسقطت الخيام على التجار وزبنائهم الذين انسحبوا بعد أن حصلوا على مشترياتهم بأحسن الأسعار، فاختفت كل المعروضات كأنها تبخرت بين الأيدي الممتدة بشراهة نحو «السعيات» (الغنيمة). وفي ذات الوقت كانت النساء المذعورات ولكنهن شرسات مثل الرجال في البحث عن الغنيمة، يخفين تحت ثنايا «إِزَارِهن» أغطية الرأس والأسورة والشباشب التي كن قبل حين ينظرن إليها برغبة شديدة.
أخيرا وبعد جهود آمغار وبعض الأعيان تهدأ المعركة وتبدأ عملية البحث عن البضائع المنهوبة التي لم تسفر عن أي شيء لأن النُّهّاب كانوا بعيدين. أما الجرحى فنقلوا إلى المنازل المجاورة ما عدا صديقنا الذي ارتمى على أحد الأعيان وهو يصيح: «لْعَارْ نْ كْ آفْلانْ» (أنا في عارك /69/ يا فلان) وهو في انتظار محاكمته من لدن آكرّامْ المسبب الأصلي لمحنته.
لا تزال هذه الشخصية تحت شجرتها حيث رأى المشهد دون أن يتحرك، وبعد إخباره على التو بهوية المتّهم وبقوة عشيرته وانتماءاته العائلية كان قد حكم عليه مسبقا، وحين جيِء به إليه وسط حشد غاضب يهتف ويلوح بإشارات عصبية، لم ينطق إلا بكلمة واحدة: «تْشَاتْ» (كُلُوهْ).
نعرف ماذا يعني هذا الحكم القاسي: فحرية الـمُدان ليست محل تشكيك لأن الأمازيغ لا يستسيغون حرمان أي واحد منها مهما كانت الجريمة المرتكبة. غير أنه في اليوم الموالي يشاهد المعني خيمته وقد غزتها «لجْمَاعْتْ» ونُهِبت رأسا على عقب، بحيث لا يبقى له إلا مورد العيش في العار لدى صديق شجاع أو الذهاب طلبا للجوء والمساعدة لدى الحاكم الفرنسي الذي يحتاط عن حق من تصريحاته ونواياه، لكنه يمنحه الخبز والملجأ في انتظار الموافقة على استخدامه كمْخَازْني[50].
بعد قرار آكرامْ هدأ الحشد أخيرا وعاد إلى السوق، لكن الإضطراب لم يلبث أن استؤنف لأن التجار الذين نهبت بضائعهم أحصوا خسائرهم وجاءوا لمهاجمة آمغار المسؤول عن الحفاظ على النظام.

50 مجند في سلك قوات مشكلة من أبناء القبائل المغربية تكون رهن إشارة ضباط الشؤون الأهلية والمراقبين المدنيين، وهي التي ظلت تعرف بقوات المخزن بعد الإستقلال أو القوات المساعدة (المترجم)

هنا سيتَكشَّف الطبْع الأمازيغي وانعدام ضمير «لجْمَاعْتْ» كما وجدنا ذلك قائما في هذه البلاد. فالأمر يتعلق الآن فعلا بتعويض التجار تحت طائلة رؤية سوق القبيلة يفقد سمعته ويُتخلى عنه. غير أن تغريم المجموعة لأداء الخسائر غير وارد نظرا لمشاركة الغرباء في النهب، ثم هل يتم تحميل المسؤولية لهؤلاء الغرباء وما قد يجره ذلك من التسبب في الحرب؟

/70 كانت التهم تتراكم تحت إملاء الضحايا الذين يعلمون أن أفضل وسيلة لاسترجاع أموالهم هي تحميل مسؤولية سرقتها للقبيلة المجاورة. وفي الغد ستذهب لجْماعت للقاء أعيان القبيلة الغريمة وتطلب منهم إقامة العدل وجبر الضرر، بحيث ستعرض بجد حصيلة خسائرها في شكل تظلمات «تْسِّيغْمَاغْ لْعَارْ» (لقد ألحقتم بنا العار) التي ستتردد باستمرار خلال الحديث. فإذا كانت القبيلة الأخرى ضعيفة فإنها تذعن وترضخ، وبالمقابل إذا كانت قوية بحقها وتعتقد أنها في مستوى الدفاع عن نفسها، فإنها تقاوم حتى النهاية وبالتالي تندلع الحرب.

أخيرا ينفض الجمع حوالي الثانية بعد الزوال ويعود كل واحد إلى خيمته وسط تعليقات متحمسة وتتخذ البادية الهيأة التي كانت عليها في الصباح، مع كثرة النقاط البيضاء بفضل مشتريات وسرقات الأشياء الجديدة.

الحرب والهدنة والسلم

تعتبر المشاركة في الحرب لدى الأمازيغ واجبا مقدسا على كل رجل سليم قادر على حمل السلاح، ولا أحد يحاول التملص منه البتة، بل على العكس يلعن العاجز والمريض المقعَّدين في فراشهما الحظ العاثر الذي يحول دون «كونهما رجالا» خلال القتال. وإذا تمكن الصبي البالغ عشرة إلى خمسة عشر سنة من الحصول على فرس أو جرى القتال بالقرب من الدوار، فإنه يرافق أباه إلى المعركة، بل إن المرأة نفسها حين لا تمنعها وضعيتها من الظهور سافرة ترافق المحاربين وتزودهم وتثير حماستهم وشجاعتهم بزغاريدها.

بمعنى أن الجبن في حضور العدو مجهول في بلاد آيت أومالو ويخشى المرء بشدة أن يُسخَر منه لغيابه /71/ يوم القتال، كما يتم إلغاء الأسفار طواعية بمجرد وجود تهديد باندلاع الحرب. من ذلك أن الوجيه موحى أوعلي أوجهاين من آيت حمو (آيت إسحاق) الذي باغته وصولنا إلى البلد وهو بأبي الجعد حيث ذهب لشراء فرس، لم ينجح قط في إقناع ذويه أنه لم يشارك في المقاومة رغما عن إرادته، وهذا الرجل المتوفى سنة 1922 كان في سن الخامسة والستين من عمره.

فالواجب الإجباري يفرض على كل الرجال القادرين الحاضرين المشاركة في معارك

الدفاع التي تسمو في أعين الأمازيغ على كل شُغل آخر، ولا مجال للتعويض حين يكون الحِمَى مهددا. لكن الأعراف تعترف للمحارب المعيّن حين يأتي دوره للمشاركة في حملة هجومية محدودة العدد أن يفوّض مكانه قريبا أو صديقا أو أي شخص آخر مأجور لهذا الغرض، علما أن هذا التعويض يجب أن يحظى بموافقة لجْماعت وآمغار الحرب (أنظر أسفله)، فضلا عن كونه مسلحا ومجهزا ومموّنا بالغذاء والذخيرة عند الحاجة من طرف المحارب الذي يمثله.

أما الغرباء المستقرون بصفة دائمة لدى القبيلة فقد رأينا أعلاه في الفصل الخاص بالفخذة الشروط التي تسمح لهم الأعراف وفقها بالإختيار بين الطرفين المتحاربين.

ونظرا لأن الحرب يمكن أن تندلع في أي وقت يعيش آيت أومالو في حالة تأهب وتعبئة دائمين، بحيث أن على كل محارب أن يوفّر على نفقته بندقية صالحة وعددا معينا من الخراطيش (ما بين 10 و300)، وخنجرا وحربة وفرسا إذا أمكن. كما يتم تسليح بعض الفقراء وتزويدهم بالذخيرة حين تعلن الحرب بواسطة مشتريات من الأموال الخاصة بالمسجد، بينما يحصل آخرون على اللازم من 72/ النساء ربات الخيام المعفيات شخصيا من القتال.

والسلاح المفضل هو بندقية «لوبيل»(Lebel) التي يمكن تزويد مخزنها بثمانية خراطيش وتتميز إلى جانب طلقتها «الكتومة»- أي بدون دخان- بدقة كبيرة جدا. ولكن بما أن هذه البندقية تباع بما بين ألف وألف وخمسمائة فرنك في القبيلة فإنها لا توجد مبدئيا إلا لدى الأثرياء. أما القريبنة (carabine) والبندقية القصيرة (mousqueton) فهما سلاح الفرسان المفضل بسبب خفتهما، وسعرهما هو نفس سعر بندقية لوبيل.

أخيرا، يكتفي الراجلون والفرسان متواضعي الحالة ببنادق كرَا (Gras) وأسلحة قديمة النماذج لا تزال مستعملة في البلد لدى وصولنا (بُوشْفَرّ...إلخ)، كل هذه الأسلحة تساوي ما بين 20 و200 فرنك تبعا لحالة حفظها وللوضعية السياسية.

كانت الخراطيش الجديدة تُشترى فيما مضى في أسواق المدن الكبيرة،و منذ وصولنا إلى المغرب بات المتمردين يتزودون منها أساسا لدى بعض الخاضعين لنا وبعض جنودنا الأهالي في مراكز الهامش. وتبعا للظروف تباع الخراطيش نموذج 86 بفرنك إلى فرنك ونصف للوحدة، بينما يتراوح سعر الذخائر الأخرى بين ربع فرنك وفرنك واحد للوحدة.

يمتهن بعض اليهود وصحراويون ماهرون في البلاد المتمردة حرفة إعادة شحن الخراطيش الفارغة وتعبئتها بالبارود والذخيرة، وهناك من يغير أعيرة بعض الأسلحة لتمكين أصحابها من استعمال شتى أصناف الذخائر، مثل دَاني أُوعْطّا الذي كان بالقباب سابقا وهو منشق حاليا بسيدي يحيى وْيُوسف.

لنسجل أخيرا أن منطقة واد العبيد كانت تتوفر بكثرة على الأسلحة /73/ والذخائر سنة 1925، بفضل مشتريات تمت بكلفة زهيدة في بقعة تازا وفي الريف.

لا يختلف لباس آيت أومالو زمن الحرب عن الذي يحملونه عادة، وعلى كل نادرا ما يملك الأمازيغي أغراضا للتعويض والتبديل، بحيث يذهب إلى القتال بلباسه اليومي بعد أن يشد برنوسه وقندورته الفضفاضين على جسده بواسطة حزامه الجلدي.غير أنه خلال الجهاد، يلبس بعض آيت أومالو ثيابا جديدة من أجل القتال، اعتقادا منهم أنه في حالة الإستشهاد سيضمنون بذلك دخول الجنة.

وخلال القتال يتم التزود بالقوت على يد الأسر، كما أن المحارب المؤجَّر والمسلَّح طيلة مدة القتال من طرف ربة خيمة يموّن من طرف هذه الأخيرة إذا كان فقيرا جدا لا يستطيع تلبية حاجياته.

حين يتشكل المحاربون في «تازْمَالْتْ» (معسكر حرب)، يمنح لهم السميد والسمن والزيت والتوابل الضرورية لمدد زمنية مختلفة، وتحضر الأطعمة وتطهى من طرف نساء، غالبا من «تيهجال» عاهرات، أحضرن لهذا الغرض بواقع واحدة لكل أربعة أو خمسة محاربين. وعندما يتعلق الأمر بقتال دائر بالقرب من المخيمات العادية، يحمل كل واحد في «قُبّ»(51) برنوسه أو مزود فرسه طعام يومه: خبز وتين وقارورة شاي أو حليب.

لا يوجد أطباء برفقة المحاربين ولا في الدواوير، وتعالج الجراح العادية بواسطة أعشاب مختلفة سنفحص خصائصها في عمل لاحق. أما الكسور فيعهد بها عموما /74/ إلى مُعَلّمين حاذقين جدا ينتمي معظمهم لقبيلة آيت شارت (زايّان)، نعرف منهم شخصيا ثلاثة: موحى أومولود أومغرامان من آيت إسحاق، وسيدي حماد نايت إيدو، ومُحنْد أوسعيد نْ غْنِيمَة، وجيه آيت شارت الذي مكنت علاجاته من تفادي عدد هام من عمليات بتر لمخازنيينا.

يتم إجلاء الجرحى على ظهور الخيول أو البغال، وينقل المصابون إصابات بليغة في «إِيسَبْدَارْ» (جمع آسَبْدَرْ)، محفات تُشَكّل على عجل من قطعتي خشب موصولتين بحبال متقاطعة مكونة قاع الجهاز. أما جثامين القتلى فيتم رصها بواسطة حبال مثبتة على سروج الخيول أو برادع البغال.

إن الهروب الفردي غير معروف، بمعنى التخلي عن معسكره خلال الحرب لفائدة المعسكر العدو. وبالمقابل شاهدنا جماعات لا تتردد أحيانا -وإن كان ذلك نادرا- في تغيير المعسكر بشكل جماعي في عز المعركة.

وفي الحروب الداخلية التي تندلع غالبا لأسباب تافهة أو لأمور تتعلق بالكبرياء، يُجرد الجرحى من ثيابهم وأسلحتهم لكن لا يُجهَز عليهم، بل هناك من يسعفون ويعالجون من طرف العدو، وتتعرض النساء لنفس مصير الجرحى لكنهن يحظين بالإحترام، أما الجثث فلا يُمثَّل بها.

51 غطاء الرأس من البرنوس أو الجلباب لدى المغاربة (المترجم)

على العكس من ذلك، لا يتردد الأمازيغ خلال حروب الحقد الدفين أو في حروبهم ضد النصارى والأجانب في ممارسة شتى أصناف التعذيب في حق أسراهم والتمثيل ببشاعة بالجثث التي يتخلى عنها العدو. غير أن أعمال القسوة لا ترتكب إلا في ضراوة ساحة المعركة /75/ حيث يبلغ الحماس الحربي أو الديني ذروته، وحين يعود الهدوء يُحترم الأسير ويتم السعي للإستفادة منه ماديا. وفي حالة عدم التمكن من مبادلته نقدا، يُستخدم في الأشغال الشاقة ثم يطويه النسيان في رُكنه إلى اليوم الذي يتمكن فيه من الفرار.

حين يبرم السلم عقب حرب بين جيران مسلمين، تتم طبعا تسوية مصير الأسرى في المرتبة الأولى بتحريرهم فورا، مثلما يُسارَع في الغالب إلى العفو المتبادل عن الخسائر البشرية والمادية التي تكبدها الطرفان. ويعود دور الوسيط بين المجموعات المتحاربة لأي وجيه نافذ في مجموعة محايدة، لكن تدخلات إِيكرامْنْ هي الحاسمة في الغالب، فهذه الشخصيات تؤثر في «لجْماعَات» العدوة التي يلتقون بها على التوالي، ثم يقررون جمعها لبحث السلم، بل إنهم ينجحون في وقف إطلاق النار فورا باندفاعهم بين المتحاربين على ظهور الجياد وسط درقاوييهم(52) الذين يرددون أذكارا ويلوحون بأعلامهم المرفوعة.

كانت العمليات الحربية موجهة غالبا من طرف آمْغار حرب تعيّنه لجْمَاعْتْ طيلة مدة القتال، ولم يكن تنصيبه يجري وسط أي احتفال مثلما هو الحال مع الأمغار الدائم، بل يتم بشراء ثياب جديدة للمنتَخَب وتنظيم وجبة عشاء للأعيان. وعقب هذه الوجبة يرمي الحاضرون باقات عُشب في اتجاه الزعيم الحربي إشارة إلى تزكية تعيينه، ثم ينفض الجمع بعد قراءة الفاتحة ودعاء الله بمده بالعون في مهمته.

يُختار آمغار الحرب ليس لشجاعته وخبرته الحربية فحسب، بل للحظ (زْهَرْ) الذي يتوسم فيه بالأساس/76/، ولهذا نرى في الغالب أناسا من الدرجة الثالثة يتقلدون الوظيفة ويتفوقون فيها.

خلال مدة ولايته يكون آمغار الحرب السيد المطلق في قيادة العمليات، بحيث يكون آمغار العادي ولجماعت تابعين له وعليهم طاعته طاعة عمياء طالما استمرت نجاحاته على الأقل، لأنه يمكن تعويضه عند أول إخفاق. كان لآمغار الحرب ممثلون خاصون في المجموعات يسهرون على تنفيذ أوامره، كما يفرض ذعائر ويهنيء ويوبخ ويحدد أدوار مختلف الفخذات في أدق تفاصيلها. مجمل القول إنه كان ذا صلاحيات غير محدودة فيما يتعلق بقيادة الحرب.

حين يقتضي الوضع خوض القتال دون مهلة أو لتفادي إثارة يقظة العدو بتعيين آمغار للحرب باعتبار ذلك مؤشرا أكيدا على نوايا هجومية في أعين الجميع، تؤول مسؤولية

52 يقصد مريدي وأتباع شيوخ التصوف الذين لعبوا دور الحكم والوساطة في النزاعات القبلية، وذكره للدرقاويين دليل على انتشار هذه الطريقة في صفوف قبائل ايت أومالو، وفعلا كان أغلب زعماء الجهاد في جبال الأطلس المتوسط وهوامشها درقاويين. (المترجم)

قيادة الحرب إلى الآمغار الدائم، وهو نفس ما يحدث حين تكون القبيلة بصدد مواجهة هجوم مباغث للعدو.
ما عدا حالات الهجوم المباغت أو المناوشات المؤدية إلى الإندلاع الفوري للقتال، تعلن الحرب من لجْماعتْ لأخرى، بحيث تقدم إحداهما «آوْتُّو» للثانية، وهذه العبارة تعني -كما سنتناوله بتفصيل في مدونة الأعراف- أن لجْماعْت غير الراضية تضع حدا لحالة السلم السائدة بين المجموعتين المعنِيّتين. فتُعلَن التعبئة العامة لدى كلا الفريقين بواسطة إِرْقّاصَنْ يذهبون لإعلان حالة الحرب في كل مكان ويحددون للمجموعات المكان المعين لتجمع كل الدواوير، فيبادر زعيم كل دوار بالذهاب بخيامه إلى المكان المحدد. وفي اليوم الموالي تتقابل المجموعتان العدوتان تفصلهما فضاءات تتراوح بين ثلاثة وعشرة كيلومترات /77/ حيث ستدور المعارك تحت أنظار النساء والأطفال. ويطلق على هذا التجمع التحضيري للمخيمات «مْرَارَانْ إِيميزَارْ» (حرفيا: وضعوا مخيماتهم متقابلة). وتمضي الليلة في الحديث بين الجموع والأعيان الذين قد يعينون آمغار الحرب وقد لا يفعلون، ولكنهم يتفقون حول الإجراءات الواجب اتخاذها في اليوم الموالي. ورغم أن القتال لا يجري ليلا في الغالب وخصوصا في الليلة التي تلي انهيار المحادثات، فإن كل دوار يحرص على وضع «إِشْبَارْ» (متاريس) في السبل المؤدية إلى العدو بشكل يعرقل أي انقضاض لهذا الأخير في الظلام، ويحرس كل متراس عدد متغير من المحاربين تعينهم جماعاتهم.
عند بزوغ الفجر يكون محاربو المعسكرين على أهبة الإستعداد، كل مجموعة في مكانها المحدد، ثم يلعلع الرصاص مسبوقا ومرفوقا بشتائم وسِبَاب وتحديات، بينما النساء متزينات كأنهن في حفل يتبعن المحاربين ويطلقن زغاريد مدوية تثير حماس كل فرد إلى أقصاه. وشيئا فشيئا يتقارب المتحاربون مستغلين الأرض مثل الجنود الأوربيين بل أفضل أحيانا. أما الفرسان الأكثر إقداما فيحضرون رماحهم للإلتحام المباشر ويتساقط القتلى والجرحى؛ وحدهم الرجال غير المسلحين والنساء فقط يعتنون بهم ويعيدونهم إلى المخيم وسط بكاء الأمهات والزوجات والأخوات اللواتي يمزقن وجوههن بالأظافر وينتحبن بعنف. أخيرا ينكحر أحد الفريقين بوضوح ويبدأ مُشاتُه في التراجع متبوعين تدريجيا بفرسانهم الذين يقاتلون/78/ متقهقرين من عُرف إلى عُرف راكضين بخيولهم المنهكة.
أحيانا، حين تكون نتيجة القتال غير حاسمة أو حين يتعلق الأمر بمجموعات تربطها بعض صلات الدم، يتوقف الصراع عند هذا الحد ويتم وقف القتال بسهولة، بحيث لا يطلب كل واحد من الأعداء إلا وقف إطلاق النار. لكن حين يكون أحد الفريقين منتصرا بوضوح وليس هناك ما يدعوه إلى مراعاة خصمه، يتم الأمر بشكل مغاير تماما. فبمجرد ظهور تراخي المنهزم يُعيد المنتصر تنظيم صفوفه محتميا بعُرْف أو شَعْبة، ويشكل بسرعة جماعات قوية من الفرسان يحاولون في إهانة قصوى الوصول إلى مخيمات العدو،

فتحدث آنذاك غارات بطولية واشتباكات دامية، بينما محاربو الفريق المنهزم مشتتون ومطاردون في كل الشعاب والأحراش المحيطة بخيامهم. أما الجرحى فيجهز عليهم ويجردون من أمتعتهم وأسلحتهم، وأما النساء اللواتي يهرعن لإسعاف ذويهم فتتم تعريتهم، بينما يمكن للمشاهد أن يرى على بعد قطعانا تبتعد وسط غبار كثيف يقودها فتيان وفتيات يفرون غريزيا من الأسر والموت، إنها المرحلة النهائية لأي قتال حاسم في البلاد. إنها «تيرِّيتْ» (الكارثة[53]) التي تفزع أشجع الرجال وتمثل في ذاكرة القبائل تاريخا لا يُنسى مثل تاريخ زلزال هائل أو كارثة مماثلة في الحجم.

على أن المنهزمين الذين يرون «إيخْريبْنْ»[54] خيامهم مهددة يتمالكون أنفسهم دائما تقريبا وينجحون في تفادي نهب مساكنهم الكفيل بأن يجلب لهم العار إلى الأبد./79/ فمن وراء أي حاجز يرهقون عدوهم بنيرانهم، بينما ترمي النساء الفرسان بالأحجار والجذوات المشتعلة والطناجر والأعمدة، وأحيانا يحل الليل ليزيد من حدة الفوضى والإرتباك. حينئذ يتوقف القتال وينسحب المنتصرون مبتهجين إلى دواويرهم محتفين بانتصارهم على طول الطريق بطلقات من بنادقهم وصياح وأغاني يرددها الصدى بدون رحمة حتى الدواوير المدمرة.

وأخيرا يتوقف صوت إطلاق الرصاص وأغاني النصر المرحة، بينما تسمع في كل دوار بالعشيرتين آهاتٌ وشكاوى، فهنا جريح يستغيث متوسلا علاجات لا أحد يمكنه تقديمها له، وهناك أم تسهر إلى جانب جثة ولدها وترثي في أناشيد حزينة مزايا «الأسد الذي تخلى عنها بدون شفقة». وأبعد من هناك اجتمعت نساء دوار على هيأة دائرة ممزقات خدودهن بشكل إيقاعي في «آكْجْدُورْ» صاخب وعنيف، مرفقات حركاتهن بترديد عبارة «آحِّينُو آيَاحّي» التي بدونها لن يذهب الميت الذي يرقد في الخيمة المجاورة في سلام.

وفي السهل الذي دارت به المعركة قبل قليل تبحث الجدّات والفتيات الصغيرات نائحات عن آثار أحد ذويهن المفقودين. في الأخير، وزيادة في حدة الطابع المأساوي لتلك الليلة تطلق الكلاب نباحا فظيعا في كل الإتجاهات، بينما يجتمع «إيمْغَارْنْ» و«إيجْمّاعْنْ» في هدوء وعدم اكتراث حول كسكس دسم يتحدثون عن أحداث اليوم وما سيحمله الغد.

أما الغد فيُقلق المنهزمين أساسا إذا كانوا غير قادرين على الثأر لهزيمتهم، فالعدو يمكن أن يعيد الكرّة، مما يستوجب الحصول على مؤازرة قبيلة /80/ مجاورة أو الفرار أو طلب هدنة ثم إبرام السلم. لكن الإستنجاد بالجيران يتطلب وقتا والوضع مستعجل، أما الفرار فيعني التخلي عن الأرض وما يجلبه من عار، ليبقى الحل الثالث إذن.

ففي الليلة نفسها يُبعث مفاوض إلى المنتصرين، لكن هذا الرجل الذي قد يُعتبر جاسوسا فيقتل يذهب أولا عند أحد أصدقائه أو أقربائه، أو لدى شخص تربطه به «تاضا»[55]

---

53 تيريت من فعل إيرًا، وتعني في الحقيقة الهزيمة أو الغلبة. (المترجم)

54 جانب الخيام، ويطلق على الخيام كلها (المؤلف).

55 تاضا، ميثاق بين قبيلتين أمازيغيتين يبرم على أساس طقس تبادل الرضع بين نساء الطرفين دليلا على أخوتهم في الرضاعة، ومن ثم الإلتزام بالتضامن في السلم وفي الحرب (المترجم).

إن كان موجودا في القبيلة العدوة، وبرفقة هذا الحامي يذهب إلى لجْماعت ويعرض مهمته المتمثلة في أن يطلب باسم ذويه هدنة (لَهْنَا) في البداية ثم السلم (الصلح) بعدها. ودعما لأقواله يقدم «تاماتارْتْ»، (وهي تذكير شفوي بواقعة لا يعرفها إلا الباعث والمتلقي للرسالة، تقوم مقام برقية مكتوبة وموقعة تمثل بالنسبة لهذا الشعب الأمي دليلا قاطعا على صدق تصريحات الوسيط). إثر ذلك مباشرة تتشاور لجْماعت المدعُوة بعد دعوة الرقّاص المفاوض إلى تناول وجبة الأكل وتعلن قرارها. فإذا كان هذا الأخير سلبيا تستمر الحرب ويكون واجبا على الرقاص أن يلتحق في أقرب وقت بذويه لتحذيرهم. أما إن كان الجواب إيجابيا فيُحدد مكان لقاء الجماعتين في اليوم الموالي لتسوية شروط الهدنة والسلم. وفي الحالتين بالطبع يقدم وجيه من لجْمَاعْتْ العدوة «تاماتارت» جديدة للرقاص لكي لا يتم التشكيك في الجواب المنقول.

عند الفجر تُنصب خيمتان من كل جانب في المكان المحدد، ومعها حيوانات للتضحية ومؤن يطلق عليها «تِيمْرْهَانْ» (الرّهن)، حيث تلتئم الجْماعتان ويتم تحضير الطعام لإيجْمّاعْنْ، إذ يتناول كل الوجهاء المجتمعين الطعام في/81/ مجموعتي الخيام بالتتابع، وبعدها يتم التطرق لشؤون القبيلتين، في حين ينتظر محاربو العشيرتين القرارات بعيدا على طرفي قطعة الأرض المحايدة.

وعموما يتم التوصل إلى اتفاق دون صعوبات سواء حول هدنة قد تطول أو تقصر أو حول سلام نهائي. ففي الحالة الأولى يتم وضع حدود لا يجب تجاوزها في الإتجاهين تحت طائلة الإستئناف الفوري للقتال، فتتوزع الدواوير أو تبقى مجتمعة تبعا لمدة الميثاق المبرم. وفي الحالة الثانية أي السلم يتم تبادل التهانيء والدعوات من دوار إلى دوار وكذا الإرتسامات حول المعارك الأخيرة بدون ضغينة، ثم يأخذ كل واحد طريقه إلى حقوله ومراعيه.

لنشر إلى ملاحظة عابرة عن هذه السمة في تقاليد إِيشْقِّيرْنْ خلال مفاوضاتهم مع آيت سخمان، إذ وافق آيت يعقوب أوعيسى المشهورين قديما بمكْرٍ أسطوري لخصومهم على «هدنة لمدة شهر ينقصه يوم واحد حسب اختيارهم»، فقَبِل آيت سخمان مندهشين الأمر ورجعوا إلى ديارهم مفترضين أنه إذا كان الخصوم سيهاجمون في اليوم الذي استثني من الهدنة فلن يحدث إلاّ في نهاية الهدنة. غير أنهم ما كادوا يصلون حتى انقض آيت يعقوب أوعيسى على دواوريهم وحاربوهم. فثارت الإحتجاجات والصراخ وغير ذلك لكن بدون فائدة، فالمهاجمون لديهم الحق ما داموا قد احتفظوا لأنفسهم بحق الهجوم في يوم ما من شهر الهدنة الممنوح.

لم تكن شروط السلام المفروضة من قبيلة على أخرى قاسية عموما وتترك شرَف الخصم

سليما دائما، إذ يُعتبر فعلا في هذه البلاد التي يُتَحارب فيها كثيرا لأتفه الأشياء أنه لا فائدة من إهانة جاره، خاصة أنه /82/ لا شيء أكثر تقلبا من مصير السلاح. من جهة أخرى يتدخل إيكرّامَن دائما في حالة فرض أحد الطرفين شروطا مبالغٍ فيها لإعادتها إلى مستوى منصف.

تجدر الإشارة أخيرا إلى أنه خلال المعارك الضارية تحدث عادة هُدنات قصيرة جدا يتم خلالها جمع جثث القتلى، ولا يقوم بهذه العملية حصرا إلا الأقارب غير المسلحين ومحدودي العدد.

بمعزل عن هذه الحرب النظامية، يمكن أن تتعرض قطعان القبائل ودواويرها لهجومات مباغتة، وفي هذه الحالة تُشاهَد نيران إنذار توقد على الفور على كل المرتفعات المطلة على البلد، وبالقرب منها يُلَوَّحُ ببرانس بطريقة يائسة للدعوة إلى حمل السلاح. إثر هذه الإشارات التي يقوم بها أوائل الأفراد الذين تلّقوا الإنذار والتي لا يحق لأي أحد أن يبقى غير مكترث أمامها، تشهد الدواوير سباقات محمومة نحو الخيول المربوطة ونحو البنادق ليتم الإندفاع نحو الجهة المفترضَة للهجوم، فتنوح النساء المذعورات بكل ما لديهن من قوة مردِّدَات «بِيبِيوْ، بِيبِيوْ» بشكل مؤثر للغاية، أو يتألمن بلا كلل بترديد شكوى «آيُوغْنْ» (ربّ، ماذا جرى لي؟) إلى حد يعتقد المرء أنهن فقدن كل أسرتهن. وفي ظرف عشر دقائق يعجّ البلد بفرسان متعجلين ومشاة راكضين بسرعة يبحثون عمن يردفهم من الأصدقاء والأقارب. كما يقوم البعض بوضع القطعان في مأمن قبل كل شيء، بينما يلتحق آخرون بإخوانهم المشتبكين مع العدو. وبما أن آمغار يُفاجأ مثل الجميع فليس هناك زعيم ومن ثم ليس ثمة انضباط.

وبينما قد يبدو كل محارب يقاتل /83/ لحسابه الخاص فإنه يبقى جد منتبه لجاره، بحيث يعرف كل واحد دوره غريزيا ويمضي إلى حيث يمكن أن يكون حضوره مفيدا. ويتمثل تكتيك الجميع أولا في اعتراض المسالك المؤدية إلى القطعان والخيام، وبعد القيام بذلك يتم ترصد أخطاء الخصم والإستعداد لاستغلالها وتوجيه ضربات إليه، ثم يدور القتال كما رأينا أعلاه مع «تيرِّيتْ» أو بدونها، كما تتم نفس الخطوات الرامية لإعادة السلام.

وتبقى الخسائر المتكبدة خلال الحرب على عاتق كل محارب، كما أن كل فرد حر فيما قد يستولي عليه، لكن يحدث أن تغيث لجماعت بشكل ما محاربين متضررين جدا بعد تدخلٍ ودي بحْت من الأعيان. وأحيانا أيضا تقرر مجموعة من المحاربين عند الذهاب للقتال اقتسام الغنائم بالتساوي بينهم، ويسمى هذا الإتفاق «تافركانت»[56]. وفي العمليات الهجومية ضد العدو وحسب اتفاق مسبق، تمثل حصة الفارس من الغنيمة عموما ضعف حصة الراجل.

---

56 لا ندري إن التبس الأمر على كنون في هذا الإتفاق، إذ المعلوم أن تافركانت ميثاق يشبه تاضا ويستبعد أن يبرم بين بضعة أشخاص بخصوص اقتسام غنيمة.(المترجم)

وخلال الصراع ضدنا، أثبت آيت أومالو تضامنا كاملا ليس داخل القبيلة فحسب بل في كل البلاد الثائرة والمتمردة التي بقيت مُسْلِمة حسب تعبيرهم. فكثيرا ما كانت القبائل القريبة من خط مراكزنا المتقدمة والمتوفرة على وجهاء نافذين وحكماء توطد هذا التضامن المعنوي لمواثيق التحالف الصريحة في حالة مهاجمة أراضيها.

في جميع الحالات، إذا غامرت الدواوير المعادية أحيانا بالإستقرار على بعد بضعة كيلومترات فقط من مراكزنا بدون فرق فرسان، فإن هذه الدواوير تنسحب دائما إلى أماكن يفترض/81/ أنها منيعة بمجرد رصد رتل في النواحي أو بمجرد معرفة تجنيد «برطيزا» (الأنصار) في المنطقة الخاضعة. إذ يُنتخب آنذاك زعيم حرب مشترك لكل المجموعات المهدَّدة ويحتشد المحاربون في رباطات على الطرق الرئيسية المؤدية إلى البلاد المتمردة، ويتم إغلاق هذه الطرق بمتاريس يتخندق وراءها المدافعون في الوقت المناسب.

في ذات الوقت تجتاح سحابة من المخبرين المنشقّين مكتب الإستعلامات الأقرب، مهمتهم نقل بيانات ومعلومات عن قواتنا ونوايانا إلى إخوانهم القلقين، في حين يحلِفون أنهم لا يوجدون هناك إلا لمساعدتنا. مع ذلك ورغم كل هذه الإحتياطات فإننا لا نواجه عادة يوم الهجوم إلا مقاومة ضعيفة، صحيح أن أنصارنا في المقدمة يكون عليهم إزاحة بعض المجموعات من الصخور المحاذية للطرق، كما يغير فرسان ومشاة سريعو الحركة على أجنحتنا حين تسمح الأرض بذلك، لكن الخصم لا ينخرط بشراسة في القتال. ويعزى ذلك إلى عدم إجلاء خيامه وقطعانه بعيدا لكونه لم يعتقد بعْدُ في تقدمنا، فيكون عليه إذن السهر على تأمينها قبل أن يأتي للقتال، ولا يرسل لمواجهتنا إلا بعض الوحدات بغرض تشكيل ستار يغطّي فرار «رأس المال» إلى الوراء. فالقتال الحقيقي لا يبدأ إلا لاحقا سواء في حالة إيقاف التقدم ضد المفرزات الخارجة من المركز الجديد أو خلال السير في اليوم الموالي.

ومهما يكن فإن تكتيك الأمازيغي يقوم على همّين اثنين: أن يكون كثير التحرك للإيهام بكثرة العدد والبحث عن الإلتفاف لخلق البلبلة في/85/ صفوفنا. فقد رأينا 25 إلى 30 زَيّانِيا[57] يتحرشون بجناح رتل للتموين بين خنيفرة وسيدي عْمَرْ على جبهة 8 إلى 10 كلم والإيهام بأنهم كانوا عدة مئات. ورأينا في نفس النواحي مائة إلى مائتي محارب يرغمون مجموعة متنقلة على التوقف لصد هجمات متزامنة من الجهات الأربع.

إن الأمازيغي قادر بالأساس على خوض القتال ضد مؤخرة فرق الجنود المنسحبين، فهناك يمكنه بقليل من الإقدام أن يحقق «تيرّيتْ»هُ الشهيرة ويحصل على غنائم (القصيبة 1913، لهري في 1914). وهو بارع أيضا في نصب الكمائن لمفرزاتنا الصغيرة وجنودنا المنعزلين، وفي هذه المناسبات يكون بالتأكيد أكثر خطورة بالنسبة لنا. سنرى لاحقا في الفصل المتعلق

57 أفراد من قبيلة زايّانْ الامازيغية.

بالحوّامِين و«الجّيوش» الطريقة التي يتصرف بها، علما بأن تكتيك العصابات العادية هو نفسه تكتيك المجموعات التي تأتي لتحُوم حول فرقنا المتنقلة المشتغلة ببناء المراكز.
أما فيما يتعلق بإعادة السلم بيننا وبين القبائل، فلا يمكن تصوره إلا بالخضوع ودخول الدواوير إلى المنطقة المحتلة من طرف قواتنا. لكن نادرا ما يقع هذا الحدث مباشرة بعد تقدم القوات، لأن أرتالنا الثقيلة تترك دائما للمتمردين المذعورين الوقت للهروب والتفكير. عندئذ يكون على ضابط الإستعلامات طمأنة الساكنة بواسطة الرقاصين الذين يصحبهم معه لهذا الغرض، ولا يؤتي هذا العمل نتائج فورية خصوصا ما دام الرتل هناك، لأن «الأطفال يموتون رعبا عند رؤية هؤلاء الجنود الكثيرين مثل الجراد والسّود /86/ مثل جلود التيس»[58].
غير أن عِظات ونداءات السلم تؤتي دائما أكلها خصوصا لدى الأسر التي تكبدت خسائر، ثم تتأثر بها لاحقا المحادثات مع لجْماعْت. وعلى كل حال ودون الخوض في تفاصيل دور ضابط الإستعلامات الذي سبق تعريفه من طرف أساتذتنا في السياسة الأهلية، يجب علينا الإحتفاظ بأنه من مصلحتنا الأكيدة أن نظهر حازمين ومتشددين خلال المفاوضات التي يمكن إجراؤها، لأنه إضافة إلى كون ذلك لا يلغي الرفق في شيء، فإنه أحسن وسيلة للحصول على الخضوع النهائي الخالي من أية مفاجآت.

الحوّامون و«إيجْيّاشْنْ»[59]. تكوين العصابات.

يمثل السطو المسلح حين يرتكب ضد الأجانب أحد أشرف أشكال الحرب لدى الأمازيغي، إذ يمنح مرتكبه سمعة معينة وبعض الإعتبار، لأنه ليكون المرء لِصّا يلزمه امتلاك شجاعة تصل حد ازدراء الموت، وذكاءً كافيا للإفلات من المأزق في أشد الظروف مأساوية، وتصورا واضحا جدا للتضامن الذي يجب أن يسود صفوف العصابة (تَارّبيعْتْ). فضلا عن ذلك، يجب أن يكون المرء قويا وذا صحة جيدة بحيث يعتبر السُّعال الذي قد يدل المارين على المخابيء حالة نقص جسيمة.
تتشكل مجموعات الحوامين في البلاد المتمردة بتفاهم اللصوص المعنيين، إذ يتخذ القرار غالبا في السوق باعتباره الفرصة المؤكدة الوحيدة للقاء. وتتكون العصابات دون قواعد محددة بمبادرة من أي شخص يجند رجاله حسب اختياره وفقا /87/ للمزايا التي ينسبها لهؤلاء وأولئك دون أي تمييز بين القبائل أو الفخذات.

58 إشارة إلى كثرة الزنوج السينغاليين في طوابير الجيش الفرنسي خلال إخضاع آيت أومالو (المترجم)
59 ترد هذه الكلمة في الكتابات العسكرية الفرنسية بصيغة Djiouchs، وهي مقتبسة من العربية الجيوش، لكن لا يستقيم تعريبها كذلك لكي لا يلتبس الأمر، والمقصود بها عصابات المجاهدين المغاربة، الذين يطلق عليهم الأمازيغ في بعض الجهات إيجياشن، ففضلنا استعمال الكلمة الأخيرة (المترجم)

بعد اتخاذ قرار الإنطلاق يتم تحديد موعد ويتجهز كل واحد باللازم: بندقية (إذا كان ممكنا) وخنجر (دائما تقريبا) وقمح مُحمَّص (تُورِّيفْتْ) يكفي لمدة الغياب المتوقعة، ويُحمَل أحيانا نوع من العجين المحضّر من السمن الذائب وطحين القمح المحمص المخلوطين (تامْكونْتْ) أو كِسْرة يتم طهيها تحت الرمل. ويبدو أن تامْكونْتْ تسبب صُداعا شديدا في الرأس مما يفسر قلة الإقبال عليها. وخلال العمليات ذات المسافة البعيدة، تُحمل عُدّة من الماء في جلد تيس صغير (تايْدِّيتْ)، وحين لا تُحمل تايْدّيت وينفُذ الماء، فإن بطن أول حيوان يُسرق ويُذبح خلال العملية يؤدي الوظيفة.

بمجرد الدخول إلى المنطقة الخاضعة يكون على الحوّامين اتخاذ أقصى قدر من الإحتراز، بحيث يتعين عليهم فعلا أن يتواروا عن أنظار مراكزنا ويتفادوا لقاء خاضعينا وفرساننا جماعة. ولكن بحكم معرفتهم الجيدة للبلاد التي يتحركون فيها، فإنهم يمرون عبر الغابات وينتظرون الليل لاجتياز الأجزاء المكشوفة من المسافة، وبذلك تشُقّ المجالات الفاصلة بين مراكزنا مسالك جديدة لا تحصى رسمتها أرجل الحوامين منذ تقدمنا الأخير.

يقوم الحوامون بعملياتهم ليلا ونهارا دون مبالاة، فتهاجم المجموعات المسلحة جيدا كل فريسة تبدو أضعف أو متساوية في القوة على الأقل، وهم مَن يهاجم فرساننا وبرطيزتنا (أنصارنا) على المسالك ويكمنون فرادى وراء أي حاجز ملائم (جذع شجرة أو صخرة أو غابة، إلخ...) ويطلقون النار بغتة ولا يفشلون أبدا في إيقاع ضحايا. وهم /88/ أيضا من يراقبون ضواحي مراكزنا ويهاجمون منعزلينا وعمالنا ومسخرينا غير المحروسين أو غير المخفورين جيدا. قد تدوم مراقبتهم عدة أيام أحيانا، فالصبر مزية هذه الحرفة، إذ يقوم بها نهارا رجل يرصد عموما من أعلى شجرة مرتفعة وكثيفة الأغصان، فيقوم بإخبار أصدقائه المستريحين أسفل الشجرة بأية حركة ذات أهمية. وتبعا لنتيجة ملاحظته تُتّخذ وضعية الهجوم إذا رأت العصابة إمكانية شنه بنجاح، بينما يَتَمَاوَتُون إذا تعلق الأمر بأناس أقوياء ويقظين أو يفرون بسرعة إلى مخبأ آخر. هكذا يحدث أن تمر مفرزات بمقربة من عصابة دون أن تهاجَم لأنها اعتبرت قوية أو يقظة جدا من طرف الحوامين. أما ليلاً فينفذ هؤلاء عملياتهم على شكل عصابات ويبقى واحد منهم فقط في المخبأ يحرس الأغراض الثقيلة والمؤن، ويكون الجميع عراة أو يكادون خصوصا خلال الصيف.

تشكل قوافل التموين المخيِّمة قرب المراكز والدواوير الأهداف المفضلة، ففي حالة الأولى تُستهدف الأسلحة والدواب أما في الدواوير فيحاول الحوامون سرقة الخيول والبغال والثيران والخراف والماعز، وعند الحاجة يُكتفى برفع طرف الخيمة وسَلب كل ما يوجد بداخلها. ولا يتم القتل في جميع الحالات إلا إذا أرغم موقف الضحايا على ذلك أو غضب أحد الحوامين من عدم أخذ أي شيء، فيريد قتل «آرومي» قبل الرحيل.

تعتبر الكلاب والقَمَر والحراس في منزلة أخيرة ألد أعداء الحوّامين، بينما لا تفزعهم

شبكات الأسلاك الشائكة، فهم لا يملكون أمام كلاب الدواوير إلا سلاحا نادرا ما يستعملونه مع ذلك: كُرَيّات اللحم النَّيِّء التي لديها سحر الإسكات الفوري لخصومهم السعداء جدا/89/بحسن معاملتهم. بالمقابل لا يستطيعون شيئا ضد القمر، لكن بعضهم لا يتردد في العمل ونور البدر ساطع باتخاذ احتياط ارتداء ثياب ناصعة البياض. أما الحراس فغالبا ما يتغلبون عليهم بإلهائهم بينما يدخل مِقدام العصابة إلى داخل السور من بين مراكز الحراس بعد قطع الأسلاك بوساطة مِقْراض. وخلال العمليات ضد الدواوير يحرص الحوّامون على تفادي المخيّمات المقامة في قعر الأودية، لأنهم لا يستطيعون مهاجمتها دون ظهورهم بشكل خطير على الأعراف والقمم المحيطة.
ويتبنى حوّامو نفس العصابة إشارات وصرخات متوافق عليها من أجل التعارف والنداء ليلا ونهارا، وأثناء العملية لا ينادي أحدهم أبداً رفيقَه باسمه، اللهم بصوت منخفض جدا تفاديا لسماعه وفضحه.
ومعروف أيضا أن عصابات كثيرة جدا تحتفظ مسبقا بأقساط من الغنائم لإِيكرّامَنْ ذوي النفوذ على قبيلتها أو عشيرتها، علاوة على ذلك نادرا ما تغفل هذه العصابات القيام بزيارة قبور إِيكرامَنْ المدفونين في البلاد التي تجتازها خلال عملياتها.
ويتوفر الحوامون زيادة على معايناتهم الشخصية على عدد من وسائل الإستخبار حول ما يحدث في منطقتنا وحول العمليات الممكنة، ويمثل أقارب الأسرى المنشقين المحتجزين في مراكزنا أفضل مساعديهم في هذا الصدد، إلى جانب أهلِ قرى الأطراف الموجودة في أقصى حدود المنطقة الخاضعة ومخبري المراكز المعتادين.
90/ إن أقارب السجناء الذين نقبلهم داخل خطوطنا لاعتبارات انسانية سواء لكي يحملوا لذويهم الطعام أو للتفاوض حول إطلاق سراحهم مؤهلون فعلا من حيث السن والقدرة للملاحظة، ومن ثم يبيّنُون للحوامين المناطق التي ترتادها القطعان سيئة الحراسة وعسكريونا ومدنيونا المنعزلون أو قنّاصونا المتهورون. وباعتبارهم مفاوضين متمتعين بحصانة «آمْزْرَاك»، يرافقهم أحيانا قاطع طريق يُختار من بين غير المعروفين في منطقتنا ويتكلف حينها بالإستخبارات الضرورية. أكيد أنه في هذه الحالة لا تتم أية محاولة ضدنا طالما استمر سجن المنشق الذي كان مبررا للزيارة، لكنه يمكن التأكيد أنه بمجرد إطلاق سراحه لا يتأخر المنشقون في استئناف حريتهم في العمل.
أما بالنسبة لسكان قرى الأطراف فإن تواطؤهم مع المنشقين والمتمردين مؤكد في أغلب الحالات، وهو أمر تفرضه عليهم على أية حال ضرورة تفادي خيباتٍ ومراراتٍ لا نحميهم منها دائما، سواء لانعدام الوسائل أو لدواعي أخرى.
وتجدر الإشارة إلى أن إيمغارن القرى الحريصين على الحفاظ على مناصبهم وأعيان لجْماعْتْ الذين يخشون حقا عقاب «لَحَاكَمْ» في حالة وشاية أو تبليغ، لا دخل لهم طبعا

في المساومات المذنِبة لذويهم مع المتمردين، لكنهم لا يحاولون الحيلولة دون ذلك إلا إذا أثبت ضابطهم أنه قادر على الحصول على المعلومات ويعاقب بقسوة، وغالبا ما يحدث للأسف أن تعزى اغتيالات واختطافات وسرقات للامبالاتهم المحسوبة تجاه نساء عجائز ضَلَلن طويلا في الغابة المجاورة التي تمثل المخبأ /91/ المعتاد للصوص، أو لعمليات احْتِطاب دامت إلى الغروب في أماكن لا يفكر أناس مستقيمون في المغامرة فيها حتى في وضح النهار.

أما بالنسبة لمخبري المراكز المنحدرين من المناطق المنشقة، فإن ازدواجيتهم معلومة جيدا ونستطيع ذكر أمثلة لا تحصى عن أضرارهم. ونظرا لتمتعهم بالثقة المطلقة للضابط الذي زودوه أحيانا بمعلومات دقيقة جدا لكونها تافهة على العموم ومن غير المرجح على أية حال أن تجلب لهم المتاعب لدى رجوعهم إلى القبيلة، فإنهم يصبحون بسرعة أصدقاء وندماء للشواش والمخازنية وبطانة رئيس المركز.

عن طريق هؤلاء الأخيرين الذين يحملون لهم حقائب وبلاغي رخيصة من البلاد المنشقة، وعن طريق نسائهم الثرثارات اللواتي يحملن لهن قطعا نقدية حسنية غير موجودة في المنطقة الخاضعة من أجل قلاداتهن وأساورهن، ينجح المخبرون في معرفة كل شيء دون جهد كبير. وبذلك وقع كثيرون من أصحابنا ممن لم يُكتَم سِر تنقلاتهم ضحايا لهم، كما فشلت بشكل محزن حملات ضد المنشقين رغم أنها حُضرت بدقة حسب القناعة التامة للضباط.

لنسجل أخيرا أن كل خبر يصل من المنطقة الخاضعة بوسيلة ما بخصوص تقوية أو تعديل نظام حراستنا أو خططنا الهجومية ينتشر على التو في أسواق البلاد المنشقة لتحذير «إيعَرّيمَنْ» الشجعان (الشباب).

هذا بشكل موجز قدر الإمكان تنظيم العصابات التي تعيث في البلاد الخاضعة على طول الأطلس المتوسط.

الصراع ضد الحوامين: مهما يكن الأمر، لِنَرَ الآن ما هي الوسائل التي نتوفر عليها لقتال الحوّامين. يتوفر كل رئيس مركز للشؤون الأهلية في الجبهة على فرقة خيّالة (مخازنية) مكلفة تحت قيادته الشخصية بضمان أمن القبائل الخاضعة وخوض الحرب ضد النُّهاب وقطاع الطرق الآتين من البلاد المشنقة. ويختلف عدد هؤلاء الفرسان كثيرا حسب المراكز بحيث يمكن أن يبلغ مائة وخمسين رجلا، مكونين بذلك وحدات قتالية حقيقية.

فضلا عن ذلك تتوفر بعض المراكز على فرق كومْ مختلطة مكونة من فرسان ومشاة بعدد إجمالي يصل 150 رجلا مكلفة بنفس مهمة المْخَازْنِيّة.

إن مَخازْني الحرب (نضع جانبا المخازني الذي يُنفق عليه من ميزانية الحماية ويستخدم أساسا في المؤخرة بمكاتب المراقبة المدنية) هو جندي مساعد يُجنَّد غالبا من أبناء البلاد التي يشتغل فيها، ولا يربطه بالخدمة أي عقد ولا مدة بحيث يمكن تسريحه في أي وقت،

كما يمكنه مغادرة الخدمة عن طواعية بمجرد طلب ذلك. يحصل المخازني على أجر يومي من سبع فرنكات ونصف زيادة على حصة من المواد الغذائية وحصة من الشعير لحصانه الذي يقتنيه على حسابه، ولكن الدولة تعوض له قيمته في حالة وفاته خلال أداء مأمورية، ولا يحصل كلباس عسكري إلا على البرنس الأزرق الفاتح الذي يؤدي ثمنه، كما أن طموحه في الترقي يقف عند رتبة الشاوش الوحيدة التي تنص عليها الأنظمة. غير أنه في بعض فرق المخزن المهمة لا يتوانى رؤساء المراكز في تأسيس رتب مخازنية /93/ من الدرجة الأولى وعرفاء ورقباء يسندون لهم خلال المعارك قيادة فرق متفاوتة القوة.

يقطن المخازني مع أسرته وقطيعه بالقرب من المركز الذي يشتغل فيه، ويكون دوما مستعدا لامتطاء فرسه في ظرف عشرة دقائق في أقصى تقدير بعد إعلان التعبئة. ونظرا لكونه لصا أو حوّاما أو جيّاشا قبل أن يعلن خضوعه ويتجنّد، يعتبر المخازني مساعدا من الطراز الرفيع بالنسبة لرئيس المركز، فمعرفته الدقيقة للبلاد ولكل المواقع المتخذة كمخابئ للصوص واطلاعه على كل عادات رفاقه القدامى الذين ظلوا منشقين وأصبحوا أعداءه الألداء، كل ذلك جعل دوره حاسما حينما يتعلق الأمر بنصب كمائن أو مطاردة نُهّاب أو حتى الذهاب لعقاب غير خاضعين في عقر ديارهم. فقد عرفنا في المنطقة المدروسة البعض ممن لم يتردد في الذهاب لإلقاء قنبلة يدوية في قلب معسكر الحَرْكة العدوة، بل على خيمة رئيس هذه الحركة الذي كان فوق ذلك شريفا (ينظر لاحقا: التهدئة)، بل إن هؤلاء المخازنية أنفسهم -رغم البركة التي يدعيها هذا الرجل الصالح- ذهبوا لسرقة حصان ذات الشريف بينما هو مربوط وسط حشد من الخيام تأوي آلاف المقاتلين المتعصبين.

أما آخرون يشكلون الكتيبة البطولية لبوعْزّا ولد موحى أوحمو الشهير، فلم يكونوا يترددون في التوغل ثلاثين كيلومترا داخل المنطقة المتمردة ليعودوا كل مرة بعد قتال بآلاف الحيوانات وبأسرى وأسلحة دون التخلي قط عن غنائمهم في يد العدو.

أما الكومي الذي كان يشتغل أصلا في نفس ظروف المخازني وتمت عَسْكَرَتُه شيئا فشيئا، فلم يحتفظ من /94/ وضعيته القديمة إلا على إمكانية العيش مع أسرته في ثكنات حقيقية، حيث يزداد عدد العزّاب الفرادى. ويرتبط بالخدمة بعَقْد موقّع لمدة عام أو عامين وله لباس عسكري كامل بما فيه الأحذية الثقيلة، كما ينضوي تحت إمرة ضباط أوربيين في فرقة أو قسم أو فصيلة، حيث تضاءلت كثيرا قدرته على القتال الفردي على الطريقة المغربية ويضطرب بمجرد غياب رقيب لقيادته وتوجيهه.

من جهة أخرى غالبا ما يُجنَّد الكومي من خارج البلد الذي يشتغل فيه، مما يبقيه غريبا على الإطلاق عن الشؤون المحلية، خصوصا حين يكون من أصل عربي ويشتغل في منطقة أمازيغية، فلا يتكلم لغة الذين يضطلع بمهمة مراقبتهم. لكن بما أنه يظل شجاعا وشديد

الإخلاص لرؤسائه فإنه يمثل أكثر عناصر قواتنا المساعدة ولاءا ويقدم خدمات معتبرة كسند للمخازنية أو خلال الدوريات والقتال النظامي المنضبط.

وبمعزل عن هؤلاء المحاربين النظاميين مُتَفاوتي القيمة والمشكلين للقوات المغربية المساعدة، يكون رهن إشارة ضباطنا في الشؤون الأهلية كل الرجال القادرين في دوائرهم، فرسانا ومشاة، المسلحين على الدوام في المناطق المتقدمة أو المجندين أحيانا لمهمات مؤقتة.

من ناحية أخرى غالبا ما يتمكن نفس الضباط بسهولة بفضل أموال التغلغل الموضوعة تحت تصرفهم من تأسيس خدمة كاملة للإستعلامات، تزودهم بكل المعلومات الضرورية عن البلاد المتمردة والثائرة: مثل خروج /95/ العصابات والحوّامين المنعزلين وأنشطة زعماء الحرب والحالة النفسية للساكنة وطبوغرافية البلاد...إلخ. ويقدم هذه الخدمة «رقّاصُون» متطوعون من بين رجال ونساء المنطقة المتمردة الذين يأتون للمرة الأولى إلى المركز لسبب ما،





لحسن أوعُكّي مترصدا

ويفلح الضباط في استقطابهم بفضل /96/ بعض المبالغ المالية أو الهبات العينية. تمثل هذه الخدمة إذا نُظِّمَت جيدا سلاحا قويا بين أيدينا يمَكّننا من معرفة كل ما يوحِّد أو يفرِّق خصومنا وإفشال خططهم ضد مراكزنا وخاضعينا، وتسمح بشكل عام بتوجيه عملنا السياسي والعسكري كما ينبغي. غير أن الرقاصين الجيدين نادرون جدا للأسف، خصوصا من بين «القدامى» المعروفين في البلاد الثائرة حيث يعتبرون «محروقين»، ومن

ثم وتفاديا للموت يجدون أنفسهم مضطرين لتقديم معلومات لإخوانهم في الجبال أكثر من التي يزودوننا بها، وفي كل الحالات لا يقولون لنا شيئا يمكن أن يورطهم بشكل خطير لدى ذويهم.

هكذا، حتى إذا كانوا يحضُرون فورا عقب كل اعتداء لكشف مرتكبيه وعرض وساطتهم لافتداء الأسرى أو إجراء محادثات أخرى، فغالبا ما لا يحذروننا مسبقا من الإعتداءات المرتقبة إلا حين يتخذون في ذات الوقت قرار اللجوء إلينا مع أسرهم لتفادي انتقامات قاسية. وفي هذه الحالة يواصلون عموما خدمتنا كمخازنية، وهو ما يعتبر وسيلة ممتازة لاستغلال معارفهم بالبلاد وأهلها استغلالا كاملا.

مهما يكن فمن المؤكد أن ضباط الشؤون الأهلية الضليعين بالأمور المغربية والذين يدركون أهمية عدم ربط مصيرهم بشخص أو شخصين، ينجحون دائما في الحصول على المعلومات بطريقة مناسبة جدا.

أخيرا ينبغي التذكير بأن المراكز العسكرية المبنية على تراب الدائرة موضوعة في الغالب تحت سلطة رئيس المركز وقائد القوات المتنقلة /97/ والمسؤول عن السياسة المحلية في كل ما يتصل بالأمن العام في البلد والمواصلات وعمليات مدفعية الموقع ضد المنشقين.

يستخلص من هذا العرض أن وسائل هامة توجد تحت تصرف رؤساء المراكز يسمح استغلالها المعقلن إلى جانب نفوذهم الشخصي بمواجهة كل الظروف، حتى في حالة غارة مفاجئة لحرْكة داخل خطوطنا.

لكن ما هو غير معروف عموما هو مقدار الإهتمام والإرادة والجهد والإبداع العملي اللازم لكل ضابط مسؤول عن الأمن في قطاع ما لتحقيق تسيير مثالي لبنية الجبهة تلك، فهي قوية جدا بكل تأكيد لكن خصوصيتها تكمن في تكوينها من عناصر جد مختلفة وموزعة على مساحات شاسعة، بل إن أهم هذه العناصر تفتقر كليا إلى التجانس والإنضباط فضلا عن انتمائها بشكل أو بآخر لعشائر منشقة عن قبائلها أي للعدو الذي نقاتله.

يتعيّن إذن على رئيس القطاع أن يؤسس احتياطاته الدفاعية على قسط من الحذر في المقام الأول، فالخاضعون له لا يرغبون أيضا في رؤية منشقين مقبوضٍ عليهم قد يكونون أشقاءهم وبالتالي إفشاء أسرار مؤسفة جدا. ثم عليه كذلك أن يبذل كل ما في وسعه لمعالجة العيوب التي لا مفر منها في التنظيم العام والسلبيات المرتبطة بالتشتت وبالتكوين المختلط لقواته، آخذا في الاعتبار باستمرار أنه لا جدوى من أن يكون سيّد البيت ويتوفر على محاربين كُثر وشجعان إذا لم ينجح في أن يكون باستمرار /98/ في وضعية إخبار واطلاع سريعين والتدخل بأقصى قوة في المكان والزمان اللذين يختارهما العدو[60].

بمعنى أنه بالنسبة لضابط واعٍ لمسؤولياته تجاه آلاف الناس يتوقف أمنهم على الإجراءات

60 التشديد من المؤلف.

التي يتخذها وعلى الطريقة التي يسهر بها على تنفيذها، لا توجد راحة مستحَقّة إلا بعد أن يكون قد تم القيام بكل شيء وخُطِّط له في أفق جعل القطاع في حالة دفاع تامة.
وهنا نعرض بسرعة للعملية الجارية اليوم بدون شك في جميع قطاعات الجبهات النشيطة (واد العبيد، زيز...إلخ):
من واجب رئيس القطاع أن يعرف البلد[61] معرفة تامة بموارده المتنوعة ونقاط ضعفه وقصوره المشتبه فيها وطرقه ومسالكه الضيقة، فضلا عن خريطة جد مفصلة ذات سُلّم كبير قدر الإمكان تتضمن كل المعلومات المحصّل عليها، مثل المسافات بين النقاط المختلفة والوقت اللازم لقطعها بوتيرة متوسطة والمجازات السالكة في أي وقت ومواقع سكن الزعماء الأهالي والأعيان وغير ذلك... كما يتوجّب عليه تجنيد طاقم مستخدميه العاديين من مخازنية وأفراد الكوم حسب أهلية القيام بمهامهم الحربية أساسا، مع تجنيد أكبر عدد ممكن من الحوّامين القدامى، إضافة إلى تجهيز الدواوير النائية جدا بهواتف ميدانية يشغّلها مخازنية أو برطيزة، لكن مع ضمان استقبال جيّد من قبل كل مركز هاتفي يشغله جنود أوربيون لطلبات اتصال الأهالي الموجهة لرئيس القطاع أو خَلَفه المؤقت، وذلك لتفادي الإستيلاء على دوار في أحد المساءات الجميلة /99/ لعدم حصوله على إغاثة بسبب سوء نية الملكف باستقبال الإتصالات.
وبما أن الهاتف قد يتعرض للتخريب يتعين تحديد قمم عالية مسبقا لإيقاد نيران ضخمة ذات دخان كثيف على يد أسر تُعيّن إسمِيا مسبقا، لتحذير المحاربين في حالة وقوع حوادث. كما يتعين تلقين الناس إشعال نيران متتالية على بعد مئات الأمتار تدل المحاربين على الوجهة التي اتخذها جيّاشون مطارَدون وتكون في ذات الوقت وجهة الأياب.
ولتفادي ترك الخراطيش في الأوقات العادية بين أيدي البرطيزة (الأنصار) الذين يهدرونها أو يبيعونها، وجب إقامة مخازن ذخيرة للطواريء في المراكز العسكرية أو لدى الأعيان الموثوق فيهم، لتجنيب المحاربين المستنفَرين سفرا مزعجا وغير مجدٍ إلى المركز، وفي نفس الوقت تنبيه قادة الأسلحة إلى طريقة لعدم توزيع هذه الخراطيش إلا بحكمة وبدون إطالة الكلام الذي يعزى غالبا لمن لا يعرفون الأهالي المحيطين بهم.
كما يجب تزويد كل زعيم أهلي بتعليمة مكتوبة بالعربية، لتذكيره بواجبه في كل احتمالات الطواريء وبالحدود الدقيقة للقطاع الذي يتحمل مسؤوليته الخاصة مع عشيرته، وتوضيح الحد الذي لا يجب تجاوزه بالنسبة لكل واحد تجاه البلاد المتمردة أثناء مطاردة الجيّاشين، وذلك لكي لا يجر الحماس المفرط لبعض الأنصار كل جنودنا إلى مغامرات خطيرة وتعويد أنصارنا البرطيزة على مرافقة كلاب خلال عمليات البحث في الغابات.
إلى ذلك لا بد من تنفيذ تمرينات للطواريء شهريا على الأقل تُختَم باستعراضات سلمية

61 المقصود البادية التي تقع تحت نفوذه، وقد دأب الضباط الفرنسيون على استعمال اللفظة بمفهومها الدارج في المغرب: لَبْلادْ (المترجم).

على طول الجبل، أو بتمارين لإطلاق النار في قلب البادية تُرَفِّه /100/ بشكل مدهش عن الأنصار وتنسيهم الوقت الضائع في «الجري بدون جدوى». فضلا عن ذلك يجب ترغيب حاميات المراكز العسكرية بمراقبة البلد عن طريق تعيين مراقبين مزودين بمناظير يكافأون بطريقة ما كلما استحقوا ذلك.

ويجب أيضا معرفة مراقبة المخبِرين والمنشقين الذين يأتون إلينا بكل حرية دون مضايقة أو ترهيب، وإرغامهم على اتباع طريق آمن ذهابا وإيابا إن اقتضى الحال وأماكن انتظار منعزلة خلال مقامهم بيننا.

بتعبير آخر كخلاصة، يجب تكريس الجهد كليا لهذا الجزء الأساسي من الوظيفة الذي يقوم عليه كل شيء لدى الإحتكاك بالبلاد الثائرة، بما في ذلك أحيانا استقرار الوضع السياسي والعسكري للمناطق البعيدة، والتذكر الدائم للمسؤولية الكاملة عن أمن شعب صغير بأسره وأن العدو يتربص أخطاءنا بلا كَلَل، وأن أمن الأمس لا يضمن لنا قط أمن اليوم ولا أمن الغد.

المخبِر (آرْقّاصْ)

يستحق المخبر أن يتبوأ المرتبة الأولى ضمن أكثر المساعدين الأهالي قيمة لعملنا بالمغرب، ومن المؤكد أن إخلاصه ليس بمنأى عن أي شك، لكن مهما ضعُف صِدقُه وكيفما كانت الأكاذيب التي ترافقه أحيانا فإنه يشكل بالنسبة لضباطنا في المقدمة عونا قويا. غير أنه على غرار كل الأمور الخاصة بالسياسة الأهلية يتعين معرفة استعماله.

فالمخبر يكون غالبا منشقا، /101/ أي أنه ينتمي للعشيرة التي لا تزال متمردة في القبيلة التي تحتل قواتنا ترابها، فهو إذن يعرف البلاد ما دون خط مراكزنا وما وراءها معرفة تامة بمسالكها ومغاراتها وجميع خصائصها، ويعلم من هم الأعيان مسموعي الكلمة بالبلاد الثائرة وطموحاتهم الحميمية وحالة ثروتهم وامتدادات مزروعاتهم، كما أنه في ذات الوقت مطلع على كل ما يمكن أن يسهم في تقريب أو تقسيم قبائل وعشائر ودواوير وأسر مجموعته.

إنه ذكي وشاب ونشيط رغم أنه يبدو في مكاتبنا بئيسا (يجب إثارة الشفقة لنيل أجر جيد)، كثير التنقل ويحسن الملاحظة وينجح في معرفة كل شيء. من جهة أخرى، ونظرا لرغبته في أن«يعيش» فإنه يسعى للحصول على المال بجر ذويه إلى نِعَمِنا وحسناتنا وإن اضطر إلى الكذب والخيانة لتحقيق مسعاه.

فعلاوة على أن رئيس المكتب الذي يشغِّله يعرفه جيدا ويعرف ما يمكن أن ينتظره منه، فإنه يحدد له أحيانا مهام محدودة وجد دقيقة، مثل حمل رسالة إلى منشق يُراد لقاؤه أو

استكشاف المراعي المرتادة من لدن قطعان عشيرة فيما وراء الجبال، أو حضور اجتماع لجْماعْت كمتفرج وتقديم تقرير مدقق عنه، أو اجتياز طريق هام في البلاد الثائرة لضبط مدة اجتياز المسافة بالساعة ذهابا وإيابا، أو تحديد نقطة بدقة عن طريق إيقاد اثنين أو ثلاثة نيران أحراش في ساعة متفق عليها، أو الذهاب للتأكد من مرمى قذائف أطلقت من المركز...إلى غير ذلك.
غير أنه في غالب الأحيان يذهب بحثا عن المعلومة من تلقاء نفسه ليعود إلى المكتب بالمعلومات المحصل عليها، بحيث/102/نجده حَذِرا يرتاد كل أسواق المنطقة بدعوى بيع دجاج وبيض أو مواد أخرى، وفي الطريق يختلط بهذه الجماعة أو تلك ويختار التي يعتقد أن أفرادها سيتكلمون بجدية، مستثيرا إفشاء الإسرار عند الضرورة ومتخذا مواقف متباينة جدا حسب الظروف وتبعا لمخاطبيه، بحيث ينتقل تباعا وببراعة من الإهتمام الشديد تجاه حدث ما إلى لامبالاة مطلقة، ومن الفرح الأكثر صدقا إلى أقصى درجات الأسى.
وحين يرى امرأة عجوزا مُتعبة يعرف أنها قريبة أحد الأعيان يسارع إليها ويريحها من حمولتها، وبلطف وتؤدة يثير الحديث عن الموضوع الذي يهمه ملمحا بذكاء إلى أن الوجيه المعني أشجع الرجال، وأنه بالتأكيد من سيُعيّن قائدا من قبل النصارى «إذا لم يوقف الله مسيرة هؤلاء»، ثم ينتقل في الحال إلى الحديث عن شيء آخر تاركا العجوز المسكينة حاملة وعاقدة العزم على تحفيز طموح ابن شقيقها العزيز «الذي يجهل حتى مزاياه الخاصة».
وحين يصل إلى السوق لا يختلط إلا بالجماعات المهمة ولا يتحدث إلا مع الأفراد الذين يأمل في استخلاص شيء منهم، متقربا بالأخص من الأعيان المثقلين بالديون لقابليتهم للإقتناع بسهولة، فيدنو من أحدهم ويثير بهدوء غيرته من الوضعية التي يُحسَد عليها «الكلب الفلاني» المنتمي للقبيلة المجاورة، مقدما إياه بأنه بصدد مراكمة ثروة بفضل الذهاب سرا للتحدث مع «إِيرُومِيّنْ»، ويضيف ببراءة أنه من المؤسف أن يعود هذا المورد إلى ذلك الرجل الحقير «الذي سيحكُمُنا يوما ما»، بينما يضطر أبطال وشجعان القبيلة/103/إلى إعطاء محصولاتهم وهي لم تنضج بَعْدُ للمُرابين تفاديا للعار.
يصغي المخاطَب دون أن يتفوّه بكلمة، لكن بعد بضعة أيام أو أسابيع على الأكثر يأخذ بنفسه طريق مركزنا رفقة غَاوِيه وسرعان ما تتبعه خيمته وخيام أصدقائه. مقابل هذه الخدمة التي أداها لصالحنا بجر بضعة محاربين سيقاتلون من الآن فصاعدا في صفوفنا يحصل المخبر على عشرة أو خمسة عشر فرنكا...
إن المخبر يعيش في خطر دائم، فهو يواجه الموت مع ذويه في أي لحظة أكثر من المخازني والحوّام والجيّاش الذين يمارسون القتال مع ذلك، لأنه لا عبث مع حرية الجماعة لدى أمازيغنا، وحتى إذا كان عدد من أعيانهم لا يرفضون المجيء فرديا للحديث معنا سرا، فإن

لجْماعت تظل معادية لنا ولا تسمح بأي عجز أو ضعف.
والحال أنه إذا كان نقل رسالة من الرّومِي إلى وجيه متمرد قد يبدو لنا عملية سهلة، فمن يدري أن هذا الوجيه الذي لا يقيّده أي شيء قد يعتقد أن هناك أعين تَرى ولا تُرى وأنه من المفيد لسمعته أو من الحيطة رفضُ الخطاب بتأليب جيرانه ضد الوسيط؟ وفي هذه الحالة يكون الموت لهذا الأخير أو على الأقل نهب خيمته وتشريد ذويه.
كما أنه قد يبدو يسيرا القيام باستكشافات واستطلاعات لصالح الحاكِم، إلا أنه في هذا البلد حيث الحياة أكثر ضبطا وتنظيما مما نعتقد وحيث تثير أية حركة غير عادية فضول الناس، يخاطر المخبر كثيرا إذا لم يتصرف بذكاء، كأن يُفْرِط في التأخر في مسلك لم يعتَدْ على ارتياده أو/104/ يوقد نيرانا حيث لم تجر العادة بذلك، أو يواظب كثيرا على اجتماعات لجْماعت بينما تعفيه حالته المتواضعة عادة من وجود سياسي نشيط. إجمالا فالمخبر محكوم عليه بالحذر الشديد في جميع الظروف والأحوال.
أما زياراته للمكتب فهي مناسبة لحيل مذهلة بالنسبة له، إذ يخبر ذويه بسفره ثلاثة أو أربعة أيام مسبقا مفسرا ذلك بالحاجة للذهاب إلى سوق قبيلة مجاورة أو عند أقارب يقطنون بعيدا، وفي اليوم المحدد يسير متخذا الطريق الطويل بحيث لا يصل حدود المنطقة الخاضعة إلا مع نزول الظلام، ويكون مرتديا ثيابا رثة لأن الطرق غير آمنة والملابس الجيدة تشكل طعما من الدرجة الأولى.
بحلول الليل يخترق الحقول متفاديا الطرق التي يمكن أن يختبيء فيها حوّامون خاضعون أو متمردون أو تنصب بها كمائن للنصارى، فيتسلل بهدوء بين الأدغال والأحراش متسببا في هروب طيور البوم وأبناء آوى والثعالب، ثم حين يشعر أنه اقترب من المركز يختار مكانا ملائما ويتوقف فيه بانتظار النهار.
ومع بزوغ الفجر يستأنف سيره لكنه يذهب الآن بثبات منتصب القامة لكي لا يسيء الحراس الظن في نواياه، وأخيرا يصل إلى أسفل المنحدر الذي يطل عليه البناء محققا مبتغاه، وبعد استقباله من قبل مخازني الحراسة يتم توجيهه إلى منزل الشاوش حيث يُستقبل عادة الضيوفُ الأهالي العابرين، وهناك يقدَّم له الطعام في انتظار مجيء الضابط إلى المكتب وإصدار الأمر بإدخاله.
ماذا يجري خلال هذا الإنتظار وسط النساء والأطفال وصخب الكلام العشوائي/105/ بينما الشاوش يدخل ويخرج وفق متطلبات مهمته؟ إن الضباط النبيهين المخالطين لأمور الجبل يعرفون ذلك جيدا على غرار ضباطنا المساعدين الذين تكبدوا هزائم خلال دوريات الشرطة أو خلال غاراتهم.
فبداية يتظاهر المنشق الداخل إلى المكان بالصِّغار والخجل ويحترس جدا من السؤال، غير أن النساء اللواتي يُحضِّرن الشاي والزبدة التقليدية ثرثارات، فيسألن عن صحة أقاربهن

الذين مكثوا في الجبل وعن بقرة العمة رقية وزراعات العم صالح...إلخ، بشكل يستعيد معه صاحبنا ثقته ويأخذ طفلا على ركبتيه ويعطيه تمرات من الصحراء «أخذها بمشقة من تاجر من آيت مرغاد خصيصا من أجله»، ثم يسحب خاتما من فرنكين ونصف ويمده لأخت الشاوش، وأخيرا بضعة قطع نقدية حسنية ستزَيّن «أساور جميلة لربة البيت» السعيدة حقا...

ثم تنساب الأسرار بلا وعي «أمام هذا الأخ الذي اضطر إلى ممارسة هذه المهنة القبيحة من أجل لقمة العيش»: هل تعتقد يا الطيبي أننا نعيش سعداء جدا هنا؟ هل تعرف أنه أعْوَزَنا السميد أول أمس وتطلّب الأمر بعث من يجلبه باستعجال من المركز المجاور؟ وأن زوجي هو من خفر البغال رفقة فارسين فقط كما لو كان مسموحا تعريض حياة الناس هكذا للخطر. إياك أن تتكلم عن ذلك في الجبل بالأخص، وستتجدد هذه العملية كل أربعة أيام لمدة شهر، ولن يغفر لنا المتمردون على غرار إِيرومِيِّين الملاعين. لا تنس أن تقول لعمي صالح بأن بوعْزّا[62] سيصل الليلة في محاولة «لأكل» المتمردين. زوجي يقول إنهم سيهاجمونكم وراء سيدي سعيد لكن لا تقل ذلك/106/إلا لعمي وأهلك وإياك بالأخص أن تقول شيئا لزوجي، إنه سيقتلني...

أخيرا يصل الحاكم إلى مكتبه وسط جلبة المخازنية الذين ينحنون ويؤدون التحية ويعطي الأمر بالإتيان بالمخبر، الذي يأتي بتؤدة ويتبادل التحية مع من يعرف من مساعدينا، وحين يصل إلى باب المكتب يترك هناك بلغته ليجد نفسه أمام الرئيس وتبدأ المقابلة.

آنذاك تكون مهارة الضابط في المحك، فنجاح استجوابه رهين بصبره وحِدة ذكائه وبُعد نظره ومعرفته بالعقلية الأهلية. فبحكم ميله الطبيعي للتكتم والتحفظ وللتقريبيات والغموض المحسوب والمدروس، لا يكشف المخبر حقيقة عن كل أسراره إلا في محضر داهية، ثم إنه ينفُر مبدئيا من قول الحقيقة ولا يبوح بها إلا بعد تكذيب نفسه عدة مرات متتالية. إن معلوماته دائما غامضة وغير تامة لأنه ينال أجرا عن كل زيارة، وبالتالي يعتبر من المفيد ألا يقول كل شيء في نفس اليوم ويحتفظ بخبر لعودته القادمة.

حين يعلن بأن لجْماعْتْ انعقدت لا يقول أبدا للوهلة الأولى ممن تكوّنت، بل يحدث أن الوجيه الذي نرغب في معرفة موقفه تحديدا في هذا الظرف « تمكّن فعلا من المشاركة في المداولة لكنه لم تتسَنَّ رؤيته». أما إذا تعلق الأمر بتشكيل حرْكة فنادرا ما يتم الحصول على هوية أفرادها أو التاريخ المتوقع لخروجها والوجهة المفترضة لهجومها. إجمالا يُترَك غموضٌ كاف لتبرير مهمة جديدة ومنح «فابور»[63] مطابق.

/107 وعلى العكس من ذلك إذا قرر الضابط الفطن بما فيه الكفاية لهذه العقلية عدم دفع أجور مخبريه إلا تناسبا مع أهمية المعلومات المروية والجهد المبذول للحصول عليها،

62يقصد بوعزا أوموحى أوحمو، قائد مخزن خنيفرة الذين زرع الرعب في صفوف قبائل الجبل والدير.(المترجم)
63 كلمة فرنسية مَدرُجة جرت على لسان المغاربة على عهد الحماية، ويقصد بها المكافأة أو البقشيش (المترجم).

فإنه يكون واثقا من نزاهة نسبية تمنح بعض الأمان.
ومهما يكن، فإن استنطاق مخبر أمازيغي يعتبر مسألة دقيقة أو فنّا، لهذا نرى كثيرا من ضباط الشؤون الأهلية يقضون عدة شهور في تربية وتلقين عملائهم قبل أخذ تعاونهم على محمل الجد، محاولين بالخصوص حملهم على توخي الدقة. وقد نجح بعضهم في إعطائهم مفاهيم جد قيمة في مجال تقييم المسافات والإتجاهات، في حين حصلوا من ذلك على معلومات دقيقة جدا عن طبوغرافية البلاد بالإعتماد في تمثيل التضاريس فوق التراب على أحجار وأشرطة حمراء وزرقاء ومكعّبات خشبية صغيرة مختلفة الألوان، تمثل على التوالي الجبالَ والطرقَ والأودية وقصور مختلف عشائر كل قبيلة.
إثر خروجه من مكتب الضابط ينبغي من حيث المبدأ إعادة المخبر إلى منزل الشاوش ليتناول الطعام في انتظار الليل الذي يسمح له بالعودة إلى الجبل. لكن غالبا ما يُترك حرا في تحركاته فيذهب لخيام المخازنية حيث لا يسَعُه إلا نشر الأخبار التي نقلها «سرا» إلى الحاكمْ وجمع الأخبار المتعلقة بالمنطقة الخاضعة من جديد.
وفي المساء ينطلق في جُنْح الظلام متخذا نفس احتياطات الأمس وحاملا لقالب أو قالبين من السكر وقليل من الشاي وتوصيات متنوعة،/108/ ويصادفه النهار على مسافة قليلة من خيمته، لكنه يحترس جدا من الذهاب إليها على التو لأن عودةً في مثل هذا الوقت المبكر كفيلة بإثارة استغراب الجميع، ولهذا يأخذ فأسه أو منجله من مخبأ لا يعرفه إلا هو ويبدأ في قطع الخشب أو جزّ العشب، وعندما يتيقن من أنه شوهد من لدُن أناس كفيلين بالشهادة بذلك يأخذ حمولته ويتوجه إلى أهله.
لكن لما وصل إلى المرتفع المطل على الدوار توقف مندهشا، كانت دزينة من الخيول تحيط بالمخيم، وفي المكان الفارغ وسط الدائرة حشد يضج كما في السوق، بينما لا يرى في الموضع الذي كانت خيمته مضروبة فيه إلا جماعة من الرجال يتحدثون ويومئون بإشارات. يضع عِبْأَه ويقترب وهو قلق ومدرك أكثر فأكثر لما يحدث. وأخيرا تشاهده زوجته وأولاده المترقبون لعودته فيهرعون إليه منتحِبين.
إن قصتهم مثيرة للشفقة ويروُونها بحسرة ومرارة:» لما علم «إيجمّاعْن» (أعضاء لجْماعْتْ) بذهاب الطيبي المشتبه فيه منذ مدة طويلة، اقتفوا أثره لمعرفة هدف سفره، ولما أبلغهم مبعوثهم بأنه ذهب ناحية المركز النصراني أرادوا التأكد من ذلك وبعثوا لهذا الغرض فاضْمة نْ عْلي التي يقبع ابنها في سجن المركز». إنها المرأة التي تمت استضافتها بأمر من الضابط في خيمة أحد المخازنية وشاهدت أفعال وحركات الطيبي فرجعت لتؤكد التهمة. عندها أغارت لجْماعْتْ على الدوار وهدمت خيمة الجاني ورمت كل الأواني والأمتعة في كل الإتجاهات وحجزت المئونة القليلة من الذرة والسمن. أما البقرة والحمار فينبغي بيعهما /109/ لدفع الغرامة التي ستفرض لصالح آكرّامْ.

وفي قلق وحيرة فكر الطيبي في الرجوع إلى المركز مع ذويه، لكن المسافة كبيرة ولن يستطيع أطفاله الصغار أن يتبعوه، كما دار بخلده أن يطلب حماية أحد الأعيان الذين يطاردونه، لكن الحماية يجب أن يحرم منها الخونة ومن ثم سيكون طلبه بالتأكيد غير مرحب به. يجب إذن مواجهة العاصفة، فقرر ذلك بشجاعة عاقدا العزم على كشف كثير من الأسرار إذا تطلب الأمر ذلك للحفاظ على حياته وحياة أهله.

مع ذلك لم تُلِحّ لجماعَت، فقد أهانت المتهم لكنها لم ترغب في اتخاذ أية عقوبة في حقه، محتفظة بذلك لأكرّامْ الذي سيأتي في غضون بضعة أيام، غير أنها قررت بالمقابل عدم مغادرة خيمة الطيبي للدوار تحت أي مبرر، ثم ذهب الأعيان لحال سبيلهم راضين عن العمل المنجز الذي سيرفع من هيبتهم في أعين الأجانب، في حين يقوم الضحايا المفلسون والمنكسرون بإعادة بناء خيمتهم تحت صياح الأطفال أو يبحثون وسط الأعشاب عن حُطام أمتعتهم.

وفي المساء يمكن مشاهدة الرجل والمرأة كل واحد حاملا طفلا يتوجهان لبلاد إسلام أخرى تاركين الخيمة منصوبة والنار موقدة، بحيث يسيران لمدة ساعة من الزمن في اتجاه قرية متمردة، وفجأة حين يشعران أخيرا بأنهما أحرار في حركاتهما يندفعان نحو الشمال حيث الفرنسيون الذين يُشاع أنهم طيبون جدا، فيسرعان بكل ما أوتيا من قوة وإرادة نحو الخلاص والحرية الحقيقية.

لقد حدثت قصة الطيبي منذ عهد قريب جدا ويمكن العثور على بطلها في مكان ما ببلاد آيت إسحاق في الوضعية الغامضة التي تركه فيها جهله /110/ وربما أيضا شيء من نكران الجميل من جانبنا. إنها ليست القصة الوحيدة من نوعها، بحيث يعج الأطلس المتوسط بهؤلاء الخدّام القدامى الذين كانوا وراء كثير من نجاحاتنا السياسية والذين لم نعرف كيف نكافئهم. بل إننا نعرف يتامى قتل آباؤهم وهم يتفانون في خدمتنا ويعيشون اليوم في فقر مدقع، منبوذين من قِبَل ضباط المكان الجدد الذين لا تربطهم بهم أية ذكرى ومحتقَرين من أمثالهم الذين يتذكرون جيدا حين كانوا مراقَبِين من لدن هؤلاء «المخبرين الخونة»...

فضلا عن آل الطيبي وأمثاله المرتبطين على الدوام بنفس المكتب والمتخصصين نوعا ما في البحث عن المعلومة، نجد في المنطقة المتقدمة عددا كبيرا من العُملاء العرَضيين يؤدون خدمات لا تقل أهمية. لنذكر أولا أقارب الخاضعين الذين يمكن أن يوجدوا حول المراكز وأقارب المخازنية ورجال الكوم المنحدرين من البلد. إن هؤلاء الأهالي يخبروننا بالخصوص عن إمكانيات الغزوات لأنهم يعرفون أنه في حالة نجاح العملية المرتقبة يحق لهم نيل نصيب من الغنيمة. أكيد أن تعاونهم لا غنى عنه لكونهم ذوي نية طيبة دائما، غير أن إعجابهم بقوتنا يمكن أن يزُجّ بنا في قضايا مؤسفة جدا. لهذا يجب دائما دراسة

مقترحاتهم برزانة وحذر وإلا مراقبتها من لدن مساعد أكثر تجربة.
وفي المرتبة الثانية توفر الرّوْحات والغدوات المسموح بها بين المكتب والمنطقة غير الخاضعة بمناسبة المحادثات المتصلة بالسجناء فرصا متكررة للضباط /111/ للإستخبار، لكن هذا النمط من الإستعلامات يفرض مزيدا من اليقظة والحذر. ذلك أن الزيارات مُحضّرة فعلا في البلاد المتمردة عدة أيام مسبقا ومتفق عليها بين أقارب السجناء ولجماعت التي تكون موافقتها ضرورية في كل مرة. كما أن المبعوثين-عادة ما يكن نساء عجائز خائفات وخجولات- لا يغادرون دوارهم إلا بعد تلقي كثير من التعليمات، منها على الخصوص التباهي والكذب لتخويفنا. كما أن الإستنطاق المباشر بين الجدران الأربعة للمكتب لا يسفر عموما عن أية نتيجة جدية.
وعلى العكس غالبا ما يتسنى معرفة أشياء جد مفيدة بتكليف زوجة أو زوجتي مخازنية مؤهلتين بالمقابلة في بيتهن حول برّاد الشاي الذي لا يمكن لأي لسان أمازيغي أن يصمت أمامه.
لنسجل أخيرا أن مفرزة المخازنية المكوّنة لدى كل رئيس مكتب توفر عموما موارد كبيرة لتنظيم مصلحة الاستعلامات. وبحكم تجنيد هؤلاء المساعدين من البلد وخصوصا من بين قطاع الطرق القدامى، وهي مهنة شريفة جدا هنا، فإنهم يعرفون كل ما يجب معرفته لسن سياسة جيدة في البلد أو لخوض حرب جيدة. إضافة إلى ذلك تجمعهم صلات قرابة مع متمردين، ومن ثم يكون مفيدا حين يتأكد إخلاصهم وذكاؤهم بصفة نهائية تكليفهم بمهمات استكشاف بعيدة تتعلق بتحضير عملية حربية (غزوة، مرور قافلة صغيرة...إلخ)

112/ ثارات الدم (والدّيّات):

يطلق عليها «الروح» وهي كلمة عربية تبناها آيت أومالو وتعني «الحياة»[64]، إنها «الرّقْبة» لدى العرب و«تامْكرتْ» لدى قبايل الجزائر، ويتعلق الأمر بمبدأ النفس بالنفس والسِّن بالسِّن الذي سنتناوله بتفصيل في القانون العرفي، ولا نذكره هنا بعجالة إلا للفت انتباه ضباط الشؤون الأهلية في المنطقة المدروسة إلى أهميته، ومع ذلك فإنه أقل صرامة وهمجية مما هو عليه في بلاد القبايل. لإنه إذا كان العفو في الجزائر غير مقبول إلا في حالة القتل غير العمد فإنه أصبح القاعدة لدى آيت أومالو ومحدَّدَ التسعيرة بين مجموعة وأخرى.
فما أن ترتكب جريمة قتل عمدا أو خطأ، يصبح أقارب الميت أي أسرته ودواره «إينْدْلِيبْنْ» المجرم وذويه، بمعني أنهم «دائنوهم في الدم» ولهم حق وواجب الثأر لقتيلهم بقتْل نفْس

64 أخطأ كنون في فهم الكلمة التي تعني النّفْس، وتقابلها في الفرنسية كلمة l'âme (المترجم).

من الدوار الخصم ومطاردة مدينيهم حتى سداد الدين، اللهم إلا إذا سمحت تدابير القَتلة والعلاقات الودية مع خصومهم حتى ذلك الحين بالتوصل إلى مصالحة (آغْدُّولْ) والتسوية السلمية للقضية بدفع المبلغ المحدد (لَفْرَا).

لا تقتصر مسؤولية جريمة القتل على مرتكبها بل تمتد إلى أقاربه، أي إلى كل رجال دواره الذين لم يتبرّأوا من أفعاله قبل الجريمة (إِيبْرّا ذِيكسْ) أمام الملأ وبشكل حازم. أما بعد الجريمة فإن هؤلاء الأقارب لا يستطيعون الإفلات شخصيا/113/من تبعات قرابتهم إلا بدفع كمية من المال لأسرة الميت يحددها العرف ويطلق عليها «تِيبْرِيْتْ».

ومهما يكن، بمجرد ارتكاب جريمة يجب على مرتكبها مغادرة البلاد فورا مع أقاربه المتضامنين مع أفعاله والمعيَّنين بالإسم من قبل أسرة الضحية، وهذه الأخيرة أيضا هي التي تعين لهم إقامتهم الجديدة بمنحهم الهدنة (لَهْنَا)، ثم تتدخل لجماعت الدوار الجديد للقاتل للحصول على هُدْنات متتالية تعقبها في النهاية المصالحة الشاملة (الصلح) مقابل دفع الدّيّة.

تترتب عن كل هذه الإجراءات والخطوات مصاريف هامة بالنسبة للقاتل، لأن كل واحدة منها تصاحبها وجبات طعام مقدمة للأعيان وثيران وأكباش تُبعث للخصوم. وقبل عقد الهدنة يكون من حق أقارب الميت أن يقتلوا القاتل أو أحد أقاربه حيثما وجدوهم، اللهم إلا إذا كانوا مصحوبين بـ«آمْزّطّضْ» (حامي) أو في بعض الحالات الأخرى التي سنراها لاحقا.

كما أنه خلال الهُدنات لا يحق للقاتل وأقاربه المنفيين معه أن يرتادوا إلا الأماكن المعيَّنة من قبل أسرة القتيل. وحينما يؤدى ثمن الجريمة بقتل نفْس تتصالح الأسرتان بتدخل من لجماعت ويعتبر الدَّيْن مُسدَّدا. كما أن الحرب تلغي كل الإلتزامات المترتبة عن ديون الدم، فالرجال الذين سقطوا في القتال وبمناسبته لا يدخلون في حساب ديون الدم.



القسم الرابع

تنظيم آيت أومالو

الأسرة.

يشكل الأب والأم والأطفال الذين يعيشون تحت نفس الخيمة أو السقف وكل الأشخاص الذين يعيشون معهم وعلى نفقتهم سواء كانوا أقارب أم أجانب، يشكلون «آمّسّي» (جمعه إيلْمَسِّيتْنْ) أو الكانون. ويشكل كل الأشخاص المنحدرين من نفس الدم مثل الإخوة وأبنائهم وأبناء العم والخال ويعيشون منفصلين في عدد من إيلْمَسِّيتْنْ، يشكلون «إيغْسّ» (العظم) أو العائلة.

ويعتبر رب آلمسي مبدئيا من يقوم بتوفير حاجياته بفضل عمله أو ثروته، فالسن لا يخول السلطة بالضرورة إذ يحدث غالبا أن امرأة هي من يسيّر شؤون آمّسّي مثلما يحدث مثلا حين يكون الزوج متوفيا تاركا أطفالا لا يسمح صغر سنهم بتعويضه. إلا أنه وحدها المرأة البالغة سنا متقدما لا تفكر معه في الزواج ثانية يمكنها الإضطلاع بدور ربة الخيمة بموافقة ضمنية من الوالدين وأهل الدوار، وتبقى مع ذلك تحت مراقبة الأقارب الذين تعترف لهم التقاليد بحق التدخل في حالة شطط أو عجز.

أما ربّ آلمسي (الرجل) فيتبوأ هذا الدور بحكم أنه من يمتلك أو يحقق/115/ القسم الأساسي من موارد الخيمة أو يتصرف فيها لتلبية حاجيات أهله، إذ يتنحى الأب العجوز من تلقاء نفسه لفائدة ابنه ويتخلى له عن كل الصلاحيات دون الحاجة للجوء إلى أي طقس احتفالي. وأما المرأة ربة آلمسي فتقرر بنفسها القيام بهذه المهمة بأن تصرح لأعضاء إيغْسّ الآخرين بأنها تنوي البقاء في خيمة أبنائها لتربيتهم، فإذا لم يقبل هذا التصريح تلجأ إلى لجْمَاعْتْ الدوار لتتدخل، ولا يُرفض طلبها إلا إذا رأت لجماعت أن المرشحة عاجزة أو غير جديرة.

وهكذا يتوجب على المرأة المعترف بكونها سيدة الخيمة الوفاء تجاه دوارها بجميع التزامات رب الخيمة-الرجل، بحيث تتحمل نصيبها كاملا من التكاليف المفروضة على المجموعة وتشارك بالتساوي في الفوائد التي يمكن أن تستفيد منها الجماعة. غير أنها معفية من الذهاب إلى الحرب ويتوجب عليها بالمقابل في حالة الحرب أو التهديد باندلاعها شراء فرس أو بندقية أو كليهما أحيانا، كمساهمة في الدفاع إذا استجابت للشروط المادية المحدَّدة من قبل لجماعت. ويُعهد بالفرس والبندقية طوال مدة القتال لأحد أقارب زوجها أو إلى أي فرد من الدوار لا يسمح له فقره بالحصول عليهما على نفقته، كما يجب على المحارب الذي تختاره المرأة أن بكون قادرا على القتال وأن تتم الموافقة عليه كذلك من لدن لجْماعْت.

أما العائلة (إيغْسّ) فرئيسها هو الرجل الذي يؤهله لذلك سنه ووضعيته المادية والإعتبار الذي يحظى به لدى الرأي العام، ويمكن لآمّسّي أن يكبُر عن طريق التبني/116/الذي

يتخذ شكلين: التبني اللامشروط والمشروط.
فالتبني اللامشروط يخول للمتبَنّى («آمّحارَسْ» حين يتعلق الأمر بغريب أو قريب بعيد، «آكوجيل» حين يتعلق الأمر بابن أخ) جميع حقوق الطفل الشرعي ويفرض عليه واجباته. ومع ذلك يمكن أن يعترف المتبَنِّي للمتبَنَّى بنصيب من أملاكه أقل من نصيب أبنائه الشرعيين.
يتم التبني بحضور لجماعت الدوار الملتئمة خلال وجبة طعام مقدَّمة من لدن المتبنِّي، وإثر تناول الطعام يعلن هذا الأخير: «هَانْ فْلانْ آمْ نْتَّا آمْ وَارَّاوْ إِينُو، آدْ إِيكْ كَذَا ك آيْنَّا إيكانْ وِينُو» (إن فلان مثله مثل أبنائي، له الحق في نصيب كذا من كل ما أملك). وأحيانا يُكتب هذا الإعلان على يد طالب مدعو للحفل، لكن هذا الإجراء غير إجباري على غرار الفاتحة التي تبقى اختيارية ورهينة بحضور الطالب. وإذا كان أب المتبنَّى حيّا، فإنه يحضر الحفل ويعلن للجماعت أنه يقبل التبني بقوله فقط: «قَبْلَخْ» (أقبل)، ويحدث نفس الشيء حين تكون الأم وحدها حيّة. أما حين يكون الوالدان متوفّين والمتبنَّى قاصر فيعود الحق لواليه الشرعي في الموافقة أو الرفض. وفي حالة وفاة المتبنّى يعود النصيب الذي تركه له المتبنِّي إلى أبويه الطبيعيين ما لم يُقرَّر خلاف ذلك، لكن المتبنِّي غالبا ينُصّ على أن أملاكه تعود إلى أسرته في حالة وفاة المتبنَّى.
لا يهم سن المتبنَّى كثيرا، إذ يمكن لرجال في سن العشرين والثلاثين أو أكثر أن يَأويهم الغير ممن يرغب في ضم سواعد للعمل أو إيواء رجل جدير بالنيابة عنه أو الحلول مكانه فيما بعد كرَبِّ أسرة/117/ بل لعله الحالة الأكثر شيوعا، لأن تبني أطفال صغار لدواعي عاطفية مجهول تقريبا في هذه البلاد.
لا يخلق التبني روابط دم بين المتبنِّي وآمّحَارَسْ، إذ يمكن لهذا الأخير أن يتزوج ابنة متَبَنِّيه وهو ما يحدث في أغلب الحالات كما يمكنه أيضا أن يتزوج أرملته. في المقابل يمكن للمتبنِّي أن يطرُد آمحارس من خيمته، لكن يتوجب عليه أن يعطيه نصيب الممتلكات الذي اعترف له به يوم تبنيه، وإذا أراد التملص من هذا الإلتزام عليه إثبات أخطاء آمّحارَسْ أمام لجْمَاعْتْ التي تقرر.
كما أنه بإمكان آمحراسْ أن يغادر خيمة متبنيه سواء للإنتقال ببساطة للعيش في مكان آخر أو بسبب تصرفات المتبنِّي السيئة تجاهه. فحسب الحالة وكلما دعت الضرورة إلى ذلك يتم اللجوء للجماعت لتحديد شروط الإنفصال.
ما عدا حالات الأخطاء المعترف بها أو في ظروف استثنائية، يفرض العرف أن يبقى آمحارس سنة على الأقل في الخيمة التي استقبلته لكي يحق له الحصول على الفوائد المعترف له بها عند التبني، وقد وضعت هذه القاعدة لتفادي استغلال بعض الأفراد عديمي الضمير للتبني بتقليص مدته بدون مبرر مع المطالبة بمزاياه ومنافعه.
أما التبني المشروط (آمّحَارَسْ نْ شَّرْضْ) فيتم وفق نفس الشروط والأشكال، لكنه يفرض

على آمحارس أن يمكث لعدد من السنوات تحت خيمته الجديدة للحصول على حق المنافع التي منحت له من لدن المتبنّي، وتحدد بدقة فترة الإختبار المطلوبة وطبيعة المنافع الممنوحة بمحضر لجماعْتْ والطالْب.

ويمكن لربّة آلمسِّي أيضا أن تتبنَّى/118/أو تستقبل غريبا تحت خيمتها، ويتم تبنّيها لطفل أو قريب تبعا للقواعد العادية سالفة الذكر، ويُطلق على الطفل المتبنَّى دائما اسم آمْحارْس. لكنه غالبا ما يحدث أن المرأة ربة الخيمة الأرملة أو المطلّقة والراغبة في العيش مع رجل دون عقد زواج تأوي هذا الرجل في خيمتها تحت إسم «آمَازَّالْ»(65) (الذي يجري، ويقوم بالأشغال)، فيهتم هذا الأخير بخيمة المرأة كما لو كان رب الخيمة ويباشر باسمها جميع الشؤون بما فيها المتعلقة بالأطفال، بحيث يعتبره الجميع بمثابة زوجها الحقيقي، لكنه قد يُسرَّح بمجرد انتهاء رضاها عنه أو حبها له دون أن يكون له الحق في أي تعويض، فالعرف يعتبر أن التمتع بكل موارد الخيمة يشكل مكافأة كافية للخدمات التي قدمها. تلك هي الحقيقة الفظيعة التي تجعل وضعية آمازّالْ تبدو هشّة لكونه تحت رحمة نزوة المرأة. ثم إنه رغم انتهاء هذه العلاقة أحيانا بالزواج فلا يُوافَق على أن يصبحوا «إيمازّالْن» إلا الرجال ذوي حالة متدنية ولا يملكون أي شيء في الغالب.

لا يتطلب انضمامُ آمازّالْ لآلْمسّي أي إجراء، إذ يكفي إعلان المرأة بذلك لأقربائها أو لعضو من لجماعت. غير أنه حين تمتلك المرأة بعض الممتلكات وتريد أن تحميها من سوء استعمال آمازّالْ، فإنها تحرص على انعقاد لجماعت في خيمتها وتُشهر ذلك بجدية أمام الأعيان، وأحيانا يدون طالب الحدث في وثيقة جد مقتضبة تنقل الإعلان وأسماء الشهود دون التقيد الصارم بقراءة الفاتحة(66).

119/يكتسب الغريب المستقر بشكل دائم حق المواطنة وتكون له نفس حقوق أعضاء القبيلة مباشرة بعد التبني العادي والبسيط وبمجرد انتهاء الأجل المفروض في حالة التبني المشروط.

أما الغريب الذي يستقر بخيمته الخاصة في دوار قبيلة أخرى فإنه يذبح خروفا أمام خيمة شخص يطلب حمايته ويصبح «أُوتيِخْسِي» لهذا الشخص (الشّاة كناية عن الذبيحة)، ولا يستطيع الرجل الذي طُلبت حمايته بهذه الطريقة أن يرفض، بل يعتبر أوتيخسي الذي ذبح عليه محميا له في كل الظروف وتجاه الجميع. وفي حالة عجز المحمي عن إنصافه من ضرر ما يتدخل الحامي وإذا تطلب الأمر تتدخل عشيرته أو دواره أو قبيلته أو اتحاديته على التوالي إلى جانبه على سبيل التضامن.

فالمحمي يعتبر إذن عضوا في القبيلة يساهم في الكُلَف المشتركة في كل الميادين، ومع

65 آمازّالْ بترقيق الزاي، حرفيا الجرّايْ، أو المْسَخَّر بالدارجة المغربية. (المترجم)

66 يبدو أن كنون يتعسف كثيرا في محاولة إظهار آيت أومالو غير حريصين على التقيد بمقتضيات الشرع، في حين يكاد يكون مستحيلا أن يحضر فقيه أو طالب مجمعا دون قراءة الفاتحة والدعاء بما يرجى الإستجابة له. (المترجم)

ذلك يحتفظ بحق مغادرة مضيفيه حين يرغب في ذلك شريطة التخلي عن الحقوق التي صارت له بحكم انضمامه إلى الدوار. وهكذا إذا كان هذا الأخير قد منحه قطعة أرض لمزروعاته فعليه التخلي نهائيا عن أي ادعاء عليها بينما تظل الأملاك المشتراة ملكا له حتى بعد رحيله.

الدوار:

نُقلت كلمة الدوار معنا من البلدان العربية وتعني خياما مجتمعة منصوبة بشكل دائري،/120/ أما في بلاد آيت أومالو فيمسى الدوار «آسَوَنْ» (جمعه إِيسُّووَنْ)، ويطلق عليه لدى زايّان وأهل الدير والسفح الجنوبي للأطلس المتوسط «تِيكَمِّي» (جمعه تِيكُومّا). ويتكون الدوار من عدد معين من «الرِّيُوفْ» (جمع ريف)، والريف مجموعة من الخيام تحتل قطعة محددة من الدائرة المشكلة من قبل المخيم. فمبدئيا تُضرب خيام نفس الأسرة بجوار بعضها مكونة ريف هذه الأسرة، غير أن أهمية قطعان الماشية والرعاية التي تولى لها تفرضان اعتماد تنظيم للمخيم قلما يأخذ بعين الإعتبار علاقات الدم، إذ تتجاور خيام المالك ومستخدميه أو شركائه مشكلة ريف هذا المالك، كما يحدث أن خيمتين أو ثلاث أو أربع خيام تنتمي لأسر مختلفة لكنها متواددة فيما بينها تخيم مجتمعة لاستعمال نفس الرَّحَى اليدوية أو غيرها من الأدوات المكلِّفة أو النادرة التي يُفَضّل امتلاك نسخة واحدة منها لعدة خيام، فتشكل هذه الخيام ريفا يحمل اسم أبرز رؤسائها.

والدوار تجمع إثني متكون مبدئيا من خيام تنحدر من نفس الأرُومَة وتنتمي لنفس العشيرة السياسية (انظر العشيرة لاحقا)، لكن هذه القاعدة ليست مطلقة ويحدث كثيرا أن غرباء أمازيغاً أو عرباً جذبتهم مصالح أو صداقات أو منفيين من عشائرهم الأصلية إثر جريمة (إِينْدْلِيبْن) يستقرون في دوار بعد طقس ذبح خروف على شرف أحد الأعيان الذين يصبحون محْميّيه (آيت تِخْسِي). إن ذلك هو حال كل المنشقين حاليا الذين فروا من البلاد المحتلة من قِبَلنا ولجأوا إلى منطقة واد العبيد أو إلى الصحراء.

/121/ ويرتبط هؤلاء الغرباء بمصير مُتبنّيهم في كل ما يتعلق بالتزامات الحياة اليومية، فيكتسبون حقوقهم ذاتها ويتحملون نفس الكُلَف والواجبات وعليهم أخلاقيا تبني نفس التوجهات السياسية. على أنه في حالة اندلاع حرب داخلية، إذا أبدى أحد الوافدين من عشيرة مجاورة رغبته في العودة إلى عشيرته الأصلية التي أصبحت عدوة لمضيفيه فله كامل الحرية في ذلك، غير أنه بعد انتهاء القتال لا يمكن قبوله من جديد بين ظهراني حمُاته إذا عجز عن إثبات أنه لم يقتل بيديه أحد أعضاء الدوار المتبَنّي له، ومع ذلك لنسارع بالقول إنه نادرا ما يتم هذا التسامح.

وعدد خيام كل دوار متغير أساسا، إذ لا يرتبط بعدد الأسر ذات الأصل الواحد فحسب بل بالوضعية السياسية التي تتطلب التجمع للدفاع بشكل أفضل أو تسمح بالتشتت في البادية لمباشرة أشغال الحقول وتربية الماشية بشكل أسهل. ولهذا إذا وُجدت اليوم في بلاد زايان المهدأة دواوير من خيمتين أو ثلاث أو حتى خياما معزولة، ففي حدود إيشقيرن حيث لا زالت تُخْشى عصابات إيجياشن لا يمكن للدواوير أن تقل عن عشرين إلى أربعين خيمة دون أن تعرض نفسها لأوْخَم العواقب، وهو نفس ما يوجد لدى غير الخاضعين الموجودين في الجوار المباشر لمراكزنا المتقدمة والذين لديهم أسباب للخوف من غارات مخازنيينا وأنصارنا البرطيزة.
لنُضِفْ أن كبار الشخصيات الأهلية يرون أنه من الضروري لمكانتهم وهيبتهم ولأبهة استقبالاتهم أن تحاط خيامهم الشخصية بأكبر عدد ممكن من الأسر المتفانية والغنية، وهكذا فإن/122/دوار آمهروق ولد موحى أوحمو مثلا يتكون دائما من مائة إلى مائتي خيمة مشكلة دائرة ضخمة ورائعة حيث يتجمهر حشد من الأصحاب والرفاق الذين يشكلون بالنسبة للأمازيغ «الطائفة» المقدسة للسيد (الحاشية). ولْنُضِف كذلك أن الدوار العادي إلى جانب كونه مجموعة إثنية فهو في ذات الوقت تقسيمة إدارية تسهل توزيع شتى الكلف المفروضة على المجموعة العليا الممثلة في الفخذة.

الفخذة:

تتكون الفخذة من عدد متغير من الدواوير ذات الأصل المشترك، وتبعا لوجود ثلاثة أو أربعة أو خمسة منها في المجموعة العليا التي هي القبيلة (تاقْبِيلْتْ) فإنها تسمى «الثُّلُثْ» أو«الرُّبَعْ» أو «الخُمُسْ». وعلى غرار الدوار فهي مجموعة إثنية وفي ذات الوقت تقسيمة إدارية تسهل تسوية حسابات القبيلة.

القبيلة:

تتكون القبيلة (تاقبيلت) من مجموع الفخذات المعترف لها بنفس الجد أو من عدد معين من المجموعات ذات الأصول المختلفة فرضت عليها ضرورات الحرب والسكن المشترك أن تتوحد. وقد كانت قبل وصولنا تمثل الوحدة السياسية والعسكرية، أما اليوم فقد أصبحت الوحدة الإدارية في المنطقة الخاضعة.
تكون الدواوير والفخذات المكونة للقبيلة متضامنة، ويظهر هذا التضامن في كل مجالات الحياة وخاصة في العلاقات مع الأجانب. وتعتبر المسالك والسوق والمساجد والأماكن

المقدسة/123/ ملكية للقبيلة يشارك كل فرد في صيانتها بقدر ما تقرره لجْماعْت، كما تمتلك المراعي التي لا يمكن لفروعها أن تتمتع باستغلالها بسلام إلا بعد موافقتها التامة. وتُعلَن الحربُ من قبيلة إلى قبيلة كما تنتهي حين تقرر لجماعت القبيلة ذلك. وعند أول أعلان للنفير يجب أن تتوقف المناوشات الداخلية ولا يحق لأي فرد إلا التفكير في الإسهام بكل قواه في العمل المشترك. وفي حالة السلم يكون من واجب الجميع السهر على ألا يتعرض الأعداء القدامى الوافدين على أرض القبيلة لأي أذى يمكن تأويله كخرق للكلمة الممنوحة. أما لجْماعَاتْ وإيمغارْنْ الدواوير والفخذات فإنهم تابعون كليا في هذا الأمر لأعضاء لجماعت القبيلة، السادة الحقيقيون لمصير المجموعة.

أخيرا، فإن المسافر الذي يصرح بهويته خارج القبيلة يقدم اسم قبيلته قبل الحديث عن دواره أو اتحاديته، فهل يجوز القول مع ذلك بأن التضامن داخل القبيلة تام دائما ؟ كلاّ ونعرف مثلا بأن آيت بنمسعود من إيمزيناتن الذين استقطبهم موحى أوحمو لفترة قد رفضوا الإقتداء بالفخذات الأخرى لقبيلتهم في عدة حالات، لكن هذه الأمثلة نادرة جدا ولا تُبْطِل القاعدة.

الإتحادية (الكونفدرالية) أو اتحاد القبائل:

يمثل اتحاد القبائل تجمعا قد يتشكل من قبائل ذات جد مشترك، فَزَايّان وإيشْقّيرْن مثلا يشكلون اتحادا داخل اتحادية آيت أومالو. وفي المقابل تمثل الإتحادية في الغالب نظاما فدراليا تحتل فيه القبيلة الكبيرة أو القبيلة المنعزلة المكان التي يحتله الدوار في الفخذة أو تحتله الفخذة داخل القبيلة كما هو عليه الحال في القبايل (يُنظر هانوتو و لوتورنو)، غير أن الروابط التي تجمع هذه العناصر تكون مرتخية جدا وليست لها أي فرصة تقريبا لتؤثر. وعلى أي حال تتقدم مصالح القبيلة دائما على مصالح الإتحاد أو الإتحادية.

تَاضَا:

تاضا هي ميثاق للتعاضد والمساندة المتبادلين يبرم من جهة بين دوّارين من قبيلتين مختلفتين وبين أفراد نفس الدوّارين بشكل فردي من جهة أخرى، وتتمثل الإلتزامات المترتبة عليه بالنسبة للمتعاقدين فيما يلي:

بين دُوّار وآخر: -1 لا يجب ترك أعداء المجموعة الحليفة يمرون على أرض الدوار لمهاجمتها سواء في الذهاب أو الإياب. -2 في حالة قيام حرب قد تمس قبيلتيهما يتعين التحذير المتبادل بقرب اندلاع القتال ومعارضة أي هجوم مباغت على الدوار الصديق.

أما بين الأفراد: -1 اعتبار أشخاص وممتلكات حليفه من الدوار الآخر مقدسة. -2 صد خطط اللصوص عنها إذا عُلِم بها مسبقا. -3 في حالة ارتكاب سرقة في حق أحد الحليفين من قبل أفراد من قبيلة الحليف الآخر يتوجب على هذا الأخير أن يسترجع بجميع الوسائل المتوفرة لديه الحيوانات أو الأمتعة المسروقة للشخص الذي تربطه به «تاضا» -4 توفير الحماية/125/ والمساعدات الضرورية لحليفه إذا كان مسافرا في أرض القبيلة.

تُبرم الأحلاف بين الدواوير وفق الشكل المعتاد بالإتفاق والتفاهم بين لْجْمَاعَات، ثم يرتبط كل اثنين من الأفراد فيما بينهم عن طريق القرعة خلال جمع عام للمجموعتين، بحيث يعطي كل فرد إحدى بلغتيه للوجيه المعين من دواره، فيقوم هذا الأخير بمراكمة الأحذية التي توصل بها ويغطيها ببرنسه، وعند اكتمال عدد البلاغي في كل كوْمة يأخذ كل واحد من الوجيهين حذاء بالصدفة ويُظهِره أمام الجميع، فيُعلَن الشخصان صاحبي البَلْغتين اللتين سُحبتا في آن واحد مرتبطين «بتاضا».

ورغم عدم تضمنها أي التزام بالمساعدة في حالة الحرب فإن تاضا مقدسة لدى الأمازيغ، بحيث يقولون إن درجة احترامهم لها تبلغ حدا أنه خلال الإنتجاع إذا حلوا في «أمازير»(مكان المخيم) إثْر آيت تاضا، يعتبر مس سياج الشوك الذي كان يحيط بخيامهم والذي تركوه في عين المكان تدنيسا وانتهاكا للحرمة. وعلى أي حال يُستقبَل دائما الفرد العابر للدوار الصديق من قِبل شريكه في تاضا بحفاوة بالغة. وقد تدوم تاضا إلى أجل غير مسمى حتى خلال فترات الحرب وتنتهي بناء على رأي وقرار إحدى لجْماعتين، ويمكن لدوار أن يبرم تاضا في نفس الوقت مع عدة مجموعات من قبائل مختلفة.

العشيرة (تامادْلا):

تعتبر العشيرة تحالفا سياسيا مكونا من قبائل وعشائر ودواوير تعاهدت على التعاضد المتبادل في جميع/126/الظروف وخصوصا في حالة الحرب على إثر اتفاق وتفاهم لجْمَاعات. ويوجد بالطبع معسكران اثنان على الأقل في كل مجتمع لآيت أومالو، سواء تعلق الأمر بدوار أو بفخذة أو بمجموعة أكبر. وإذا كانت السياسة لا تمارَس لدى الأمازيغ بمفهومها الأوربي ولا يمكن للمرء أن يكون جمهوريا أو ملكيا أو شيوعيا، فإن حاجة المرء إلى أن يعيش كريما ومدعوما تفرض عليه اتخاذ موقف تجاه كل الخلافات والنزاعات الناشئة حوله.

غير أنه في الوقت الذي يكون فيه المرء في البلدان المتقدمة سيد رأيه وسلوكه أو على

الأقل مفروض أن يكون كذلك بفضل ورقة تصويته، لا يمكن تكوين رأي شخصي في البلاد الأمازيغية وفرضه إلا في إطار الدوار وفي نزاعات المصلحة الصغيرة، أما بالنسبة لباقي الأمور مثل النزاعات بين دوار وآخر وبين عشيرة وعشيرة أو بين قبيلة وأخرى، فإن لجْماعْتْ المعنية هي التي تتباحث في شأنها ولها كامل السلطة في اتخاذ القرار باعتبارها ممثلة لأغلبية الأسر النافذة ومندوبة الجميع.

من الطبيعي أن يستتبع ذلك انتماء كل أهل الدوار لنفس المعسكر السياسي ويوجدون دائما في نفس الجهة خلال الحرب، ما عدا الإستثناء المشار إليه أعلاه في الفصل الخاص بالدوار.

وتكون الدواوير داخل العشيرة متضامنة جدا في كل صراع ضد عشيرة مجاورة أو ضد أجانب، ولكنها تسترجع كل حريتها بمجرد ما يتعلق الأمر بمساندة مجموعة مجاورة مشتبكة مع مجموعة أخرى تنتمي للقبيلة أو مع أجانب يتقاتلون مع أجانب آخرين، بمعنى تكون لها حرية الذهاب لتضخيم صفوف أي معسكر. وهو ما ينطبق على الفخذات داخل القبيلة باعتبارها آخر درجة في التنظيم الأمازيغي/127/حيث الإلتزام الصارم بالتضامن ضد الأجنبي.

ويتغير تكوين العشيرة حسب عاملين أساسيين: مكانة وهيبة زعمائها والفكرة التي تكونها كل مجموعة عن مصالحها المادية بالأساس. فالمجموعة التي تتوفر على لجماعت قادرة ومحاربين أشداء تجد أصدقاء دائما وقت الحاجة، وينطبق نفس الأمر على من له كياسة استضافة لجْماعات الأجنبية وحكمة تقديم بعض أكياس النقود أو يكون قادرا بفضل الموقع الجغرافي لبلده وعدد مقاتليه على منع المرور إلى المراعي، أما البخلاء والفقراء والضعفاء فلا يأبه أحد بمصيرهم.

وبديهي أن الظروف المحيطة بنشأة العشائر تجعلها هشة ومتغيرة التكوين باستمرار، إذ يكفي حدث تافه أو كلمة في غير محلها أو مناورة ذكية من لجماعت لإحداث تحول مباغت لسلوك وموقف أحد عناصر «تاماضلا» ومن ثم تغييرات هامة في تكوين العشيرة. فالأمازيغي لا يرى عيبا في الإنتقال من معسكر إلى آخر بل يفعل ذلك أحيانا في ظروف تمس سمعة وفائه بجدية. سنرى لاحقا في الجذاذة التاريخية وفي الفصل الخاص بتهدئة المناطق غير الخاضعة نصيب ودور هذه العقلية في حل المشاكل السابقة أو القادمة لبلاد آيت أومالو.

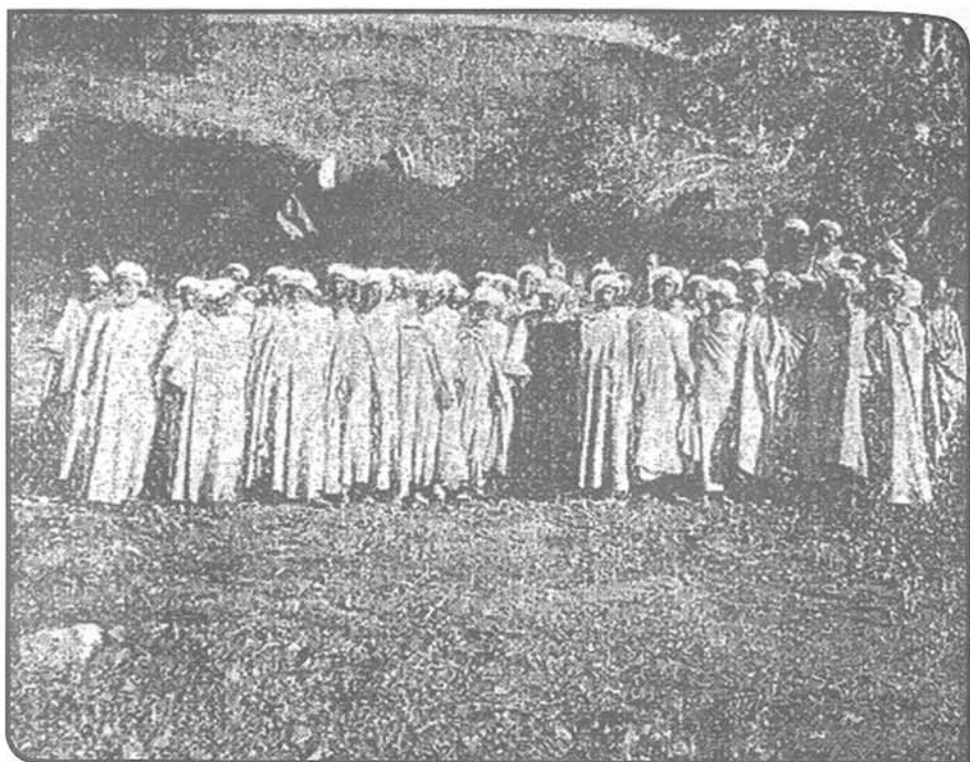
/128/ **لْجْمَاعْتْ**:

لجْماعت هي مجموع الشخصيات النافذة في مجموعة ما دوارا كانت أو فخذة أو قبيلة أو اتحادية، ومن ثم يكون عدد أعضائها «إِيجْمَّاعْنْ» متغيرا ولا يتطابق بالضرورة مع تقسيمات المجموعة، ولا ينتخب هؤلاء الأعضاء من قبل الجمهور بل يقلدون المهمة المجانية من طرف الرأي العام. فلكي يصبح المرء آجْمّاعْ يجب أن يكون مشهورا بحكمته وغنيا أو في حالة ميسورة، وأن يكون أيضا كريما ومقداما في الحرب. فتبوء هذا الدور لا يتطلب أي تزكية أو تكريس بحيث أن الرجل الذي يصبح مؤثرا ونافذا في جماعته يضمن مكانه ضمن الآخرين الذين يعرفونه ويدمجونه دون شكليات حتى لو لم يُؤْبَهْ لآرائه إلا بقدر مناسب لمكانته الشخصية ولقوة المجموعة التي يمثلها.

ينبغي لآجْمّاع أن يكون حازما ونشيطا وأن تُعرف خيمته بـ«آخَامْ نْ بُو طّعَامْ» (خيمة صاحب الكُسْكُس)، بمعنى الخيمة التي يتم فيها الإحتفاء بالضيوف وإكرامهم ومن ثم ضرورة أن تكون نساؤه طباخات جيدات وله خدم مدرَّبون بالقدر الذي يسمح به حال شعب من الفلاحين، كما يجب عليه أيضا أن يمتلك فرسا وبندقية إذا كان لا يزال قادرا على حمل السلاح.

إن وظيفة آجماع غير وراثية ويتم قبول الشاب (آفْدّامْ) في الإجتماعات بمجرد أن يركب الفرس ويستعمل البندقية، وبإمكانه المشاركة في الإجتماعات بمحضر أبيه حتى إذا كان يقطن معه في نفس الخيمة، لكن في مثل هذه الحالة يقتصر الإبن على الإستماع والتعلم، اللهم إلا إذا كان يتمتع شخصيا بنوع من الشهرة والوجاهة،/129/حينئذ لابد من طلب مشورته. كما يمكن للمُعاقِ أن يكون آجماع إذا لم تجعله إعاقته عاجزا عن الحركة وموضع سخرية.





لجماعت ن إيشقيرن سنة 1925

في الصف الأول من اليسار إلى اليمين: مولاي علي من مزيزيت، سيدي محمد من تاسكرت

غفاي، أكرير، موحى وعلي ولد القايد علي (إيمزيناتن)، آقشحون (آيت يعقوب أوعيسى)، علي نآيت إيمور (من إيمزيناتن)،

حمو نغدوان (آيت حماد أوعيسى)، مولودي نائب تجار لقباب.

في الصف الثاني، بين غفاي وأكرير: عبد القادر، رقاص ربط سابق بين أولعايدي وألمان طنجة، وهو اليوم أحد الخاضعين الأوفياء لنا.

ولا تُقْبَل المرأة أبدا في لجماعت كيفما كان سنها أو وضعها الإجتماعي، وحين يكون لديها رأي تريد إبداءه يتيح لها العرف والعادة تبليغه لأعضاء لَجْمَاعْتْ المجتمعين بصوت مرتفع ومن بُعْد. في المقابل يمكن للشرفاء العرب والغرباء (إِيبْرّانيِيْنْ) سواء تم قبول إقامتهم أو اكتسبوا حق الإنتماء للمجموعة/130/ أن ينضموا للجماعت مثلهم مثل أعضاء المجموعة إذا استوفوا الشروط التي يقتضيها العرف، أما العاجزون والفقراء والعبيد فإنهم مقصيون.

ولكل مجموعة جماعتها مهما كان حجمها، ففي «تِيكمِّي» (دوار) منقسم إلى عدة «إيسّووَانْ» (دواوير صغيرة) يكون لكل آسُّوَانْ لجماعت تدير شؤونه الخاصة، غير أن لجماعت ن تيكمي لا تتكون بالضرورة من ممثل لكل آسوان، لأن رجلا مشهورا بوجاهته ضمن الخيام الأربعة أو الخمسة التي تشكله قد لا تكون له أهمية في مجموع الدوار، مما يترتب عليه أن شؤون هذا الأخير يتم تدبيرها غالبا من قبل شخصيتين أو ثلاثة شخصيات مرموقة على الأكثر.

وفي لجماعت الفخذة يتعين أن يمثّل كلَّ دوار مبدئيا عضوٌ من جماعته على الأقل كما جرت العادة في الأصل، أما عمليا فلم يعد الأمر كذلك إذ يكفي اثنان أو ثلاثة أو أربعة أعيان في الغالب لتدبير أهم شؤون المجموعة حتى إذا كانت تتكون من دزينة دواوير، كما أن إيجماعن الفخذة ليسوا ضمن أعضاء لجْماعْت القبيلة. وإجمالا يمكن التسليم بالقاعدة العامة التالية:

تتوفر كل مجموعة مهما كان حجمها وأهميتها على لجماعت، لكن لا يشارك في مداولات لجماعت المجموعة الأعلى إلا الوجهاء ذوي النفوذ الحقيقي، مما يترتب عليه انتقاء آلي يسفر عن أن شؤون القبيلة تحسم فيها لجنة محدودة العدد بمثابة مجلس إدارة يتمتع أعضاؤه بسلطة أكيدة. لكن رغم كون هذه لجماعت/131/ قوية جدا كما سنرى في الصفحات التالية فإنها تختلف نسبيا عن تَاجْمّاعِيتْ ببلاد القبايل المكونة من مجموع المواطنين المحصِيِّين بدقة والمتمتعين عرفيا بحق متساو في النقاش وأخذ الكلمة في الإجتماعات.

إضافة إلى ذلك، في كل جماعة من الرجال مكونة من اجل هدف معين مثل حَرْكة أو عمل مشترك ذي قيمة ما ويستغرق بعض الوقت، يتم تكوين لجماعت من الأعيان تنحل بمجرد انتهاء مهمتها وتفكك المجموعة. هكذا نجد لجماعت للساقية وأخرى لتيويزا ...إلخ، ثم إن لكل قصر «لجماعت»ه تابعة للجماعت التقسيمة التي ينتمي إليها.

أما اجتماعات لجماعت الدائمة فغير منتظمة كثيرا لغياب قاعدة محددة تقننها، ففي الدوار تتم المناداة بين الأعيان من خيمة لأخرى ويجري الحديث حول براد شاي في آخام (خيمة) الوجيه الذي دعا إلى الإجتماع أو في مكان آخر غيره. وغالبا ما تتم تسوية الأمور الصغيرة أثناء الذهاب إلى السوق أو العمل، فليس هناك أي بروتوكول أو مراسيم وغالبا ما يكتسي تبادل وجهات النظر طابع حديث عادي لكنه قد يكون أحيانا حادا جدا. وحين يتخذ قرار يتم إبلاغه للمعنيين بواسطة أول آجْمّاعْ يلتقيهم أو بواسطة آمْغَارْ، فيتم إغلاق القضية.

ينطبق نفس الأمر على لجماعت الفخذة ولجماعت القبيلة اللتين تجتمعان غالبا في السوق وتكون جلساتهما من أبسط ما يكون، في أي مكان تحت شجرة أو في خباء بائع متجول أو حتى قرب العين في حالة وجودها، هذا في حالة الأمور قليلة الأهمية. أما

حين يتعلق الأمر بالأمور الجدية مثل محاكمة جريمة أو جنحة خطيرة /132/ أو إعلان الحرب أو إبرام مواثيق التحالف أو نقض الهدنة ...إلخ، فيتم اتخاذ بعض الشكليات وإن كان الجهاز الذي يعود له القرار هو نفسه. بحيث يدعو آمغار المجموعة الذي سنرى فيما بعد صلاحياته الأعيان لموعد محدد ويعين مكان الإجتماع الذي غالبا ما يكون في خيمته، وإذا تغيب بعضهم فإن ذلك لن يؤثر في صحة القرار المتخذ، إلا أنه في مثل هذه الحالة لا يعدم من يتعذر حضوره إرسال وجيه آخر ينوب عنه أو رقاصا يحمل إلى أعضاء لجماعت الأخبار ومؤكدا بحضوره قبول رئيسه. وفي اليوم والساعة المحددين ينعقد الإجتماع ويستهل بوجبة طعام تحضر على حساب المجموعة إذا تعلق الأمر بمعالجة أمور عامة أو على حساب المتقاضين إذا كان موضوع الإجتماع يتعلق بزجر جريمة أو جنحة. وخلال الوجبة يتم الحديث في أمور تافهة ولا علاقة لها بالقضية موضوع الإجتماع، وبعد الإنتهاء من الأكل يأخذ آمغار أو أبرز شخصية في الإجتماع الكلمة (يحدث في الغالب ألا يجمع آمغار بين المكانتين) وينطق بعبارة «أَزَّالاَّتْ خُفْ نْبِي» (صَلّوا على النّبِي) ويعرض القضية، حيث يستمع الحضور المكون من أعضاء لجماعت والمستخدمين الذين قدموا الطعام (حين لا يراد حفظ السر) وكل من يرغب في معرفة موضوع مداولة لجماعت في صمت. إثر الإنتهاء من عرض القضية يبدي كل واحد من إِيجّمّاعْنْ رأيه ويعرض وجهة نظره، ويكون الحديث أحيانا هادئا ولكن يحدث كثيرا أن يتخذ طابع خصام عنيف وخلاف حاد ومحتدم. ويعزى ذلك أساسا إلى اعتقاد كل واحد أن عليه رفع صوته لكي يسمعه الآخرون /133/ أكثر من الرغبة في الشجار. وفي خضم اللّغَط لا يعدم الحاضرون من غير الأعيان ممن لا يُلتمَس رأيهم من اغتنام الفرصة ليشيروا به لممثلهم. وفي لحظة ما يوقف الوجيه الذي تمالك نفسه أكثر الحديث بعبارة «زَّالاّتْ خُفْ نْبِي» ويدعو الأعضاء الآخرين إلى الختم، مستبقا الأمر باقتراح حل يأخذ بعين الإعتبار الرأي الوسط لأعضاء الجمعية. وحين يتم الإتفاق ينفض الجمع (دون قراءة الفاتحة غالبا) ويكلف آمغار بالسهر على تنفيذ القرار وتتبع المسألة. ولكن في حالة عدم التوصل إلى اتفاق بالإجماع يتم الحرص على عدم الضغط على الأقلية خصوصا إذا كانت تضم أعضاء أقوياء قادرين على نقض الإتفاق وإحداث انشقاق في المجموعة، فيؤجل اتخاذ القرار لتبدأ لعبة الدسائس التي يعمل كل واحد خلالها على كسب جاره إلى وجهة نظره. وتبعا لاستعجال الحالة وخطورة الخلافات في الآراء يُستأنَف النقاش في نفس اليوم أو في اليوم الموالي أو حتى بعد بضعة أيام، بل قد يتم التخلي عنه أحيانا بغية تخفيف حدة التوتر.

لا تكون الأحكام مكتوبة مبدئيا ونادرا جدا ما تُستثنى هذه القاعدة، كما أن القرارات المتخذة بإجماع الحاضرين غير قابلة للإستئناف ويتعين على المجموعة الممثلة في لجماعت أن تتقيد بها تحت مسئولية «إِيمُورْن[67]» (مُتَكَفّلي) قِسْمَات المجموعة. وحين يرفض

[67] ج. أمور ويعني حرفيا النصيب، وهو الكفيل الذي يضمن من يمثلهم ويتحمل مسؤولية أي إخلال من جانب هؤلاء. ويطلق عليه لدى أيت عطا «بَابْ نْ أومُوزْ» او صاحب النصيب (المترجم).

إحداها ذلك يرفع آمغار الأمر إلى لجْماعْت التي تتدخل بكل ما يتطلبه الأمر من حزم بدعم معنوي من المجموعة كلها. ومع ذلك لا نعرف مثالا لمجموعة /134/ فُرضت عليها الطاعة بقوة السلاح، بحيث يُتفادَى بلوغ هذا الحد بسبب الأحقاد والإنشقاقات النهائية التي يمكن أن يفضي إليها. وحين تتشبث فخذة استثناء بوجهة نظر مخالفة لوجهة نظر لجماعت، يُكتفى بالتشهير في السوق بعجز وكلائها ومتكفّليها بترديد «قَعْ، قَعْ» فلان، وهي عبارة غير قابلة للترجمة حرفيا لكنها تشبه هتافات الإستهجان «هُووو، هُووو» التي يطلقها حشد أوربي في وجه رجل مُذنب أو سخيف، ولكن ذلك يشكل عارا نادرا ما يتم اللجوء إليه، وأحيانا يغادر «آمور» (الوكيل) الفخذة العنيدة التي خذلته للإقامة لدى مجموعة مجاورة.

إن وظيفة آجْمّاعْ مجانية وإن كانت تدر فوائد كثيرة، منها اقتسام إيجْمّاعْنْ للذعائر المفروضة على المذنبين ومرتكبي المخالفات ولمداخيل المصادرات والحجز ويتناولون كثيرا من وجبات الطعام المجانية. وبما أن عقلية السلب والسرقة تسود هنا أكثر من أي مكان آخر في بلاد الأمازيغ فإنهم يبيعون أيضا أصواتهم حين يتعلق الأمر بإقامة العدل، فالأمازيغي في هذا الصدد لا يتصرف وفق ضميره إلا حين لا يستطيع فعل خلاف ذلك. وتباع أيضا الإعانة المسلحة لمجموعة في حالة الحرب لدى الجيران ويستأثر إيجماعن بالقسم الأكبر من المبالغ المحصل عليها، كما تكترى المراعي وفق نفس الشروط.

تجمع لجماعت كل الصلاحيات الإدارية والقضائية والسياسية، وبالتالي فهي مؤهلة للنظر في كل شؤون مجموعتها ولا يمكن الحسم في أي شيء بدونها، إذ تمسك بحق بزمام مصير مجموعتها. فلتعداد صلاحياتها ينبغي وضع قائمة شاملة لكل الأمور والقضايا التي قد تبرز /135/ في اجتماع أناس يعيشون سوية. إن لجماعت تُعدّل العرف حين يبدو لها ذلك ضروريا وتسن قوانين جديدة وتسهر على تنفيذها، وتنطق بالعقوبات التي يكلف آمغار بتنفيذها وتفرض الضرائب وتحدد طريقة استعمالها، كما تحَضِّر للحرب وتعلنها وتنهيها وتبرم الهدنات والتحالفات وتنقضها...إلخ. إنها باختصار تستأثر بكل السلطات دون أي تقييد ويحظى أعضاء لجماعت بحظوة ومكانة تجعل واحدا منهم فقط كافيا لتوريط قبيلته في قضايا غاية في الخطورة، متقينا بأن المجموعة كلها ستتبعه وتؤازره حتى إذا لم تتم الموافقة التامة على فعله. فحين يقول آجماع خلال اجتماع ما «أُوسِيغْ آيْتْ فْلانْ» (حرفيا: أحْمِلُ آل فلان) بمعنى أنني اضمنهم وأتحمل مسؤوليتهم، فإن التخلي عنهم والتنصل من التزامه يمثل إلحاقا للعار والخزي بالفخذة وبآجْمّاعْ في ذات الوقت، وهو ما لا يُرْتكب أبدا.

آمغار والوكلاء المتَكَفِّلون.

كما هو الشأن في بلاد القبايل بالجزائر (يرجع لكتاب العادات القبائلية للسيدين هانوتو ولوتورنو)، فإن لجماعت الأمازيغية ككائن جماعي غير قادر بطبيعته على السهر على

الحاجيات اليومية للحياة الإجتماعية تختار من بين أعضائها أو ضمن نخبة القبيلة وكيلا مكلفا بالشرطة وضمان تنفيذ قراراتها والسهر على الحفاظ على النظام واحترام التقاليد والشرائع والنُّظُم.

وفي حين يطلق على هذه الشخصية الأمين بالجزائر فإنه يسمى آمغار (الشيخ) في بلاد الأمازيغ بالأطلس المتوسط، فضلا عن ذلك إذا كانت وحدة التنظيم بالجزائر هي القرية (يوجد أمين مستقل لكل قرية) فإننا نجد هنا في بلاد الأمازيغ آمغارا لكل مجموعة سواء كانت قبيلة أو فخذة أو دوارا. وهؤلاء/136/إلى جانب كونهم مستقلين في قِسْماتهم باعتبارهم إيمْغارْنْ فإنهم بمثابة وكلاء متكفّلين (إيمُورْنْ) لدى آمْغَارْ نْ أُوفْلاّ (الشيخ الأعلى)، ومن ثم فهم تابعون له في كل الأمور التي تهم مجموع القبيلة، وبهذا المعنى يمكن تشبيه إيمُورْنْ بأمناء الأحياء الموجودين في بلاد القبايل. زيادة على ذلك يتم في المغرب انتخاب آمغار مؤقت كلما اجتمعت عدة قبائل من أجل الحرب أو لإنجاز عمل مشترك يستغرق بعض الوقت.

سنهتم أساسا في السطور اللاحقة بآمغار القبيلة نظرا لكونه الأهم بين إيمغارن، ولكن يجب أن يفهم أن كل ما سيقال بخصوص هذه الشخصية ينطبق بحذافيره على إيمغارن قِسْمَات القبيلة، إذ يتمتع هؤلاء ضمن فخذاتهم بنفس صلاحيات آمغار نْ أُوفْلاّ تجاه مجموع القبيلة.

ينتخب آمغار القبيلة لمدة سنة من قِبل أعضاء لجْماعْت من بين وجهاء وأعيان الفخذة التي يحل دورها لتقديمه حسب نظام التناوب المتبع، وهو تناوب يتم بين العائلات النافذة في كل دوار وبين دواوير كل فخذة وبين فخذات القبيلة. وحين يتعلق الأمر بقبيلتين مختلفتين فإن «إيلاَنْ» (القرعة) هو الذي يحدد القبيلة التي عليها أن تقدم آمغار، ولكنه ينبغي بالضرورة أن ينتمي للقبيلة سواء بالولادة أو باكتساب المواطنة إثر مقام طويل فيها، ويجب في كل الحالات أن تكون أسرته ومصالحه في القبيلة.

إن وظائف آمغار متعددة، فهو بطريقة ما رئيس لجْماعْت المنعقدة ومندوبها الدائم خارج الإجتماعات /137/ ويبدأ دوره الحقيقي حين ينتهي دور لجماعت، إذ تسن هذه الأخيرة القوانين وتتخذ القرارات بينما يسهر هو على تنفيذها وعلى احترام الأعراف و«القاعِدة»[68]. فبالنسبة لتسيير القبيلة تكون لجماعت بمثابة مجلس بلدي بينما يقوم آمغار بوظيفة رئيس البلدية. وبخصوص سن القوانين والتشريعات تمثل لجماعت السلطة التشريعية بينما يجسد آمغار السلطة التنفيذية. وفي مجال العدالة تمثل لجماعت محكمة يكون فيها آمغار قاضيا للتحقيق ومفوض شرطة ورئيس الدرك في ذات الوقت.

يساعد آمغار في القيام بمهامه «إيمورن» الفخذات الذين لهم بدورهم نواب في الدواوير،

---

68 يطلق كثير من الأمازيغ لفظ «القاعِدَة» على مجموع التشريعات والنظم المتعارف عليها في القبيلة أو الفخذة، ومنها مفهوم «تِيغقّيدِينْ» الذي يعني القوانين والضوابط التي توضع لتدبير شؤون حياة القبيلة (المترجم).

ويكون من واجبهم مده في جميع الظروف بالدعم اليقظ والمساندة الفعالة دون تدخل جماعاتهم بينهم وبين آمغار نْ أُوفَلاّ (آمغار الأعلى).
إن سلطات آمغار غير مكتوبة في أي مكان وغير محددة بدقة على غرار سلطات لجماعت، ولإعطاء فكرة شاملة ودقيقة عنها ينبغي تناول واستقصاء كل الأمور التي قد تنشأ في القبيلة أخذا بعين الإعتبار كل الظروف التي يمكن أن تؤثر في هذا الإتجاه أو ذاك على سلوك آمغار ولجماعت على حد سواء.
ومهما كان الأمر فإن آمغار شخصية هامة، وإذا كانت سلطته الشخصية مقلصة بشكل كبير بسبب التقارير والحساب الذي عليه تقديمه لأعضاء لجماعت كرؤساء له، فإن آراءه تبقى مع ذلك مهيمنة في المجالس، بل تعترف له العادة في بعض الحالات بحق اتخاذ /138/ قرارات وتنفيذها بينما المجلس منعقد. وعلى كل هذه بعض أمثلة صلاحياته.
في مجال الإدارة يسهر باسم لجماعت على الحفاظ على ممتلكات الجماعة وتثمينها، ويحدد حصص المساهمات التي تؤديها الفخذات من أجل أمور محددة (أشغال أو استضافة ضيوف أجانب...إلخ)، ويقود أعمال السخرة العامة ويُحضِّر اجتماعات لجماعت بدراسة المسائل التي يجب أن تعرض عليها ويقوم بالتحري بخصوصها.
وبخصوص القوانين والتشريعات والأعراف يعتبر آمغار المسؤول عن تنفيذ قرارات لجماعت التي يبلغها إلى المعنيين بواسطة آرقاص أو بَرّاح عمومي في السوق، كما يتلقى الشكاوى ويستمع إلى التظلمات ويزجر الأخطاء البسيطة ويفرض الغرامات ويُطلِع لجماعت على الأفعال الخطيرة، وقد تترك له المبالغ المتحصلة من الغرامات والذعائر التي تفرضها لجماعت أو يقتسمها مع جميع أعضائها، ويسهر على انعقاد سوق القبيلة في ظروف جيدة.
أما سياسيا فهو المؤهل أساسا للحديث باسم القبيلة في علاقاتها مع القبائل المجاورة، ويجب عليه مبدئيا إبلاغ لجماعت بكل الأمور المتصلة بمواثيق التحالف وإعلان الحرب وإبرام الهدنات ونقضها. غير أنه إذا داهمته سرعة الأحداث يمكنه اتخاذ القرار ويُلزم القبيلة بخياره ولا يمكن التنصل من التزامه أبدا. وتجدر الإشارة إلى أن بعض أعضاء لجماعت غير المعينين رسميا ولكنهم يتمتعون باعتبار خاص لدى الرأي العام يمتلكون نفس الحقوق.
أما على الصعيد العسكري فيسهر آمغار على أن تكون القبيلة قوية ومتأهبة دوما للحرب، إذ يقترح على لجماعت كل الإجراءات المفيدة في هذا الشأن مثل شراء الخيول والأسلحة والذخائر وحراسة البلد وتشييد القصور الدفاعية، كما يحدد باتفاق مع لجماعت نصيب كل فخذة في كل المصاريف المرصودة. وفي حالة عدم تعيين آمغار الحرب قبل اندلاع المعارك يوجه الدعوة إلى فرق المحاربين ويبلّغ آمغار كل فخذة (إذا لم يكن هذا الأخير

عضوا في لجماعت) رغبات لجماعت بخصوص التدابير التكتيكية الواجب اتخاذها. وأثناء القتال يسهر آمغار على قيام كل واحد بواجبه وتنفيذ الأوامر التي يتلقاها. وبعد المعركة يضع حصيلة اليوم وينتقد جماعات المحاربين أو يثني عليهم ويتخذ عقوبات ضد الجبناء ويقوم بتوزيع الخراطيش من جديد إن تطلب الأمر ذلك.

يبين سرد هذه الصلاحيات رغم عدم شموليته إلى اي حد يكون ضروريا للجماعت أن تجيد اختيار آمغار في كل مستويات تراتبية تقسيمات القبيلة. إلا أنه بينما يمكن لإيمغارن الفخذات والدواوير أن يكونوا شخصيات ثانوية بحكم بقاء تأثير فعلهم داخل القبيلة وبين إخوانهم، فإن آمْغارْ نْ تَقْبِيلْتْ (شيخ القبيلة) يجب على العكس من ذلك أن يكون بالأساس ذكيا وماهرا وذا نفوذ من أجل أن يحصل لمجموعته خلال المفاوضات مع الأجانب على الإحترام الواجب وعلى كل حقوقها. فضلا عن ذلك ينبغي أن يكون آمغار القبيلة في وضعية مادية مريحة بشكل يتمكن معه من التفرغ لوظيفته المجانية من حيث المبدأ. إذ لا يُعتَرف لآمغار بأي امتياز خاص والفوائد المادية الوحيدة التي يستخصلها من وظيفته هي نفسها /140/ التي سبق سردها بخصوص أعضاء لجماعت. غير أنه في التطبيق لا يعدم المتقاضون الذين يفضلون التوجه إليه تقديم أعطيات متنوعة لاستمالته لقضاياهم، وهو ما يشكل أحد المغريات الأكثر جاذبية للوظيفة.

يتم تعيين آمغار عموما بعد جني المحاصيل وملء المخازن لأنه الوقت الملائم مبدئيا لكل الحفلات. وتكون عملية التعيين مسبوقة بتوديع آمغار المنتهية ولايته للقبيلة (آصِّيفْضْ) حيث يبلّغ في اجتماع للأعيان أن سنة ولايته قد انتهت ويرغب في استعادة مكانه بين ذويه، وما عدا في حالات استثنائية جدا لا يتم أبدا الإلحاح عليه للبقاء في وظيفته لعام آخر. فالأمازيغ يرون فعلا أنه لا ينبغي خلق امتيازات لصالح شخص أو مجموعة، لذلك يحرصون على التجديد السنوي لولاية آمغار لقطع الطريق أمام فرض هيمنته عليهم.

يوجه آمغار الدعوة إذن إلى الناس لحضور «تَاغْلاّمْتْ أُو آصِّيفْضْ» (حفل الوداع) محددا تاريخ ومكان الحفل، ويتم اختيار اليوم تبعا لفترات ضوء القمر الذي يسمح بتسليات وترفيه الليل ويكون غير ملائم لأعمال الحوّامين واللصوص. أما ما يتصل بالمكان فيتم اختيار وادٍ واسع كثير العشب والماء (آلْمُو)، ويتعين على القبيلة تلبية دعوته، وفي اليوم المحدد تبعث كل مجموعة أكثر عدد ممكن من نوابها تبعا لأهمية الفخذات مصحوبين بأحسن خيامها وافضل خيولها، وتفرض عليهم حمل الزاد اللازم ليس /141/ لطعامهم الخاص فحسب بل لإطعام الغرباء الذين قد يوجدون في الحفل كضيوف للقبيلة، كما يلبس الرجال والنساء والأطفال أجمل ثيابهم...

يشكل الناس المشاركون في الحفل دوار ضخما تشكل خيام كل مجموعة ريفا خاصا بها، وتجري التّسْليات داخل الدوار بحيث تجري «تِيفْرْوِينْ» (جمع تافراوت) أو لعب الخيل في

الوسط دون توقف، بينما تدور رقصات «آحِيدُوسْ» على طول واجهات الخيام.
تدوم الإحتفالات والتسليات ثلاثة أو أربعة أيام وقد تستغرق «تيغْلاّمِينْ» القبائل المهمة سبعة أيام، ثم ينفضّ الجمع دون مراسيم أخرى غير وجبة طعام يقدمها آمغار المغادر للوظيفة على شرف الأعيان إيذانا بانتهاء مهامه، وعلى الفور تنهمك لجماعت في تعيين خلفه ويشارك آمغار المنتهية ولايته في عملية اختيار آمغار الجديد. وبما أن الدور معروف يتم استعراض المرشحين المعنيين ليتم اختيار الرجل المناسب من بينهم، ثم ينتقل أعضاء لجماعت إلى خيمته مصحوبين بأغراض جديدة تسلم له علامة على تزكية تعيينه (سلهام وكسوة وعمامة (رَزّة)...إلخ) كما يهدى له حصان أحيانا. ولا يحق للمنتَخَب أن يتنحّى أو يرفض تحت طائلة فقدان اعتباره بصفة نهائية، فبمجرد توقف الأعيان أمام خيمته يأتي لاستقبالهم وإدخالهم بينما يسارع أهله رجالا ونساء إلى خيولهم ليدخلوها ويمنحونها الأكل ويغلقون السروج.
إثر ذلك تعلق لجماعت الثياب الجديدة التي جلبتها على أحد أعمدة الخيمة (تَاغْسَلْتْ) وينطق أعضاؤها هذه الجملة في حق آمغار الجديد: «آكْ إيك رَبّي دَامْبارْكْ غيفْنَغْ، آك[69] إيكرَبّي دْوِينْ لْمَانْ دْ لَهْنَا» (جعلك الله /142/ مباركا علينا وجعلك فَأْل أمان وسلام)، ثم يجلس القوم وهم يتبادلون التبريكات والمجاملات ليقدم بعدها صاحب الخيمة وجبة طعام، وإثر الفراغ من الأكل يُقدَّم موجزٌ للمسائل الجارية التي لم تتم معالجتها من لدن آمغار السابق وتدرس أسباب ذلك، لأن العرف يقضي بعدم ترك آمغار لمسائل معلقة حين تنتهي مهمته، وإذا لم يُقدم لذلك تبرير معقول يرفض آمغار الجديد مباشرة الأمر ويُفْرَض على آمغار السابق تسوية القضية. ثم يختار آمغار الجديد وكلاءه (إِيمُورْنْ) الذين يكونون عادة إلا في حالات نادرة للغاية إيمغارن المزاولين لمهامهم في الفخذات، لتقرأ الفاتحة إذا كان الطالْبْ حاضرا[70] وينفضّ الجمع.
بعد بضعة أيام أو اسابيع ينظم آمغار الجديد بدوره «تاغْلاّمْتْ نْ أُومْغَارْ» (حفل تنصيب آمغار) التي تجري في نفس ظروف تاغْلاّمْتْ ن أُوصّيفْضْ. أما بالنسبة لإيمغارن الفخذات والدواوير فتكون المراسيم أكثر بساطة ومع ذلك يتم الإعلان عن تقلد المهمة أو انتهائها بتنظيم وجبات طعام وحفلات داخلية صغيرة.

الشخصيات البارزة:

علاوة على لجْمَاعات التي رأينا دورها الأساسي والأعيان الذين لا يمكن إنكار تأثيرهم الفعلي، نجد في بلاد آيت أومالو ثلاث عائلات ذائعة الصيت يحمل ماضيها المجيد وشهرتها الأكيدة كل أوربي يصل إلى المنطقة على استحضار العصر البعيد للفيودالية الفرنسية وكبار

69 وردت في النص am، ويبدو أنها خطأ مطبعي (المترجم)
70 يستبعد جدا ألا يكون فقيه القبيلة حاضرا في مثل هذه المناسبة الهامة، وبالتالي فقراءة الفاتحة أساسية عكس ما يوحي به كنون. (المترجم)

/143/ سادتها النبلاء الأقوياء. إنها عائلات موحى أوسعيد الويراوي (نْ آيْتْ وِيرّا) وسيدي علي آمْهَاوْشْ وموحى أوحمو الزّيّاني (آزَايِّي)، الذين أطلق عليهم أحد أبرز مُسْتَمْزِغِينَا السيد لوكلي خلال العصر البطولي للسنوات الأولى من التهدئة «الثالوث».
والحقيقة أن هؤلاء الزعماء الأمازيغ الكبار كانوا أعداء ألداء متحاسدين بل تقاتلوا بشراسة فيما بينهم أحيانا قبل مجيئنا إلى بلادهم، غير أنهم طبعوا بقوة عصرهم وتركوا ذُرّيات كثيرة ونشيطة جدا ستجعل سياستنا لدى آيت أومالو تستشعر لمدة طويلة التأثير الذي مارسوه فيها، ومن ثم من المفيد إلقاء نظرة على الدور الذي لعبه كل واحد منهم.

موحى أوسْعيد نْ آيْتْ وِيرّا:

كانت سلطة موحى أوسعيد تمارس بصفة خاصة على آيت مْ لبخت وآيت سْري، بمعنى في كل المنطقة الجبلية الممتدة من ناوور إلى بني ملال، وحسب أقوال مخبرينا فأنه كان رجلا حكيما ونزيها، أما حبه لحريته وحرية القبائل الخاضعة له فشديد جدا وكان عمره حوالي ستين عاما سنة 1913.
ينحدر موحى أوسعيد من أسرة وجهاء بسطاء لفت بشجاعته وتصميمه نظر المخزن الذي زكى سلطته بتعيينه قائدا، وأمدّه بكتيبة من العسكر رابطت بإِيغْرَمْ لَعْلاَمْ (قصر العَلَم) الواقع على بعد حوالي 10 كلم من قصبة تادلا. ومنذئذ اتخذت علاقاته /144/ مع الحكم المركزي نفس طابع علاقات القياد الأمازيغ في ذلك العصر، بمعنى أنه في الوقت الذي يعترف فيه بسلطة السلطان ويربط علاقات صداقة فعلية مع حاشيته المباشرة (الحاج المهدي المنبهي مثلا)، فإنه يحرص بالخصوص على الحفاظ على استقلال قوْمه بتفادي أي تدخل مباشر للأجانب في شؤونهم.
وخلال احتلال منطقة واد زم من قبل جيوشنا تذرع بكوننا في بلاد عربية ليمتنع عن أية مشاركة فاعلة في المقاومة، ومع ذلك اضطر عدة مرات أن يرضخ لإلحاح أصدقائه المتعطشين للنهب والمغامرات فسمح بانضمام فرق مقاتليه إلى صفوف خصومنا في السهل. وحدث نفس الشيء لدى احتلال سهل تادلا إلى اليوم الذي حاولت فيه كتيبة مانجان Mangin السيطرة على القصيبة (1913) وتكبدها للفشل المعلوم[71]. ابتداء من هذا التاريخ احتد عداء موحى أوسعيد وبات أكثر نشاطا وفاعلية، وقد برز ذلك أساسا بشن دعاية حثيثة لصالح مقاومة لا هوادة فيها إذا حاولت جيوشنا التغلغل في الجبل.
ومع ذلك لم يكترث صاحبنا كثيرا لسقوط خنيفرة في 12 يونيو 1914، فلم يبعث أي إغاثة أو مَدد لزَايّانْ المطرودين من عاصمتهم واقتصر على بضع محاولات تكوين حَرْكَات

71 إشارة إلى معركة القصيبة التي منيت فيها القوات الفرنسية بهزيمة كبيرة أمام مجاهدي ايت ويرا وآيت سخمان بزعامة موحى أوسعيد ن ايت ويرا (المترجم).

أجهضت الواحدة تلو الأخرى، ومع ذلك لم يعدم استغلالها لدى موحى أوحمو كدليل على حسن نيته. وبعد واقعة لهري[72] وافق على أن ينقل لنا طلب الزاياني الساعي إلى مبادلة زوجتيه الأسيرتين مقابل جثامين ستة ضباط.

وخلال الحرب الأوربية توصل موحى أوسعيد /145/ الذي استقطبه الألمان على غرار الشخصيات الكبرى في الأطلس المتوسط برسائل وأموال هامة من أعدائنا[73]، لكنه لم يُرِد أو لم يفلح في تكوين أي حركة جدية ضد مراكزنا، مكتفيا بإعلان مشاعر العداء والموافقة على كل الأعمال التي يقوم بها رجاله ضد منشآتنا وطوابيرنا.

لكنه في سنة 1920 عندما تيقن أن الحرب الأوربية انتهت فعلا لصالحنا ورأى خضوع زايان وأن أرتالنا وطوابيرنا أعيد تكوينها بشكل أكثر عددا وقوة من ذي قبل، تغيرت مشاعره وبدأ يهتم باتخاذ موقف أكثر إيجابية لمصالحه ومصالح أسرته. وهكذا منذ شهر فبراير أعلن علي أصغر أبنائه خضوعه في إيغرم لعلام بينما استقر هو من جديد في القصيبة بقصره في سارِفْ على مرمى من مسرح الأحداث ومن المبعوثين المتوقعين من قبل ابنه ومن الفرنسيين.

وقد اعتبر رجوعه إلى القصيبة الذي قدمه أهله على أنه علامة على رغبته في تجميع قوات القبائل المصممة على القتال حدثا سعيدا في كل الجبل، حيث وفدت عليه عدة جماعات لتحيته. ولكن في ذات الوقت كان مستشاره أُوحَمُّو «يتباحث» مع مركز إيغرم لعلام بموافقته، بينما صم أذنيه أمام نداءات زايان المشتبكين بجدية مع طوابير بويميرو Poeymirau وتيفني Théveney في أعالي م الربيع.

منذئذ كان مترددا بين الرغبة في عدم إغضابنا والحفاظ على المظاهر تجاه القبائل واتخذ موقفا غامضا استمر حتى وفاته. ففي شهر غشت 1920 بينما دأب /146/ على مراسلة ودية متواصلة معنا ظهر لدى آيت بوبكر حيث استقبل بحفاوة. في نفس الفترة توصل من جديد بإعانات مالية من ألماني بالقصر وأعاد ربط الإتصال بعبد المالك[74] وسيدي رحو[75] بهدف خلق حالة هيجان لإرباكنا خلال عمليات وَزّان المتوقعة

72 يقصد معركة لهري التي سحق فيها مجاهدو زايان بزعامة موحى أوحمو فرقة عسكرية فرنسية، وكان لها صدى كبير في المغرب وفرنسا (المترجم).

73 نجد هنا جانبا من الدعاية الرسمية للإقامة العامة الفرنسية بالمغرب، والتي الصقت تهمة التخابر مع العدو بكل زعماء الجهاد شمالا وجنوبا. صحيح أن موحى أوسعيد توصل بأموال ورسائل من السلطان السابق مولاي عبد الحفيظ بواسطة شبكة من رجالات مخزنه، كما اتصل به بعض الألمان، لمزيد من التفاصيل يرجع إلى كتاب المختار السوسي «على مائدة الغذاء». (المترجم)

74 عبد المالك محيي الدين بن الأمير عبد القادر الجزائري، عين قائدا للشرطة الدولية بطنجة سنة 1903، ونظرا لطموحه الجامح انخرط في كثير من الحركات كحركة الشيخ بوعمامة وحركة الجلالي الزرهوني «بوحمارة»، ثم استقطبه الألمان وانتقل إلى منطقة تازا لدى قبائل التسول وغياثة والبرانس خلال الحرب العالمية الأولى حيث نظم فرقا عسكرية اقض بها مضاجع الفرنسيين، ثم تقاطعت حركته مع حركة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي حيث لقي حتفه إثر كمين نصبه له الريفيون بعد تيقنهم من خدمته لأجندة أجنبية، ينظر أبو العباس أحمد سكيرج، الظل الوريف في محاربة الريف، تحقيق رشيد يشوتي، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 2010. (المترجم)

75 سيدي رحو ينتمي لقبيلة آيت عزفا ، تزعم جهاد قبائل آيت يوسي وآيت سغروشن بمنطقة دير سايس وجبال الأطلس المتوسط الشمالي، خاض معارك عديدة ضد الفرنسيين في سنوات التهدئة الأولى بعد عقد الحماية. (المترجم)

خلال شهر أكتوبر. بل تظاهر بالإنتقال إلى التنفيذ حين ترك أو أوعز بمهاجمة إيغرم لعلام أثناء غياب قواتنا المتنقلة المنشغلة في تيغزرت من قبل أنصاره من آيت ويرا وآيت عبد اللولي وآيت امْحمد، لكن لما وصل رقاصون إلى لقباب مخبرين بأن وزان احتلت في 2 أكتوبر توقف الهيجان وعاد موحى أوسعيد من جديد إلى مراسلة ابنه للتعبير عن حسن نواياه تجاهنا.

زاد احتلال زاوية الشيخ في 22 أكتوبر 1920 من تأكيد تحسن مواقفه الواضحة، إذ وفد رقّاصوه بكثرة إلى إيغْرَمْ لَعْلاَمْ وطلب لأول مرة من ابنه علي إعانات مالية وهو يعلم تماما أن هذا الأخير لن يحصل على المال إلا من عندنا. ولكن في ذات الوقت كان أنصاره يشاركون في مختلف الهجمات ضدنا وخصوصا في تاغْبَالْتْ. وفي بداية 1921 طلب منا عدم قصف إقامته ولكنه استمع بمجاملة لطروحات سيدي الحساين أوتْمْكا(76) وأغدق الهدايا على بلقاسم النكادي(77) الذي كان يحقق الإنتصارات المتتالية في الجنوب وتهدد حركته بالإنتشار إلى الدير. وفي شهر غشت أعرب لنا موحى أوسعيد عن فرحته بمناسبة استقبال السلطان لابنه علي العائد من الرباط، وتسلم بسعادة غامرة عبر صديقه الوفي القايد المسفيوي بإيغرم لعلام الرسالة الواردة عليه من العاصمة. وتعبيرا منه عن امتنانٍ خالٍ من أي تهكم بالتأكيد، أطلعنا على /147/ رسالة مَرْبِّيهْ ربُّه(78) يعلن فيها هذا الفتان بأقصى الجنوب عن قرب اندحارنا.

ولدى الإخبار باحتلال القصيبة الوشيك في سنة 1922 نزع القناع أخيرا ولجأ إلى تَاغْرُوتْ نْ آيْتْ يَشّو (مسيرة يومين جنوب القصيبة) حيث تزعَّم خصومنا، لكنه بات كان مسنا وشبه أعمى وفقد كثيرا من تصميمه بمجرد نجاحاتنا الأولى، وبعد بضعة أشهر اتخذ رقّاصوه من جديد طريق مكاتبنا، بينما دخل ولده الآخر بنّاصر بدوره في مساومات. وفي 5 مارس 1924 توفي موحى أوسعيد بناوور (20 كلم جنوب شرق القصيبة) وسط حزن ذويه والقبائل غير الخاضعة.

من خلال هذه السطور سيُحَيِّر موحى أوسعيد كل الذين عرفوه في أوج قوته ومؤهلاته ويعرفون إلى أي حد كان اسمه مُكَرَّما ومحترما ومهابا زمن خطواتنا الأولى في المنطقة، قد نجد أن موقفه المتردد وتقلباته وأحيانا خداعه لا تُشرِّف الزعيم الأمازيغي الكبير الذي يدعي كونه أو كُنّا نتخيله، ولكن بإبراز كيف أن هذا الشيخ العجوز الفخور باستقلاله

76 سيدي الحساين اوتمكا زعيم مقاومة قبائل ايت سخمان. (المترجم)

77 زعيم مقاومة قبائل أيت عطا وأهل تافيلالت، كان قائد جيوش امبارك التوزونيني الذي كان وراء قيام حركة المقاومة بتافيلالت وقبل أن يقتله ويترأس الحركة، فسيطر على الواحة بعد انتصار المجاهدين في معركة البطحاء في غشت 1918 وانسحاب البعثة العسكرية الفرنسية إلى أرفود، إلى أن انسحب سنة 1932 إثر احتلال تافيلالت ليلجأ إلى درعة صحبة أيت خباش وأيت حمو وميغْمِي ولد الفاسية ابن موحى أوحمو الزَّايَاني ثم إلى واد نون حيث استسلم الجميع سنة 1934 ما عدا ميعمي الذي لجأ إلى إيفني لدى الإسبان (المترجم).

78 مْرَبِّيه ربِّه بن ماء العينين، زعيم مقاومة القبائل الصحراوية والسوسية، واصل جهاد أبيه ماء العينين وأخيه أحمد الهيبة، حيث استقر بكردوس بسوس إلى أن تمت السيطرة على المنطقة. (المترجم)

وببلاده يشُكّ في قوته بمجرد اقتراب قواتنا ويبادر إلى التسوية عند أول اتصال بمكاتبنا، ألا يشكل ذلك تكريما صارخا لطرقنا في التهدئة؟
وعلى كل حال فإن موحى أوسعيد كان واحدا من الأمازيغ الأذكياء والمرموقين والمعتَبَرين في عصرنا، وقد استفاد ضباطنا الذين اشتغلوا في اتصال معه من أقصى درجات العطف أو الحياد لصالح عملنا في البلاد، نتمنى أن يعرف ولداه ووريثا شهرته بناصر وعلي /148/ كيف يكونان في مستوى ذلك المجد تحت قيادتنا.

سيدي علي آمهاوش (أو آيت سيدي علي):

يمثل آيت سيدي علي العرب المتمزغون أسرة صوفية منحدرة من لندا قرب لقباب حسب البعض ومن مولاي ادريس زرهون حسب البعض الآخر، ومهما يكن فإن هذه الأسرة اختارت الإستقرار في بلاد إِيشْقِّيرْنْ ومنطقة بُووَاطاس حيث دُفن كل موتاهم تقريبا وحيث ينتشر أفرادها الأحياء اليوم. فبعضهم الموجدون في بوواطاس والذين لجأوا إلى سيدي يحيى أويوسف يواصلون قتالنا بينما البعض الآخر وهم القليلون خضعوا منذ احتلال بلاد إيشقيرن سنة 1922.
ظل آيت سيدي علي الذين يعيشون من الشعوذة والسحر رافضين دائما لأي سلطة أجنبية عنهم سواء كانت لقياد أقوياء أو المخزن أو الفرنسيين، باذلين الجهود لإبقاء كل القبائل التابعة لهم خارج سيطرة هذه السلطات. فقد مارسوا تأثيرهم في البداية على القسم الأكبر من آيت أومالو (إيشقيرن وآيت سخمان وآيت ويرا وآيت إيحاند وآيت مْكيلْد بملوية)، أما اليوم فتقلص هذا التأثير ليقتصر على آيت سخمان وحدهم وقسم من إيشقيرن.
من أبرز أعضاء الأسرة نذكر سيدي بوبكر وسيدي علي ولد سيدي المكي الذي يجب تمييزه عن سيدي علي ولد سيدي الحُسايْن الجد، ونذكر من بين الذين لا زالوا أحياء سيدي المكي ابن سيدي علي ولد سيدي المكي.
أما سيدي بوبكر فهو ابن سيدي محمد/149/ أُونَاصْر وحفيد سيدي علي ولد سيدي الحُسايْن دفين تينتغالين والذي ترك اسمه للمجموعة، ويوجد قبر سيدي بوبكر في «آمْزَّاوْرُو» قرب لندا، وتعزى شهرته لورعه واستقامته وبالأخص لتنبؤاته التي كان يُعتَقَد فيها إلى حد أنه خلال معركة تِينْتْغَالِينْ في 16 ماي 1922 تذَكّر الأنصار (بَرْطِيزَة) زايّان المنضَوُون في رتل فريدنبرغ Freydenberg فجأة خبر هزيمة تنبأ سيدي بوبكر أنها ستقع في تلك النقطة، فتراجعوا بوضوح أمام الثوار المتردّدين وكادوا يتسببون في حادث خطير في مقدمة الرتل، ولم يتم تفادي ذلك إلا بفضل التدخل السريع والحازم لآمْهَروق وبوعْزّا ولدي موحى أوحمو اللذين هَبّا على رأس فرقة المخزن وأرجعوا زايان صارخين

في وجوههم بأن «سيدي بوبكر لم يحدد المنهزمين في تلك الموقعة أبداً» .
وإلى اليوم لا زال أساس التمرد الطويل لجزء من إيشقيرن وعداء غير الخاضعين يكمن في نبوءة لنفس الشخصية تفيد بأنه سيتم تدميرنا عند آكَرْكُورْ[79] معروف قرب بوواطاس، إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن صحة ومصداقية هذه النبوءات قد مُست بعمق في نفوس الجميع بتكذيبها أمام التقدم المستمر لقواتنا.
أما سيدي علي ولد سيدي المكي فكان معاصرا لنا وشهدنا جهوده الأخيرة ووفاته، فهو ينتمي للطريقة الدرقاوية وورث شهرة ومجد أبيه سيدي المكي، ولكنه عكس هذا الأخير بدا مزاجيا ومتشددا ومتهتكا خصوصا في شبابه، مقْدِما في ذات الوقت على/150/ أي تحرك كفيل بخدمة طموحاته في الحقلين الديني والسياسي. فهمُّه الأساسي في الحياة كان محاربة أي أجنبي يهدد سلطته، ونظرا لكون التاثير الديني الذي يمارسه غير كاف فقد أراد أيضا أن يكون زعيم حرب وهو ما تم بالفعل. ويمثل صراعه مع موحى أوحمو على استقطاب إيشقيرن أحد أهم السمات النموذجية لأهدافه، بحيث لم ينته ذلك الصراع إلا بعد تخريب البلد، ولعل أشهر فصوله المعركة التي دارت بين الفريقين سنة 1909 قرب آزرو ن آيت لحسن وأودت بأفضل محاربيهما وأفضت إلى تسوية مؤقتة بقي بمقتضاها آيت يعقوب أوعيسى وآيت حْماد أوعيسى وآيت لَحْسَنْ أُوزْرُو (من إيشقيرن) وآيت سَعْدَلِّي (من آيت إيحاند) تحت سلطة سيدي علي، في حين انتقل إيمْزِينَاتْنْ (إيشقيرن) وآيت الرْبَعْ (آيت إيحاند) إلى سلطة القايد موحى أوحمو.
لم يخْلُ الصراع ضدنا طبعا دون إثارة اهتمام سيدي علي، فقد حاول المشاركة فيه سنة 1908 حين بلغته أصداء انتصاراتنا في بوذنيب، إذ قرر حينذاك دعوة كل آيت أومالو إلى الجهاد ونجح في حشد بضعة آلاف من المحاربين والزحف بهم نحو الجنوب منهم كثير من إيشقيرن الخاضعين اليوم. وخلال الطريق بلغه خبر هزيمة المسلمين في الجرف وتازْكارْتْ[80] فقفل راجعا دون أن يمنح لقومه غير المنظر الحزين لمهزومين فارين من ساحة الحرب.

وفي سنة 1914 أثناء احتلال خنيفرة حرص سيدي علي أن يشارك رجاله في الدفاع عن المدينة، غير أن محاربيه قاتلوا كل مرة على انفراد مما أظهر /151/ للجميع نفوره من وضعهم تحت راية أجنبية. وابتداء من هذه الفترة تراجع حماسه وخفت حدة دعايته، وأمام نجاحاتنا في بلاد زايان وفقدان أي أمل في تبوء الدور البارز الذي استأثر به موحى أوحمو، ورغبة منه في عدم التضحية بهيبته ومجده لفائدة قوة أخرى اكتفى سيدي علي بالدعوة والوعظ في محيطه المباشر وضمان ملجأ للفارّين من المناطق التي باتت تحت

79 أكركور: ركام من الأحجار، وقد انتقلت إلى الدارجة المغربية «الكركور. (المترجم)
80 يحيل على مواقع معارك بين القوات الفرنسية وحشود مجاهدي قبائل الجنوب الشرقي بجوار بوذنيب على واد كير سنة 1908، والتي مني فيها المغاربة بهزائم متتالية أمام تفوق الفرنسيين من حيث السلاح والتكتيك الحربي. (المترجم)

السيطرة الفرنسية. وكان آخر عمل طبع حياته حدوث قطيعة بينه وبين أسرة سيدي الطيبي سنة 1917 بشأن امرأة، أعقبها مقتل أحد أبناء عم سيدي علي على يد سيدي بّا ولد سيدي الطيبي، وهي القطيعة التي لا تزال مهيمنة اليوم على علاقات الأسرتين، إذ تسببت في رحيل أولاد سيدي الطيبي إلى ناوور حيث يحاولون لدى آيت وِيرًّا وآيت مّ لْبَخْت وحتى لدى آيت إسحاق كسب زبناء متميزين عن أنصار آيت سيدي علي.

وقد توفي سيدي علي بتاغْدَلُونْتْ محاطا بالتوقير والإحترام، وأثار غيابه من المسرح السياسي دهشة وفزعا في منطقة واد العبيد ومنطقة الدير، ولكن ذلك الغياب لم تكن له أي انعكاسات جدية على سير الأحداث اللهم كونه علامة على تفكك الأسرة، إذ كانت خلافته بالفعل جد حساسة بحيث لم يبْدُ أي أحد من أبنائه في المستوى، ذلك أن ابنه البكر سيدي المكي ولد سيدي علي نفسه كشف عن ضعف شخصية وقلة همة، أما الآخرون المرتضى والمصطفى والمهدي والحسن وسيدي الشيخ فكانوا كلهم دون العشرين من العمر، ومن جهتهم أظهر أبناء أخيه سيدي محمد ولد لالة خديجة ومولاي احمد /152/ وسيدي أوطلحة ضعفهم التام وعدم قدرتهم على نيل قبول ورضى القبائل. فترتب على كل ذلك أن سلطة الراحل كادت تنتقل إلى أيدي فقيهه السابق سيدي مُحَنْدْ أُولْحَاجْ الذي لفَتَ نشاطُه الذكي انتباهَ آيت يحيى وآيت مكيلد ملوية. وأمام هذا الخطر واجه أبناء سيدي علي الوضع لاستعادة ثقة الرأي العام مدعومين من سيدي محمد ولد لالة خديجة، فنجحوا في كسب آيت سخمان وإيشقيرن، في حين وجد سيدي محند أولحاج ملجأ وزبائن في ناحية تونْفِيتْ. هكذا شهدت منطقة واد العبيد زعماء جدد ذوي بَرَكَة متجددة أبدت لهم الطاعة الكاملة، غير أن آيت سخمان وجيرانهم سرعان ما أدركوا بنَدَم أن الأبناء بعيدون عن مستوى وقيمة أبيهم.

لا شَّك أن سيدي المكي وإخوته وأبناء عمه لم يُعْوزهم الحماس الديني في أية مناسبة، فقد قُتِل مثلا سيدي الشيخ سيدي محمد أوناصر ببطولة على يد فرساننا أثناء عملية أمنية جنوب تاكزّالْتْ في 27 مارس 1923، ومن جهة أخرى أظهر سيدي المكي نشاطا حقيقيا في مراقبة خطوطنا لمنع العناصر المنشقّة الفاترة من الوصول إليها. ولكنه في نهاية المطاف لم تنجح كل مظاهر التشبث بالإسلام هذه في تعويض الأثر المُوسِف لتفسّخ أخلاق المعنيين وقساوتهم ودناءة وجودهم، إذ تمت مؤاخذتهم على الخصوص بعدم التمييز بين نسائهم وبالخطأ المتبادل، كما استغرب الناس من زواج سيدي محمد ولد لالة خديجة /153/ من أمراة وابنتها في نفس الوقت. وأخيرا عم الإستياء من عودة الصراعات داخل العائلة في وقت كان على هذه الأخيرة بالخصوص التفكير في كيفية حماية البلاد من تهديد غزو النصارى.

لكن على الرغم من الصلوات والدعوات ونصائح أتباعهم واصل آيت سيدي علي الإقتتال

فيما بينهم إلى حد سجلنا معه ثلاثة اغتيالات في ظرف سنتين (1924-1925) راح ضحيتها سيدي أوطلحة ولد سيدي محمد أوناصر وسيدي محمد ولد لالة خديجة ومولاي أحمد، وحاليا الإغتيال الجديد الذي تفرضه العادة القاسية تامْكَرْتْ «الرقبة».
يمكن أن نسلّم إذن بأن أبناء سيدي علي وأبناء أخيه قد قاموا بكل ما يجعلهم يفقدون تقدير واحترام الزبناء القدامى لأبيهم. غير أنه إذا كانوا قد انتهوا من الناحية الخاصة ولم تعد لهم لدى ساكنة واد العبيد تلك المكانة التي تضمن لهم الهيمنة الدائمة في تسوية الأمور، فإنهم لا زالوا مع ذلك ضروريين كحاملي راية الجهاد في نظر الثوار غير الخاضعين لنا.
فأمازيغيُ هذه البلاد لا يملك فعلا ثقة كبيرة في نفسه لخوض الحرب، خصوصا حين يتعلق الأمر بالقتال لدواعي أخرى غير الدفاع عن خيمته وقطيعه، بحيث يجب توفر سلطة معنوية عليا تفوق إرادته وإرادة جماعته كفيلة بتحقيق الوحدة حين يحين الوقت وبالتالي إرغام ذوي الإرادة الفاترة، وهذا الدور بالذات لم يكن أحد مؤهلا للقيام به في واد العبيد غير الإبن البكر لسيدي علي رغم عيوبه. /154/ من هنا سيشكل سيدي المكي ولد سيدي علي حتما روح المقاومة لحظة تقدمنا في المنطقة وإذا تم اغتياله أثناء ذلك سيكون أحد إخوته الصغار.

موحى أوحمو:

من بين الزعماء الأمازيغ الذين نحن بصددهم هنا، كان موحى أموحى أعظمهم وأكثرهم جاذبية سواء من وجهة نظر أوربية أو في رأي أهل البلد. إن هذا المحارب المقدام والزعيم الحازم والعادل والغيور الشرس على بلده وفي ذات الوقت العدو الموثوق به والشهم قد منح لقبائله مجدا عظيما ولأسرته إيمَحْزَانْ شهرة وسمعة غير مسبوقين وألقابا نبيلة حقيقية. فبفضله كان يكفي في السابق ولا زال يكفي اليوم أن يقدم المرء نفسه على أنه آمحزون لكي تنفتح كل الأبواب المغلقة أمامه.
لنحاول إذن إعادة رسم مسار حياته لنعيش معه من جديد الصعوبات الهائلة أحيانا التي نجح في تذليلها من يوم تبوئه قيادة زايان إلى وفاته.
تسلم موحى أوحمو قيادة زايان حوالي 1877 وهو في العشرين من العمر لم يكْسُ الشعر بعد لحيته. أكيد أنه استفاد من أن أسرته كانت توفر منذ زمن إيجْمّاعْن الرئيسيين للبلد، وكان بإمكانه أن يفتخر بالأخص بشهرة محتده بفضل جده آمَحْزُونْ الذي أطلق اسمه على الأسرة. غير أن ذلك لم يمنع من شعوره بالرهبة حين وجد نفسه على رأس قبائل كثيرة ومشاغبة، /155/ وكان عليه التعويل على كل طاقته وحزمه للتغلب على الشك الذي سيطر عليه في البداية.

تمثلت أول عقبة واجهتها سلطته في غيرة ذويه، وكان عليه في البداية مواجهة ابني عمه حَمّو أولْحاج وأُولْعَايْدِي المتحالفين مع المْرابْطين وآيْتْ سْكُوكُو وآيْتْ عَبْدُوسْ، وقد تغلب عليهما في معركتي مْرِيرْتْ وبُو أُومْزِيلْ، وعلى إثرهما جاء خصماه يتوسلان إليه إبرام السلم حقنا للدماء ولرابطة الدم التي تجمعهم ولموتى الأسرة. بعد ذلك عمد إلى إخضاع آيت عمو عيسى الذين استاءوا من السلم المبرم مع حمو أوالحاج وأولعايدي وكذلك من اختيار الأول خليفة لموحى أوحمو، فحملوا السلاح من جديد ونهبوا قصره بآذخسان /156/، وقد هزم هذه القبيلة في معركة جْنَانْ إِيمّسْ وحطّم هذا القصر وبنى مكانه قلعة، كما فرض على أعدائه غرامة ثقيلة من النقود والماشية اختزلتهم إلى الفاقة والعوز.
بعد تخلصه أخيرا من أعدائه الرئيسيين باشر عملية رص صفوف قبائله وتوسيع نفوذ قيادته ليشمل قبائل الدِّير التي كانت ترتاد نفس آزَغَار الذي تجوبه قبائل زايان، وكان عليها بالتالي وفق منظوره أن تنضَم إلى نفس القيادة. وفي بضع سنوات قام خلالها بمطاردة وغزو كل الذين أبدوا عجزا عن التمرد وبات سيد البلد بدون منازع، في ذات الوقت كان يغتني من غنائم أعدائه ويغذق الهدايا والتشريفات على ذويه، بل إن السلطان مولاي الحسن نفسه أعجبه كل ذلك العنفوان والإقدام فمنحه طابع قائد زايان ومحلة من 400 عسكري وثلاثة مدافع لمساعدته في بسط السلطة المخزنية بصفة نهائية على بلاد آيت أومالو إلى حدود التماس مع قيادة القايد عمر اليوسي شرقا ومع قيادة موحى أوسعيد ن آيت ويرا غربا.
ومنذئذ باتت كل الأمال مُتاحة لموحى أوحمو ولم تعد لطموحاته حدود، كان همه الأول المصالحة مع كبار البلد الذين بدا أنهم كفيلون بخلق متاعب له في القبائل غير الزايانية، وهكذا وافق السلطان على طلبه بتأسيس قيادات ثانوية وزعت على الشكل التالي:
القايد بوعْزّا حصل على قيادة آيت عبد الكريم (إيشقيرن)
القايد سماعيل حصل على قيادة آيت مشان (إيشقيرن)
القايد علي حصل على قيادة آيت بويعقوب (إيشقيرن)
/157/ القايد غودان حصل على قيادة آيت حماد أوعيسى (إيشقيرن)
القايد موحى أوبوعزا حصل على قيادة آيت إسحاق
القايد ابن زايد حصل على قيادة آيت إيحاند
القايد الحاج مزوغ حصل على قيادة آيت هودي
وحدهم أيت يعقوب أوعيسى الذين رفضوا الإعتراف به وآيت سخمان المتضامنين معهم لم يُعيَّن عليهم قيادٌ خاصون.
ولكن منذ الشهور الأولي لتنصيبه الرسمي ظهرت منافسات عديدة ستوجه ضربة موجعة للوحدة التي نجح موحى أوحمو بذكاء في تحقيقها داخل قيادته، ذلك أن المرابْطين وآيت سْكُوكُو وآيت عبدوس الغيورين من السلطة الجديدة حصلوا تباعا من السلطان على استقلالهم التام ونُصِّب عليهم قياد مستقلون (آقْبْلي وامحمد أوالطالب وبن عمر أوسيدي

يوسف)، ثم جاء دور آيت يعقوب أوعيسى الذين حصلوا مباشرة من السلطان على وضعهم تحت قيادة حَدُّو أولعَريفْ ابن قبيلتهم.

غير أنه رغم الموقف الغريب للمخزن المركزي الذي كان يحُل بذكاء ما عقَده موحى أوحمو، فإن هذا الأخير حافظ على برودة أعصابه منتظرا ساعته التي لم تتأخر في المجيء. بالفعل لجأ مولاي الحسن الراغب في القيام بحرْكة إلى ملوية إلى استشارة موحى أوحمو وباتفاق معه ضرب مَحَلّته في آلْسّيدْ ببلاد آيت سخمان. وبهذه المناسبة جاءت قبائل آيت مْكيلْدْ وآيت يحيى كلها لإعلان خضوعها بتقديم الهدايا المألوفة، كما أن آيت سخمان أنفسهم تبعوا رؤساءهم آيت يعقوب أوعيسى وجاءوا للسجود تحت أقدام السلطان دون المرور بوساطة /158/ موحى أوحمو وقدموا لمولاي الحسن نساء وخيولا هدية، غير أنهم أغفلوا إحضار المئونة التقليدية (المونة) في حين أن المحلة ترابط في بلادهم، فعوقبوا بدون شك بإيعاز من القايد المُهَمَل بفرض غرامة جماعية بلغت 20 ألف دورو، وهو ما وافقت عليه لجماعت معلنة بعد مشاورات أنه من المحتمل ألا تؤدي القبيلة الغرامة إلا إذا بعث السلطان إلى آغْبَالا سَريّة من العساكر لمؤازرتها تجاه المعارضين. ورغم الرأي المعاكس لموحى أوحمو العارف بمكر آيت سخمان وخداعهم وافق مولاي الحسن وبعث ابن عمه مولاي سرور[81] لتحصيل الغرامة. نعرف أن هذا الشريف ورجاله قتلوا غدرا خلال مهمتهم بإيعاز من سيدي علي آمهاوش وقائدي آيت سخمان (سعيد ولد باحماد وأُوحْنِينْ). بديهي أن يثير هذا الحادث حنق وغيظ السلطان ويثبت في ذات الوقت فطنة موحى أوحمو الذي اعتبر أن الوقت سانح للقيام بضربة كبرى، ليس بأخذ الثأر من آيت سخمان القبيلة الثانوية والبعيدة على كل حال من منطقة نفوذه فحسب، ولكن بالاساس بعقاب آيت يعقوب أوعيسى الذين لم يوافقوا قط على الإعتراف به، والذين قد يتحملون «بالتأكيد» الجزء الأكبر من مسئولية غدر أصدقائهم الجبان.

فبإلحاح شديد منه غزت المحلة المخزنية بلاد آيت يعقوب أوعيسى وعاثت فيها قتلا وتخريبا، حيث ألقي القبض على مئات السجناء واغتُصبت الصبايا وبُقرَت بُطون الحوامل، بينما لجأ بعض المحظوظين الذين تمكنوا من الفرار إلى غَافُو بتادلا. بعدها قام السلطان بزيارة بلاد إيشقيرن وخصوصا لْقْبَابْ وتِينْتْغَالِينْ /159/ حيث ترك سرايا من العساكر باتفاق مع موحى أوحمو.

وخلال مروره بآذخسان استمع مولاي الحسن إلى لجماعت آيت يعقوب أوعيسى التي جاءت تتوسل إطلاق سراح السجناء ولكنه تجاهل توسلاتها إرضاء للقايد. فسافر الوفد إلى فاس على أمل النجاح في المهمة هناك، لكنه

تم تجاهله مرة أخرى وأُحِيل على موحى أوحمو الذي لم يوافق إلا على تحرير السجناء المنتمين للأسر التي جاءت لتقديم فروض الطاعة الفردية، أما ابناء العائلات العنيدة فقد هلكوا في ظروف قاسية بزنازن آذخسان.

81 كُتب الإسم خطأ Moulay Serou، ويتعلق الأمر بمولاي سرور بن ادريس بن سليمان ابن عم السلطان، الذي حلّاه الناصري ب«الشريف الفاضل الناسك ...وجدّه سليمان هذا هو أحد ملوك هذه الدولة العلوية»، الإستقصا، 9/200.(المترجم)

غير أن مولاي الحسن تأثر لرواية لجماعْت آيْت يعقوب أوعيسى التي أعلنت وبرهنت على البراءة التامة للقبيلة من عملية أغبالا[82]، /160/ بل كتم في نفسه بعض الحنق تجاه القايد موحى أوحمو الذي أوعز إليه بارتكاب مظلمة في حق آيْت يعقوب أوعيسى، فعقد العزم على تجريد حرْكة جديدة ضد آيت سخمان، وأمر القايد بحشد جيوشه والإستعداد للزّحف من الشرق بينما ستتحرك المحلة الشريفة مدعومة بآيت يعقوب أوعيسى بغافو من الغرب عبر بلاد موحى أوسعيد نْ آيْتْ وِيرّا. غير أن موحى أوحمو المتأثر جدا بضم أعدائه إلى محلة السلطان أبلغ هذا الأخير أن جيوشه منهكة ولن يسير بها أبعد من أغبالا، فكان ذلك بمثابة قطيعة مقنّعة بالكاد جعلت مولاي الحسن يتخلى عن حرْكته ليفْلِتَ آيت سخمان من العقاب.

بينما كان موحى أوحمو يحاول استعادة نوع من الإستقلال ويبذل الجهود ليجعل من خنيفرة عاصمة حقيقة، جرت أحداث ماساوية في لقباب بسبب تجاوزات قياد سرايا المحلة، فقد حوصرت جامية العساكر من قبل آيت موسى (آيت مْشّان) مما اضطرها إلى الإنسحاب ليلا إلى لَهْري بقيادة القايد بوعْزّا من آيت عبد الكريم، الذي سيتم اغتياله فيما بعد خلال زيارته لأحد حقوله بناحية آكدِّيمْ، مما أسفر عن قلق عميق جعل آيت مْشّان الخائفين من العقاب يطلبون دعم آيت سخمان وإيخزرون (آيت إيحاند) وآيت إسحاق وحتى آيت يعقوب أوعيسى، حيث ذهب وفد إلى غافو ليعرض على هؤلاء الأخيرين تحالفا مما جعلهم يعودون مباشرة بعدها إلى بلادهم التي استولى عليها آيت حماد أوعيسى، وبذلك كان من المستعجل التدخل.

بدأ القتال بمعركة دامية جرت شرق لقباب بين آدْرّاسْ وبُوتْسيوَانِينْ جمعت /161/ زايّان وآيت عبد الكريم وآيت إيحاند الشمال تحت قيادة موحى أوحمو من جهة، وأهل الدير (باستثناء آيت حماد أوعيسى) وآيت سخمان وآيت إيحاند الجنوب (إيخزرون) بقيادة سيدي علي آمهاوش الذي بدأ يستاء من قوة الزّاياني من جهة أخرى. أسفرت المواجهة عن انتصار موحى أوحمو وحصل آيت مشان على هدنة لمدة سنة ليتم بذلك تحييدهم، في حين تواصل الصراع في بلاد آيت يعقوب أوعيسى حيث كان القايد (موحى أوحمو) يرغب في إعادة استقرار أصدقائه آيت حماد أوعيسى.

ونظرا لعدم الحصول على أي نتيجة إثر سنتين من المعارك والمناوشات، تم إبرام هدنة بين المتحاربين المتشبثين بمواقفهم. وأمام يأس آيت حماد أوعيسى من النجاح وانسياقا مع اندفاع جماعتهم انتقلوا إلى معسكر آيت يعقوب أوعيسى المالكين للأراضي التي دار الصراع حولها، أملا فيما يبدو في أن يجعلهم هذا التغيير في موقع أفضل لاستعادة ممتلكاتهم. لكنهم أصيبوا بخيبة أمل لأنه بمجرد انتهاء الهدنة قام موحى أوحمو الذي نجح بذكاء في استقطاب آيت إسحاق إلى صفه بغزو البلاد عازما على حسم الموقف،

82ك إشارة إلى عملية قتل مولاي سرور ورجاله (المترجم)

فتمت محاصرة وقصف قصر تِيغَسّالِينْ الذي نظمه العدو في أفق مقاومة طويلة. وبعد مقاومة بطولية من آيت يعقوب أوعيسى طبعتها فصول مأساوية اضطرت الحامية المرابطة في القصر إلى الإنسحاب في إحدى الليالي مستغلة إعصارا شديدا، وبعده جاء دور قصر بني خليل الذي تمكن إيشقيرن من طرد آيت إسحاق منه والذي دمره القايد. وأخيرا تم نقل الحرب إلى الجبل حيث أبدى الأعداء المتقاتلون وخصوصا في تِيوْمْلِيلِينْ شراسة وهمجية لا مثل لها،/162/ أقدموا فيها على بقر بطون النساء الحوامل «لإبادة نسل العدو بصفة نهائية». وفي نهاية المطاف أُبرِم السلم بفضل وساطة سيدي محمد بن الطيبي، لكن آيت حماد أوعيسى اضطروا للتخلي عن أراضيهم في السهل (تيغَسّالِينْ وبني خْلِيل وغيرها ...)، بالمقابل وبفضل حيلة سيحتفظ آيت إسحاق بذكراها لمدة طويلة نجح هؤلاء في الإستقرار بقصر بُوتْغَدْوِينْ الذي احتفظوا به.
إثر ذلك مرت بضع سنوات من الهدوء النسبي، إذ لم تعد القبائل التي أبادتها الحروب تصبو إلا لأخذ قسط من الراحة، بينما بدأت تظهر انشقاقات جديدة وخطيرة في صفوف أسرة إِيمْحْزَانْ ذاتها، إذ أصبح أبناء القايد، حُوسَى وحسن وآمْهْروقْ الذين بلغوا سن القيادة، يسعون لدى أبيهم من أجل الحلول مكان خليفتيه حمو أولحاج وأولعايدي. وبسبب ذلك رفض موحى أوحمو بشكل قاطع تلبية دعوة سيدي علي آمهاوش بإرسال بعض محاربيه لنجدة أهل بوذنيب المشتبكين مع قوات الجنرال أليكس Alix سنة 1908، بدعوى عدم اكتراثه كثيرا بنجدة الصحراويين الذين لن يخطوا خطوة واحدة لمؤازرة زايان في حالة تعرضهم للهجوم بدورهم. ونظرا لإحساسه بالإهانة من هذا الموقف ذهب سيدي علي آمهاوش إلى بوذنيب مع بعض أهل الدير وملوية فقط، ولدى عودته حمّل مسئولية هزيمة المسلمين لتهاون موحى أوحمو وبذل جهودا حثيثة لإعادة تشكيل المعسكرات وأشهرت الحرب على بعضها البعض، فانقسم آيت يعقوب أوعيسى هذه المرة بين الطرفين ودارت مرة أخرى معارك عنيفة لا تزال ذكراها حية إلى اليوم، حيث جرت في بلاد إيشقيرن/163/ ولم تنته إلا بانتصار موحى أوحمو في آزرو نْ آيت لحسن ووفاة قريبه الوفي وصديقه عَقّا نْ مِّيغْمِّي (1909). كان ذلك آخر الفصول الدموية للصراعات التي دمرت بلاد آيت أومالو قبل وصولنا.
منذئذ انشغل موحى أوحمو بتخفيف حدة الخلافات التي كانت تعصف بأسرته أكثر فاكثر، غير أن انتباهه اتجه بشكل جدي نحو الساحل الذي بلغته منه أصداء نجاحاتنا ضد العرب. بعد ذلك وأمام تقدمنا المتوالي سيزداد قلقه ويُضاعف دعواته إلى الوحدة حتى اليوم الذي ستأتي فيه أرتالنا المظفّرة لإرغامه على مغادرة خنيفرة (1914).
بعد هذا العرض الموجز الذي يبين بما فيه الكفاية الصعوبات التي تغلب عليها موحى أوحمو خلال أربعين/164/ سنة من قيادته، سنفحص دوره تجاه ذويه وتجاه القبائل التي

اعترفت دائما بسلطته وكانت خاضعة له فعليا.
فبحكم انتمائه لأسرة متعوّدة على القيادة وكونه مدلّلا ومحترَما منذ صباه بوصفه الإبن المفضل لأكبر أعيان البلد، فإن موحى أوحمو رغم تردداته كشاب لم يكن يخشى في بداية قيادته إلا المناورات المعادية لأعمامه وأبناء عمه الراغبين في إزاحته، أما جمهور زايان فكان مهيأ لتوليته عبر خضوع قديم وكامل «لخيمته».
وبحكم غيرته على سمعة اسمه ورغبته القوية في تبوىء أسرته أقصى درجات الشرف والإعتبار، تردد موحى أوحمو أول الأمر في اللجوء إلى السلاح ضد الحُسّاد بمحيطه المباشر، غير أنه أمام الخيار الرهيب بين الإنتصار أو الزوال استسلم لخوض الحرب وحصل على الإنتصار. لكنه جبرا للضرر الذي ترتب على هذا الصراع الداخلي سارع إلى الجنوح للسلم بمجرد ما طُلِب منه ذلك واتخذ كمساعدين مباشرين له أولئك الذين حاربوه بالذات أي حمّو أولحاج وأُولْعايْدِي.
باستتباب السلم في بيته اهتم موحى أوحمو بتنظيم القبائل، فبدافع منه وبحكمة وذكاء أثارا إعجاب الجميع بما في ذلك السلطان نفسه، عم الأمن والنظام كل مكان في الداخل وأصبحت خنيفرة عاصمة حقيقية ضمت قيصارية ومساجد وحتى قضاة وعدول. ولا شك أنه اضطر غالبا من أجل تحقيق أهدافه إلى ممارسة العنف في حق بعض الفخذات أو بعض الشخصيات الهامة، بل يقال إنه اضطر إلى إظهار منتهى/165/ القسوة تجاه بعض الخصوم. لكن هناك إجماع في بلاد زايان على أنه لم يلجأ إلى العنف إلا لإعطاء المثل ولجم منافسات ناشئة وخطيرة. كما ظهر هذا الهاجس في الهيمنة الحقيقية دون عنف غير ضروري في أسلوبه في خوض الحرب بشهامة ونُبْل مع جيرانه أول الأمر ومع الغزاة النصارى فيما بعد.
بنجاحه في فرض سلطته على الجميع كان موحى أوحمو سعيدا بتنصيبه الرسمي في منصب قايد من لدن السلطان، ولكن إدراكه لعجز فاس[83] جعله لا يقبل أبدا تبعية فعلية وظاهرة، وفي كل مرة كان يخاطب مولاي الحسن بصفته (أي القايد) السيد الفعلي للبلد أو مجرد حليف مُراع لقدْرِه. وكان هذا الموقف على كل حال وحده القادر على مسايرة طبْع وعقلية قبائله المعاديَة بشراسة لكل تدخل أجنبي في شؤون البلد حتى لو كان شريفيا.
أما بخصوص أبناء القبائل الخاضعة له فقد كوّن موحى أوحمو حاشية موثوقا بها وحرسا إقطاعيا حقيقيا مضمون الولاء إلى حد التضحية بالنفس، وتصرف بحق كعاهل صغير جبار كان سيد كل شيء وسيدا للجميع، فأحسن الحقول كانت له ولذويه على غرار أجود الخيول وأجمل الأسلحة وأجمل النساء وأمهر كلاب الصيد. وكانت المخيمات لا تنتقل إلا بامر منه ولا تُضرَب إلا في الأماكن التي يحددها بنفسه، بل كان يمنع نصب خيمة أحد العوام في المكان الذي سبق أن كانت فيه خيمته. وحين ينتقل حريمه تحت حراسة عبيد وأتباع يوفرون الأمن عن بعد يجب الإبتعاد عن مكان مروره والويل لمن سولت له نفسه

83 يقصد عجز المخزن عن فرض سلطته المركزية على كل مناطق البلاد وخصوصا المضطربة منها (المترجم)

إظهار الفضول. كما تُنْصب خيام لنسائه وخَزْنَة له /166/ مسبقا في المكان المحدد للتخييم لتفادي التوقف تحت أشعة الشمس أو تحت المطر، وإذا حدث أن توقف خلال الطريق للإستراحة أو الأكل يسارع عبيد يقظون إلى نصب خيمة في رمشة عين، بينما يقوم خدم آخرون بتحضير الشاي والسمن والعسل ومشوي الخروف والدجاج والحَجَل.

وبما أن أسرته في نظره من أرومة عليا فقد كان مُسَلَّما أن ينفرد أعضاؤها بحمل عمامات (رزّات) ذات حجم كبير من خمسة عشر إلى عشرين لفة على الراس، كما أن النساء العاديات وحتى نساء الأعيان لا يمكنهن إظهار حلي يُشبه حلي أية «تامَحْزُونْتْ» تحت طائلة مُصادرته بعد إشباعهن ضربا، بل كان يحظر عليهن حمل الحجاب على غرار نساء أسيادهن.

فضلا عن ذلك فالقايد يمتلك كل شيء، الرجال والأشياء. فقبل أن يكون المرء زايّانياً أو رجلا فإنه يكون للقايد آزايّي أو لأحد من أهله، بحيث لا يمكن التفكير في حرث أرضه إلا بعد التفكير في حرث أراضي أسياده ولا تُحصد المحاصيل إلا بعد جني محاصلهم وإدخالها إلى المخازن. وفي كل المجالات وفي جميع الظروف لا يمكن الحركة ولا الفعل ولا الكلام إلا بعد التأكد من الموافقة الأكيدة من سادة المكان، إلى حد أن الزّاياني اختصارا لا يتزوج أو يزوج أحدا من ذويه إلا بعد الحصول على الإذن.

رغم هذا الإستبداد الذي جعل خنيفرة شبيهة بمَلَكِيّة صغيرة والذي كان ضروريا في وقت كان فيه القوي وحده محترما، فإن موحى أوحمو كان محبوبا بصدق من إخوانه ورعاياه، ذلك أن هذا الرجل الذي كان يملك ثروة ضخمة وكانت مجرد إشارة منه كافية لتضرب أعاصير رهيبة البلاد حافظ على بساطة سلوك وتصرف/167/ جعلته في متناول أكثر قومه تواضعا. ورغم عيشه الباذخ وذبحه 30 إلى 50 خروفا في اليوم لاستضافة زواره الكثيرين فقد كان يكتفي بقطعة خبز وعظم من المشوي. أما زيُّه الأمازيغي الأصيل فيشبه في كل شيء زي أصحابه ولم يكن يتردد في النوم على أوسخ فراش من القش حين يباغته الليل ويضطر للمبيت خارج بيته. كما كان يصدر أوامره الواضحة والقصيرة والصارمة لحشد المتقاضين المجتمعين قرب القنطرة البرتغالية وهو يطل من نافذة صغيرة خالية من أي تألق أو فخامة.

إلى ذلك كانت للزّايانيين دواعي أخرى لحُبّه وتقبيل يديه وأيدي أهله، أليس هو الذي منح لزايان المجد والشهرة اللذين يتمتعان بهما لدى القبائل الأخرى بفضل الإنتصارات التي نجح في تحقيقها والثروات التي راكمها؟ أليس هو وحده المعَوَّلِ عليه في نهاية المطاف لصدّ إيرُومِينْ (النصارى) المقتربين بسرعة من م الربيع؟

لقد حكم موحى أوحمو إذن كسيد مُهاب بدون منازع ولكنه محبوب، وسيطر حتى على لجِمَاعَاتْ التي نجح بذكاء في جعلها تعرض عليه أعمالها وتطلب موافقته على كل القرارات الهامة.

أما بالنسبة لحياته الخاصة فقد شاع عموما أنه مُتهَتّك على غرار كل إيمَحْزّانْ، لكن ذلك

غير صحيح حسب معلومات مستقاة من مصادر جد موثوقة. لا شك أن عدد مغامراته السعيدة كبير في هذا البلد الذي كان فيه أجمل المحاربين، وحيث تُعتبر كل أمرأة غير متزوجة عاهرة وحيث الحبُّ وحده إلى جانب الحروب يُلْهِم المغنّين والمطْربين.
168/ من ناحية أخرى فإن وضعيته الإجتماعية وثروته اضطرته إلى اتخاذ عدد كبير من النساء في آن واحد، لكن عقلية البلد وأخلاقه جعلت سلوكه عاديا بحيث لم يؤاخذه قط أهله أو أصدقاؤه الأمازيغ.
أما تجاهنا فكان موحى أوحمو دائما في منتهى الكرامة والصواب، لقد نجح في إخماد الضغائن والخصومات الداخلية بمجرد اتضاح تهديدنا لبلده، ثم دافع عن قومه وبلاده بشراسة رافضا كل عروضنا المُغْرية، وأخيرا حين أدرك أنه أمام أعداء أقوى منه استسلم لقدره وانسحب بكرامة إلى الجبل حيث توفي برصاص أنصارنا بقيادة أبنائه في 27 مارس 1921 (معركة آزْلاگ نْ تْزَمُّورْتْ قرب تَاوْجْيَالْتْ) حين جاء للمشاركة ببسالة ورباطة جأش في القتال رغم ثقل السنين.
كانت هذه الوفاة حدثا جللا انتشر خبره بالسرعة التي يمكن تخيُّلها ولم يصدِّقه أحد من آيت أومالو في البداية، فبالنسبة لهذا الشعب من البسطاء لم يكن رجل مثل موحى أوحمو غلب كل تلك القبائل ليموت. ولكن حين عُلم أن حَسَن وآمْهرُوقْ وبوعْزّا وبَاعْدّي وإخوتهم الصغار قد ذهبوا على وجه السرعة إلى تَامْلاّوُكْتْ للدفن، كان لا بد من مواجهة الحقيقة وعمّت الدهشة والحزن. فقد بكى الناس في كل العشائر وأخمدت النيران في جميع الخيام وهُدمت هذه الأخيرة علامة على الحداد العميق. كان التأثر شديدا خصوصا أن القدر شاء أن يقتل السّيد بالذات في معركة كان أبناؤه يحاربون فيها في صفوف الأعداء ولصالح الكفار. جعلت هذه الظرفية إلى جانب الموقف/169/ الشهم لموحى أوحمو المعسكر الفرنسي يقدم أخلص مواساته لحسن وإخوته، إلى حد تساءل معه البعض بحق إن لم يكن موحى أوحمو قد منحنا ضمانات أكيدة على صداقته رغم بقائه غير خاضع حتى آخر نفَس من حياته.
جرت مراسيم الجنازة في تامْلاّوُكْتْ بحضور حشد هائل من الخاضعين وغير الخاضعين المتصالحين في المصاب المشترك، فمن القصر الذي كان شاهدا على العديد من الأحداث إلى المقبرة المتواضعة التي تدل عليها شجرة عرعار منكمشة، انتشر آلاف الرجال والنساء الحزينين ورؤوسهم مغطاة بقبعات جلابيبهم وثيابهم ملطخة بالطين التقليدي لأيام الأحزان والمصائب.
هناك، في ذلك الإطار القاسي والعظيم لجبال زايّان وبعيدا عن الضوضاء والدسائس، وتحت ألواح حجرية بسيطة مستخرجة من الجوار، يرقد هذا الأمازيغي النبيل الذي أثار إعجاب جميع معاصريه بمن فيهم خصومه إلى غاية وفاته، وقد ترك لنا موحى أوحمو ذرّية كثيرة وعددا من أبناء الإخوة وأبناء العمّ نقدم لائحة لهم أسفله:

الأبناء:

1- حسن، عامل زايّان الحالي، 45 سنة. يسكن بُو أُومْزِيلْ وخنيفرة وآقْلاّلْ ووَرْدَانْ حسب الفصول. ثري جدا وله عدة أبناء ذكور منهم محمد الإبن البكر البالغ حوالي عشرين سنة؛

2- آمهروق، خليفة عامل زايّان، حوالي 38 سنة. يسكن جْنَانْ إِيمّسْ وخنيفرة وآذْخْسَانْ وتاجْمُوتْ حسب الفصول. له عدة أبناء ذكور منهم الإبن البكر المدعو القايد احتفاء بذكرى موحى أوحمو ويبلغ اليوم ست سنوات.

3- ميغْمّي ولد الفاسية، حوالي 38 سنة، قاتل القبطان طايّاد 1917(Taillade). يعيش حالياَ منشقا في فَرْكْلا[84].

4- الحاج علي، مالك بسيط، حوالي 35 سنة، يسكن آقلال وجبل تاغّاطْ، غني لكنه مغمور.

5- حمو نْ عَقّا، توفي سنة 1920 متأثرا بجروح إثر إصابته على يد حوّامين وهو ذاهب من خنيفرة إلى جنان إيمس (كان خاضعا وعمره حوالي 25 سنة).

6- بُوعْزّا، رئيس سابق لمخزن خنيفرة وقائد سابق لبُوخْسُوسْنْ، قُتل في 27 مارس 1923 بتَاكزّالْتْ وهو على رأس فرسانه. كان عمره آنذالك 30 سنة ولم يكن له إلا ابن عمره عام توفي إثر مرض في نفس يوم وفاته.

7- بَاعْدّي، حوالي 28 سنة، مستقر في خنيفرة وتابَاحْدُّوتْ، كان مكلفا بقيادة آيت إسحاق من 1921 إلى 1923 ثم عوّض بعد ذلك بوعْزّا على رأس مخزن ومدينة خنيفرة، انسحب الآن إلى تَابَاحْدّوتْ. ثروة متوسطة وله ابن (القايد) عمره 6 سنوات.

8- الحاج حدو، حوالي 27 سنة، يسكن بنواحي آقْلاّلْ، مغمور وذو ثراء متوسط.

9- لَبْصِيرْ، حوالي 23 سنة. اشتغل شاوش في آيت إسحاق ولَقْبابْ مدة 3 سنوات ويعيش اليوم مع باعدي، متوسط الحال.

10- مولاي ادريس، حوالي 23 سنة، مثل السابق.

11- باسّو، قتل وهو في خدمتنا وأحرق على يد آيت وِيرّا في أبريل 1922 خلال عمليات القصيبة، كان عمره 18 سنة واشتغل مخازنيا عند أخيه.

12- موسى، حوالي 23 سنة، اشتغل مخازنيا في كْرُوشْنْ ويعيش اليوم في خنيفرة.

13- موحى نْ يَطّو عْلي، حوالي 18 سنة، يعيش من أملاكه القليلة عند أخيه حسن.

14- لحسن، حوالي 15 سنة، يعيش عند لبصير أخيه من الأم.

84 هُنا يشير كنون بإيجاز إلى جانب من الفصول المثيرة لحياة ميعمي بن موحى أوحمو، الذي أقدم ثأرا لسمعته على قتل القبطان طاياد في سيدي لامين بعد إيهامه بأنه جاء ليتفاوض حول شروط استسلامه، فحكم عليه غيابيا بالإعدام من طرف العدالة العسكرية الفرنسية، مما اضطره بعد السيطرة على بلاد زايان إلى اللجوء مع ذويه وأتباعه إلى منطقة فركلا والرك بهوامش صاغرو وتافيلالت، وهناك تقاطع مصيره مع حركات المقاومة والجهاد فتصاهر مع بلقاسم النكادي زعيم المقاومة في تافيلالت الذي تزوج إحدى بنات موحى أوحمو. وبعد احتلال تافيلالت سنة 1932 زحف ميعمي وأتباعه رفقة النكادي ورجاله وقبيلتي آيت خباش وأيت حمو أوسعيد السغروشنية نحو زاوية سيدي صالح ولمحاميد بدرعة ثم عبر الحمادة إلى إداوبلال وآيت مريبط وتاغجيجت وواد نون، قبل أن يستسلم الجميع في منطقة البيار في مارس 1934 إلا مَيغْمّي الذي طلب اللجوء لدى إسبان سيدي إيفني، ليقضي آخر حياته بعرباوة. أنظر بعض تفاصيل ذلك في أحمد بن قاسم المنصوري، كبّاء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر، تحقيق محمد بن لحسن، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين، الرباط، 2004؛ ومحمد بوكبوط، مقاومة الهوامش الصحراوية للإستعمار، الرباط، 2004.(المترجم).

أقرباء مهمون آخرون لموحى أوحمو لا زالوا على قيد الحياة:

أُولْعَايْدِي، ابن أخيه وعمره حوالي 63 سنة، يوجد حاليا تحت الإقامة الجبرية في مكناس، كان في بداية الأمر منافسا لموحى أوحمو ثم أصبح خليفته، وهو عدو لدود لحسن وآمهروق ابني موحى أوحمو.

مِيعَمِّي ولد الحاج حدو، ابن عمه، 40 سنة، يوجد حاليا تحت الإقامة الجبرية في مكناس مع رفيقه أولعايدي.

بَنْعَقّا الحاج حدو، أخ السابق وابن عم موحى أوحمو والصديق الوفي لحسن وآمهروق، سنه حوالي 38 سنة، وهو حاليا قائد آيت عمو عيسى.

بُوعْزَّا ومصطفى أُوحُوسَا، سنهما 22 و21 سنة، وهما ولدا حوسا ولد موحى أوحمو (المتوفى قبل 171/ خضوع زايان)، يعيشان مع آمهروق شقيق أبيهما.

حُوسَا، بْنّاصَر وعبد الله حَمّو أبُوسّوسْ، يبغلون من العمر 35 و33 و30 سنة، أبناء عم موحى أوحمو ويقطنون في قصر تَابْرّاقُويْتْ قرب جنان إيمس.

بوعزا. لعبت هذه الشخصيات المذكورة كل حسب ما سمح به سنه دورا نشيطا في السياسة الداخلية الزايانية أولا ثم في صفوفنا ضد الثوار والمنشقين. وقد بدأ الشبان اليوم يقدمون بعض الخدمات تحت إشراف ضباطنا للشؤون الأهلية، وسنرى في فصل لاحق إسهام كل واحد منهم.

أولاد سيدي الطيبي:

علاوة على الشخصيات التي سبق تناول أدوارها، توجد ببلاد آيت أومالو أسرة صوفية من الدرجة الثانية تحاول بالخصوص منذ خضوع إيمحزان وموت موحى أوحمو وموحى أوسعيد وسيدي علي آمهاوش أن تتزعم العصيان وعدم الخضوع، يتعلق الأمر بأسرة سيدي الطيبي المتصوف الدرقاوي المتوفى قبل حوالي عشرين سنة والمدفون في سْكُورْ على بعد 6 كلم غرب المركز الحالي لآيت إسحاق. كانت الأسرة تضم قبل بضع سنوات ثلاث شخصيات غير متساوية الموهبة والنفوذ: سيدي عبد المالك بن الطيبي وسيدي محمد بن الطيبي وسيدي المكي.

كان الأول مستقرا في نَاوُورْ ببلاد آيْت وِيرًّا ومارس نفوذه أساسا على هذه القبيلة وعلى آيْت مْ لْبَخْتْ، لكن هذا النفوذ لم يكن قويا ولم يكن يعود عليه إلا ببعض الزِّيَارَاتْ[85]، بيد أنه نجح سنة 1922 في حمل أصدقائه على الهجوم على مركز دشرة الواد أولا ثم تدبير اغتيال الوجيه حَمّو أُومَلُّوكْ من آيت إسحاق الذين كان يسعى رفقة /174/ عائلته

85 يقصد الأعطيات والهدايا العينية التي كانت تمنح لرجال الزوايا. (المترجم)

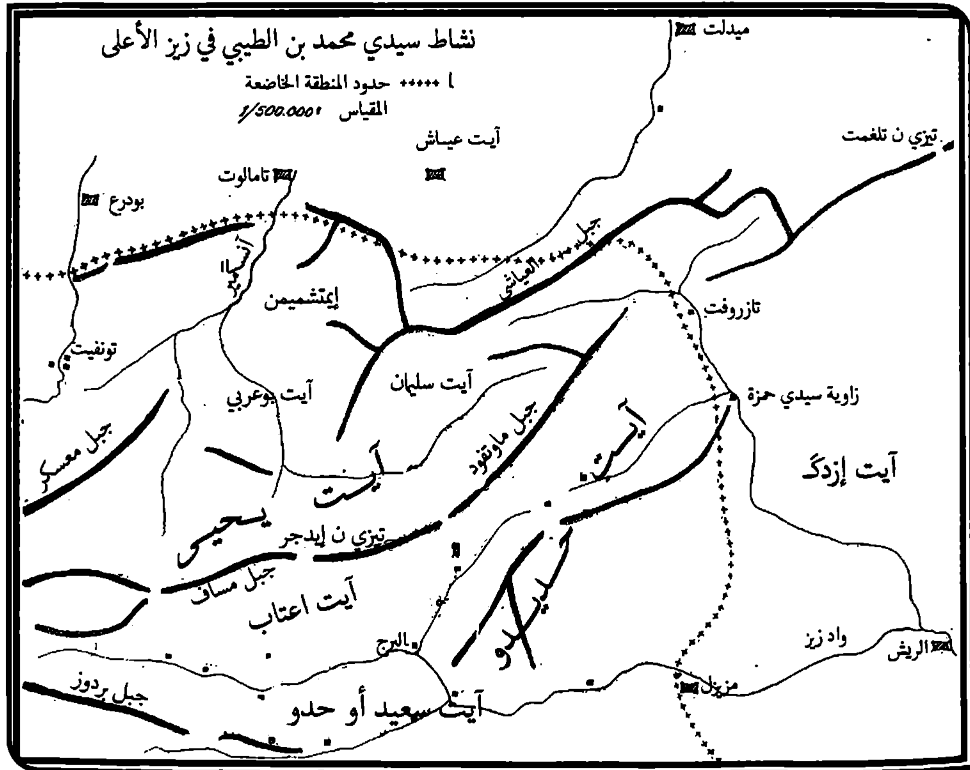
للوصول إلى خطوطنا عبر بلاد آيت بومّلاّل. وقد توفي (سيدي عبد المالك» مؤخرا بمرض التيفوس.

أما الثاني (سيدي محمد) فإن زبناءه المفضَّلون هم إيشقيرن وعلى الأخص آيت حماد أوعيسى، وكان يسكن سابقا في تِيحُونَا على بعد 6 كلم غرب آمْسِّيدْ، ولكن على إثر نجاحاتنا في أعالي ملوية سنة 1922 اضطر إلى الإنتقال في البداية إلى الجنوب ثم إلى ناوُورْ حيث لا يزال يواصل دعايته.

وأما الثالث، سيدي المكي، فقد توفي سنة 1926 دون أن يلعب أي دور هام.

أما سيدي محمد بن الطيبي الذي بقي وحيدا في المسرح السياسي فهو رجل قد يبلغ 50 إلى 60 سنة من العمر، يبدي إصرارا شرسا على موقفه الرافض والمنبني على قناعة صادقة بقرب مغادرتنا للبلاد. وعلى كل حال لا يرجى انقلاب في موقفه مادام واد العبيد لم يخضع بشكل كامل، آنذاك فقط سيكون عليه أن يختار بين الخضوع وسط أتباعه أو المنفى في الصحراء بعيدا عن زبنائه.

/172



نشاط سيدي محمد بن الطيبي في أعالي زيز

القسم الخامس

((تهدئة بلاد آيت أومالو

ملاحظات:

وصلنا إلى التَّمَاسّ مع بلاد آيت أومالو سنة 1922 إثر معارك ولْجة السلطان (تاغْزُوتْ أُوكلِّيدْ بالنسبة للأمازيغ) وجبل تافُودَايْتْ وإيفْرَانْ وسيدي عبد السلام. ففي الغرب بدأنا نجد في صفوف الأعداء زايّان وَالمَاسْ وناحية خنيفرة، وفي الشرق لاحظنا مشاركة الفرق الأولى لآيت مْكيلْدْ في القتال إلى جانب آيت نْضِيرْ (آيت إدْرَاسْنْ).

وقد قادتنا حمْلة 1913 إلى والماس وآزْرُو في قلب بلاد الإتحادية، مما جعلنا نستعد لتحضير العمليات الرئيسية في اتجاه مْ الربيع وملوية (مْ إلُويًّا)[86]. ثم دشنا سنة 1914 تنفيذ المخطط العام لهذه العمليات والذي نقدم فيما يلي مراحله الرئيسية:

1914: احتلال مولاي بوعزّا وآكلْمُوسْ وخنيفرة (زايّان) وعين اللّوح (آيت مْكيلْدْ)؛

1915: احتلال منطقة تِيمَحْضيتْ (آيت مْكيلْدْ)؛

1917: احتلال بَقْرِيتْ وإيتْزَرْ (آيت مْكيلْدْ) والحمّام (آيت سْكوكو)؛/176/

1919: احتلال بلاد آيت مُولّي (آيت مْكيلْدْ) على ملوية؛

1920: احتلال مجرى م الربيع باتجاه زاوية الشيخ وزاوية إسحاق والبَرْج وواد آمَاسِينْ؛

1921: توطيد احتلال هذه المنطقة من النهر بإقامة مراكز وَاوْمَانَا (آيت إسحاق) وبُوكجْدِي ومَزْكوشّنْ (زايّان) واحتلال بلاد آيت عبدوس؛

1922: تهدئة بلاد آيت ويرا وإيشقيرن وآيت إيحاند وآيت مْكيلْدْ أعالي ملوية؛

1926: احتلال منابع ملوية وأغبالا (آيت سخمان).

لقد تم تحقيق كل واحدة من هذه المراحل في أحسن الظروف بفضل مهارة الرؤساء وشجاعة جنودنا، إذ دارت معارك ضارية خصوصا في تافودايت (أبريل 1912) حيث سقط كثير من رجال وحدتنا بشجاعة، وفي زاوية سيدي عبد السلام (يونيو 1912) حيث فقدنا قبطاننا (ديفرير Desfrères) وفي غابة جابا (مارس 1913) حيث جاء دور رئيس فيلقنا (بيسير دي هور Besseyre des Horts) ليلقى موتا مجيدا. ومع ذلك فإن العمليات الحاسمة في بلاد آيت أومالو لم تبدأ إلا في يونيو 1914 باحتلال خنيفرة. من جهة أخرى لا يروم هذا العمل المتواضع إلا التذكير بإيجاز بالأحداث القريبة نسبيا والتي يبدو لنا أنها ستؤثر بشكل ما على عملنا مستقبلا في واد العبيد وعلى التنظيم النهائي المرتقب للبلاد. كما سنقتصر في سرد حملة التهدئة على مرحلة 1914-1926 التي شهدت السقوط المتوالي للزعماء غير الخاضعين الأكثر خطورة.

---

86 أخفى رسم ملوية المتداول البعد الأمازيغي للعَلَم، فعلى غرار مْ الربيع فالصحيح في كتابة إسم ملوية هو بالذات مْ إلُويًّا، وهو اسم مركب من مْ وتعني بالأمازيغية ذات أو صاحبة، وإلويًا التي نرجح أنها تعني دوائر الماء حين يكون غزيرا (المترجم).

177/ احتلال خنيفرة (12 يونيو 1914).
حصار خنيفرة- قضية 20 غشت-قضية لهري (13 نونبر 1914).

حين توصل الجنرال هنريس Henrys بأوامر تنفيد مهمة احتلال خنيفرة، كان الجزء الذي يحكمه موحى أوحمو من بلاد آيت أومالو لغزا بالنسبة لنا. صحيح أن ضباطنا في الشؤون الأهلية قد تمكنوا من الحصول على معلومات ثمينة بشأنه، وعلى الخصوص بفضل معلومات زايّان وَالمْاسْ الذين خضعوا بعد أن عاشوا في احتكاك مع القايد وأبنائه لمدة أشهر خلال تخييمهم بتَانْدْرَا ومِنْتْ.

من جهتها زوّدت مصلحة الخرائط القيادة بوثائق دقيقة قدر الإمكان، لكنه بقي لنا معرفة الكثير عن أهمية دور موحى أوحمو ومدى تأثيره على القبائل. في مثل هذه الحالة يقدم لنا كثير من المخبِرين الراغبين في إرضائنا إخوانَهم على أنهم مستعدون لاستقبالنا كمحرِّرين وضم جهودهم إلى جهودنا لتخليص البلاد من المستبد الذي كان يسيطر عليها. وفي المقابل يقدم لنا كثير من الأهالي الواثقين الوضعية في صورة سوداوية جدا متوقعين تدميرنا ليس إلاّ بمجرد القيام بالخطوات الأولى نحو مّ الرّبيع.

غير أنه إذا بدَت الوضعية السياسية غامضة فإن كلا من القيادة والجنود لم يَغِبْ عنهم شيء عن القيمة القتالية لمحاربي زايّان، الذين رأيناهم من قبل أثناء المعارك في العديد من المناسبات ببلاد آيت عْمَرْ، حيث قاموا في ناحية واد كْسِيكْسُو/178/ ووالماس وحَرْشَا باستعراضات جريئة لم نعهدها من قبل. من ناحية أخرى ونظرا لعدم إطلاعنا على مدى فردانية الإتحاديات، فقد اعتقدنا أنه من المؤكد أن أهل تادلا سيتدخلون إلى جانب زايان بزعامة موحى أوسعيد سيء الصيت بالنسبة لنا منذ قضية مانجان Mangin في لقصيبة (1913). وأخيرا كنا واثقين بأن عملنا لن يترك سيدي علي أمهاوش غير مبالٍ وهو الذي سبقَ أن رأيناه في بوذنيب، وقد بلغنا أنه يقيم هناك في الجبال المكسوة بالثلوج بعد م الربيع مباشرة.

في هذه الظروف كان على المارشال ليوطي إصدار تعليماته في أفق تقدم مُخَطط له. إننا نعلم كيف تم الإحتلال، إذ قررت القيادة إهمال الضفة اليسرى لأمّ الربيع والمبادرة بتوجيه ضربة مدوِّية كفيلة بإقناع زايّان بعجز موحى أوحمو أمام جيوشنا وعدم جدوى تهديداته التي بدأ صداها يصل إلينا.

ففي 12 يونيو 1914 خرجت ثلاثة أرتال في ذات الوقت من سيدي لاَمِينْ وكلْمُوس ومْرِيرْتْ مقتحمة مُنخفض خنيفرة وسيطرت على المدينة بعد مقاومة ضعيفة من العدو المنشغل أكثر بإجلاء ممتلكاته وقطعانه، فاحتُلّت المدينة التي أخلاها كل سكانها واستقر جيش صغير من 15 ألف رجل في معسكر ضخم على الضفة اليسرى لام الربيع في

اتجاه خَرّارَا وبُوتْزُكاغْتْ، بينما اضطر خصمنا المرتبك إثر الكارثة الهائلة التي حلت به إلى اللجوء بخيامه إلى آقْلاّلْ حيث كان بإمكانه إحصاء قواتنا بآرُوكو ولَهْرِي ومَرْكوشْنْ.
رغم ذلك فإننا لم نحقق بَعْدُ الإنتصار/179/النهائي بل إن متاعبنا بدأت منذئذ، فنظرا لتعوّدهم على اعتبار سَبْيِ نساء وأطفال العدو تكريساً لا غِنَى عنه لكل انتصار حقيقي، وتوقّع رؤيتنا نواصل التقدم في اليوم الموالي لوصولنا إلى خنيفرة لمطاردتهم مع خيامهم وقطعانهم، فَسَّرَ زايّان توقفَ أرتالنا بأنه إشارة أكيدة على عجزنا عن الذهاب أبعد من ذلك، ومنحتهم العودة الفورية لبعض طوابيرنا نحو قواعد تموينها بسيدي لاَمِينْ ومْرِيرْتْ الإنطباع بحكم سذاجتهم وجهلهم لتنظيمنا بأن حشود قواتنا كانت مُهَدّدة بالجوع، كما أن احترامنا للمزروعات الرائعة المُصْفَرّة والمقْبِلة على الجني جعلهم يعتقدون أننا لن نمسها خشية تعرضنا للثأر. بل إن العفو الممنوح لبعض النُّهّاب والحَوّامين المباغَتين ليلا عند خطوط أسلاكنا /180/ كان بالنسبة لهم علامة على حالة ذهنية خاصة وجديدة تماما مطمْئِنة ومتعارضة بالتأكيد مع وجود قوة فعلية، إلى حد أن موحى أوحمو الذي كان يبحث عن براهين كفيلة باستنهاض همم قومه التي تراخت شيئا ما لم يجد أي صعوبة في إقناعهم بأن الله غير راضٍ على وجودنا في خنيفرة، وأنه أمام إشارات أكيدة بتراجعنا المقبل من واجب كل مسلم مؤمن أن يقوم بمراقبة معسكرنا ومراكزنا ويتأهب لخوض المعركة في الساعة التي يحددها الله تعالى.
ومنذئذ شهد كل يوم معركة وشهدت كل ليلة عملية ضد خنادقنا، كما أن أشغالنا الخارجية باتت تتم كل مرة تحت حماية قوات أكبر من الغرض الذي تمت من أجله، وكان على قوافل تموينِنا أن تتخذ شكل سرايا عمليات حقيقية دون النجاح مع ذلك في تفادي اشتباكات دامية ذهابا وإيابا في تِيزِي بوحَيَاتِي والصخرة المثقوبة وزِيّارْ وإِيمِي نْ تَاكيتْ.
هكذا تكبدنا خلال شهري يونيو ويوليو مئات القتلى والجرحى، بينما بدأت الوحدات تشْعُر بالإحباط من تلقي الضربات في المعسكر وخلال تحرك المواكب دون أن تسنح لها الفرصة قط بأخذ الثأر بمهاجمة العدو في عقر داره حيث يكون ضعيفا. ومن جهتهم بدأ القلق والتوتر يظهر على بعض الجنود المغاربة لكون بعض مساعدينا الجدد غير المستأنِسين بَعْدُ بطُرقنا في الحرب لم يفهموا شيئا من موقفنا السلبي، وبدأوا يشُكّون تماما مثل إخوانهم في الجهة المقابلة في قدراتنا الهجومية، ففي بضعة أيام فقدت سَرِيّة خيّالة (السّباهي) تفشى فيها هذا الضرر/181/ أكثر من نصف تعدادها بسبب الهروب المتوالي لرجالها، كما كان يهرب رجال مراكز صغيرة جميعا كل صباح ببنادقهم وخراطيشهم بعد اغتيال مقدميهم الفرنسيين أو الجزائريين الذين يرفضون مرافقتهم إلى العصيان، مما اضطرنا إلى نزع سلاح من بقي من الوحدة ووضع الخيول في عهدة المشاة الجزائريين المتطوعين والمكلّفين منذئذ بمصلحة الطلائع.

أخيرا راج في نهاية يوليوز أن القيادة ستُرسل رتْلا ضخما على بعد 10 كلم إلى الجنوب (آذْخْسَانْ)، غير أن اندلاع الحرب الأوربية[87] عرقل تحقيق هذا المشروع المتميز ومنح في ذات الوقت مبرّرا مُدوّيا جدا لحملة التغليط التي كان يقوم بها موحى أوحمو بشأن انسحاب متسرع لكثير من الفيالق الموجهة للجبهة الفرنسية. يمكن إذن تَقدير حجم متاعبنا الجديدة.

فمنذ إعلان الحرب الذي عرفه زايان بالتزامن معنا ضيق العدو خناقه واستعد لمنعنا من «الهروب»، بحيث دفع بطلائعه إلى حد الإحتكاك بطلائعنا شاتِمَةً أو مهددة إياها..وخلال الليل كانت المسالك المؤدية إلى إيمي ن تَاكيتْ وبوحياتي مقطوعة على يد فرق قوية من الفرسان والمشاة تحت زعامة حازمة لأبناء موحى أوحمو شخصيا ومتأهبة للإنقضاض علينا. وفي كل مساء تُضرم نيران لا تحصى حول المعسكر إشارة إلى المحاربين بأن كل قبيلة توجد في موقع القتال. وحين غادرت المفرزة الأولى الموجهة للجبهة الأوربية خنيفرة في 4 غشت تعرضت لهجوم هائل بمجرد خروجها من المدينة وتكبدت خسارة عدة مئات من الرجال /182/ من بينهم أكثر من 100 سجين، وكانت هذه الخسائر في صفوف المشاة المغاربة حصرا. أما الوحدات التي مكثت في خنيفرة فتعرضت من جهتها لهجوم عنيف أيضا، وبلغت معنويات العدو واعتقاده بالإنسحاب الشامل حدا جعل شخصا لا زال اليوم على قيد الحياة يندفع مُنْحَنِيّ الرأس إلى حصن به خمسون من المشاة الجزائريين وعرض عليهم بكل جِدّ أن يمنحهم حمايته مقابل مخزن أسلحتهم، فألقي عليه القبض بطبيعة الحال أمام ذهوله لكنه نجح في الفرار لحظات بعد ذلك تاركا سلاحه وبرنسه وبلغته لجنودنا.

وأخيرا غادرت العناصر الأخيرة المركز تحت الضربات عند كل ثَنية، وصدر الأمر للحامية المقلصة إلى سبع سرايا ومفرزة وسريتين للمدفعية وكوم مختلط بقيادة الليوتنان كولونيل لافيردور Laverdure من جيش المشاة الكولونيالي بالتخندق في المدينة المنظّمة لاستقبالها، والقيام بمهمة «الدفاع عن الجدران» وترك كامل الحرية للقيادة في اتخاذ القرار.

وقد اتخذ القرار بإيصال التموين للمركز الجديد كل شهر تحت حماية وخفر الفرقة المتنقلة لتادلا، أما البريد فكان ينبغي إيصاله من لدن نفس الأرتال أو عن طريق «آرَقّاصْ» كلما رأت مصلحة الإستعلامات أن هذه العملية ممكنة. فضلا عن ذلك ولمواجهة خطورة المواصلات تم الإذن لأوربيي الحامية بإبلاغ الأخبار لأسرهم مرة كل شهر عن طريق التلغراف اللاسلكي العسكري.

بيد أن العدو المقتنع أكثر فأكثر بالرحيل الوشيك للحامية المقلّصة/183/ وبسهولة أسرها واصل مراقبة دقيقة وحراسة متيقظة، فخلال النهار كانت جبال بُومُوسى وبُوحَيَاتي

87 يقصد اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 4191. (المترجم)

وتَاغَّاطْ المشرفة على المدينة أو المسالك المؤدية إلى الخلف ممتلئة بالفرسان والمشاة الذين يستبدلون كل صباح. وفي الليل كانت المدينة محاصرة بحشد من المقاتلين الذين يأتون لإنتظار ساعة «السحور» (كنا في فترة رمضان) ويقومون باستعراضات عنيفة غالبا وسط صياح وشتائم أمام نقاط الدفاع المفترض أنها ضعيفة. كما بات إطلاق النار متواصلا خصوصا على مراكز الطلائع التي كان عليها خوض معارك كلما تسلمت الخدمة، بينما حرص بوعزّا ولد موحى أوحمو الذي سيكون فيما بعد بطلا حقيقيا في خدمتنا على القيام بدوره المتمثل في منع أي اتصال بين المخبرين الزايانيين ومكتبنا للإستعلامات، فبات مستحيلا الخروج على بعد خمسمائة متر من المركز دون اتخاذ احتياطات لاحدود لها وحشد عدة وحدات مع مدافع ورشاشات لسلامة وأمن المرء. بل إن أشغال إنتاج السّلاطة التي فرضها تفشي وباء الحفْر[88] في الحامية كلفتنا أربعة رجال قتلوا تحت جدران الموقع ذاته واضطررنا إلى دفن موتانا في الداخل لتفادي الخروج إلى المقبرة. كما أصبح تجمع الوحدات في بعض ساحات المدينة يكتسي خطورة بسبب إطلاق النار على يد المنشقين المنتصبين في جبل بوموسى. وتفاديا لتنقل فرق الأشغال على قنطرة مْ الربيع المكشوفة جدا تم التفكير جديا في نقل مصلحة المؤن العسكرية من قصبة موحى أوحمو على الضفة اليسرى إلى قلب المدينة.

تلك كانت وضعية خنيفرة حين تم /184/ الإعلان عن وصول قافلة للإمدادات قادمة من تادلا. وفي يوم 19 مساء شكلت قيادة المنطقة في سرية تامة وبأمر من العقيد كارنيي دوبليسي Garnier-Duplessis كتيبة مختلطة مكونة من أربع سرايا وفرقة خيّالة بقيادة الكومندان دورْمُلا Durmelat، كُلِّفَت باقتحام جبل بوموسى في العاشرة ليلا وطرد العسس الأعداء الموجودين به واحتلال الموقع لتسهيل اجتياز الصخرة المثقوبة وتأمين دخول المركز من لدن رتل التموين في اليوم الموالي. وأمام دهشة الجميع مرّ سير هذه الكتيبة في الظلام واستقرارها بأعلى الجبل دون حوادث، ولكن في مطلع النهار تعرض الرتل الصغير لهجوم عنيف جدا شنّته كل القبائل المستَنْفَرة للهجوم على قافلة التموين بما فيها بعض فرق محاربي سيدي علي الذين تم رصد حضورهم في مخيمات زايّان أياما قبل ذلك. وخلال عدة ساعات دارت معركة ضارية واشتباك مباشر رهيب من أجل السيطرة على المرتفعات، لكن جنودنا المدعومين بقوة بمدفعية المركز صمدوا، مما اضطر العدو إلى وقف محاولاته والتراجع في فوضى عارمة إلى وادي مْ الربيع وواد بوزّقّور، إذ تكبد خلال النهار أكثر من 200 قتيل من بينهم كثير من الأعيان المهمين تركت جثثهم على الأرض وعدة مئات من الجرحى وعددا كبيرا من الخيول والسروج والأسلحة استولت عليها الكتيبة خلال القتال، فضلا عن العجز عن منع رتل دوبليسي من المرور رغم

88 tubrocS وهو مرض يعزى إلى نقص في فيتامين س C ومن أعراضه تعفن اللثة وتزحزح الأسنان. (المترجم)

تعهد زعماء الحَرْكات واتفاقهم على استعداد مقاتليهم لإبادتهم /185/ في عين المكان عوض ترك القافلة تصل إلى المركز.
وفي المساء تم انسحاب المقاتلين إلى آقْلاّلْ ولهْري في مذلّة ودون لعب بارود أو أهازيج فرح، ومع حلول الليل تم اجتياح وادي م الربيع والفايجة من قبل أعداد لا تحصى من النساء والأطفال يبحثون عن جثث ذويهم وسط مناحة لا تنسى من العويل والرّثاء.
كانت معركة 20 غشت بالنسبة لنا انتصارا هائلا، وبفضله تغيرت الوضعية بشكل جذري على التو. فالخروج الهجومي لكتيبة في مستوى ضعف تلك التي انتصرت على زايان كان بالنسبة لموحى أوحمو وقومه إشارة ودرسا رهيبين، فقد أُصيب العدو ليس بفقدان أحسن مقاتليه الذين سقطوا بمجد تحت رصاصنا أو قذائفنا فحسب بل في معنوياته أيضا، إذ بدا واضحا لموحى أوحمو أنه بترديده الدائم لفرار إِيرُومِيِّنْ من خنيفرة وتعريض قومه لخسائر فادحة مثل التي تكبدوها يوم 20 غشت لن يؤدي إلا إلى تقويض هيبته وإضعاف فخْذاته، بينما القبائل المعادية (إيشقيرن وآيت إيحاند، إلخ...) لم تكن ربما تنتظر إلا الإستفادة من مصاعبه للثأر من هزائمها القديمة. هكذا شهدنا تحولا شاملا لموقف زايان الذين أصبحوا فجأة مسالمين ومتصالحين تقريبا، فقد أُلْغِيت الحراسات المعادية حول المدينة وجاء بعض الأفراد للقائنا في واضحة النهار دون توبيخهم لدى عودتهم إلى خيامهم. كما أن طلائعنا لم تعد تجد مراكزها محتلة كما في السابق وباتت فرق أشغالنا تتنقل بكل حرية بل أعيدت الخدمة العادية خارج الجدران، وتوقف إطلاق النار بين الطرفين كما لَو أبرم /186/ اتفاق ضمني، وبات من المُنتظر ربط اتصال وشيك مع غير الخاضعين الذين كانت زراعاتهم على مرمى بنادق المركز، في الوقت الذي نجحت فيه سريتان في تحقيق الربط مع الخلف عبر منطقة كلموس غير الخاضعة دون حوادث.
لكنه قُدر لنا ألا نستفيد من مثل تلك الوضعية الملائمة بسبب قضية لَهْري التعيسة والرهيبة والمؤسفة، والتي كشفت بوضوح عن الهوة التي كانت تفصلنا عن خصومنا وعمّقتها. ففي بضعة ساعات فقدنا المكاسب المعنوية لسنة كاملة من العمل المثابر والمتأنّي وعدة شهور من الصمود الرائع أمام الهجمات المتكررة للعدو، كما كادت المدينة نفسها أن تسقط لولا لَهْفة الأمازيغي للغنيمة وتهافته على الأسلاب التي يمكنه الحصول عليها. ونقدم هنا عرضا لهذا الحادث المؤلم كما عشناه في حينه.
في الأيام الأولى من نونبر وأمام استحالة الإنتجاع في نفس الفترة كما كان الشأن في السنوات السابقة فضلا عن الثقة في السلم السائد، جاء موحى أوحمو ليستقر مع أسرته وأقاربه وبعض المقاتلين بالقرب من قرية لَهْري على بعد 10 كلم جنوب شرق خنيفرة على وادي شْبُوكَا. كان مخيّمُه مكونا من عدة مجموعات من الخيام، لأن كل فرد بارز من أسرته (حسن وآمهروق وأولعايدي إلخ...) تحيط به خيام أصدقائه وأتباعه، بحيث ضم المجموع

300 إلى 400 أسرة تتوفر على حوالي 300 إلى 500 محارب، مختارين بطبيعة الحال من أشجع رجال قبائل زايان وأحسنهم تسليحا.

188/ واعتمادا على المعلومات التي لا ندري بعْدُ مصدرها، وكما قيل أيضا بنوع من اليقين بناء على التوسُّلات المُلحّة لمخازنيَّيْن من خنيفرة كان لهما ثأر شخصي تجاه موحى أوحمو، قرر العقيد لافيردور Laverdure، متجاوزا الآراء الحكيمة لضابطي الإستعلامات المتازين القبطانين راك برانكاز Ract-Brancaz ومارّو Marrot، اغتنام فرصة قرب هذا المخيم في محاولة للقبض على الزعيم الكبير الثائر. ففي الساعة التاسعة من ليلة 12-13 نونبر (1914) استدعى قائد المنطقة قادة الوحدات وعرض عليهم خطة عمليته، ممثلة في مغادرة خنيفرة على الساعة الثالثة صباحا من نفس الليلة في أربع مجموعات ضمت كل واحدة سرية أو سريتين مع مدفعيتها وسرية خيالتها، والتوجه في صمت إلى لهْري ومباغتة الدواوير الزايّانية عند مطلع النهار.

تم تحرك القوات في الظروف المحددة وكانت مفاجأة العدو تامة، إذ استيقظ زايان على دوي إطلاق كثيف للرصاص والمدافع ففروا مذعورين في كل الإتجاهات تاركين لجنودنا كل متاعهم وممتلكاتهم، ولم ينجُ موحى أوحمو نفسه إلا بفضل وفاء ولديه بوعْزّا وباعْدّي اللذين وضعاه بسرعة على فرس وأبعداه على عجل في اتجاه مَزْكوشّنْ، بينما أُسرت اثنتان من زوجاته على يد المخازنييْن سالفي الذكر (عمر مخازني بآغبالا حاليا وباحْسين ابن عمه)، ثم كان نهب الخيام وعمّت الفوضى في صفوف كتيبتنا بينما العدو يتمالك أنفاسه ويستعيد توازنه ويتقوى باستمرار بفضل توافد زايان وإيشقيرن وآيت إسحاق المستنفَرين بسبب القصف المدفعي الصّبَاحي.

189/ وبمجرد إطلاق إشارة الإنسحاب انقض زايّان على جنودنا باندفاع هائج، فتكبدت مؤخرة كتيبتنا التي باغتها عنف الهجوم المضاد خسائر فادحة في رمشة عين، مما اضطرها إلى الثبات في الأرض والتراجع خطوة خطوة نحو معظم الكتيبة التي توقفت لإعادة تشكيل صفوفها في المكان المعروف ب«لَحْرُوشْ» الواقع على بعد 6 كلم من خنيفرة فقط. كان العدو للأسف يزداد شراسة في كل الإتجاهات وتم احتلال خط انسحابنا على يد موحى أوعَقّا ابن أخ موحى أوحمو الذي خَفّ من آقْلاّلْ على رأس آيت خُويَا وآيت بُويشّي وآيت شَارْطْ، فباتت نُذُر الكارثة مؤلمة وشاملة. وفي بضع دقائق ورغم رباطة جأشهم الرائعة تم اكتساح وسحق ضباطنا وجنودنا من لدن موجات من الفرسان والمشاة أتوا حتى من ملوية، فلم يجدوا إلا الموت بشرف وهو ما فعلوه تحت أنظار رفاقهم الباقين في خنيفرة والعاجزين لقلة عددهم عن إغاثتهم دون المخاطرة بتسليم المركز نفسه للعدو.

ثم حدث مشهد لا ينسى مِنْ الوحشية والرعب حين انقضت حشود من الأعداء رجالا ونساء على جثث رجالنا وقاموا بتعريتها وتمزيقها بالخناجر، كما طورد الجرحى لمسافة

اثنين إلى أربعة كيلومترات حتى أسفل جدران قصبة موحى أوحمو بخنيفرة، حيث تم الإجهاز عليهم رغم نيران قطعتي المدفعية بالموقع وبعض الرشاشات التي باتت تشكل التسليح الوحيد للمركز. هكذا تناثرت في واد بوزّقّورْ مئات جثث الشجعان الذين جاءوا إليه بحثا عن الملاذ الأخير، لكنهم لم يجدوا في أشجار الغار الوردية والمزهرة /190/ غير الموت السخيف والفظيع لرجال عُزّل في مواجهة همج متوحشين هائجين[89]...

بينما كانت تجري هذه الأحداث الحزينة في واد بوزقور كان قائد قوات خنيفرة الذي أُبلِغ على الساعة الثانية بعد الزوال فقط بالكارثة التي حلت بالرتل الصغير يتخذ الإجراءات لصد هجوم العدو المحتمل على المدينة، بل حاول الخروج مع سرية مشكلة على عجل من الجنود الكولونياليين جزائريين وسنغاليين، لكنه أمام ضغط مقاتلين آتين من جهة تاغّاطْ (لمرابطين) وآقلال اضطر بدوره إلى ترك عُرف تادلا ودخول المدينة بسرعة. فانعقد مجلس حرب لاستقراء آراء كل الضباط حول أنجع السبل للدفاع عن المركز الذي كبرت وامتدت جدرانه بشكل غير متناسب مع ما تبقى من تعداد الحامية، إذ كان من المناسب معرفة ما إذا وَجَبَ الصمود في عين المكان أو البحث عن حصن ضمن القصبات الملائمة لدفاع جيد. فتم اختيار الحل الأول لتفادي منح العدو إمكانية التغلغل إلى منازل الضاحية. بيد أن زايّان المنشغلين بجمع جثث موتانا وإجلاء قتلاهم وجرحاهم لم يحاولوا القيام بأي هجوم ضد الحامية، وحدهم بعض الفرسان جاءوا يتراكضون أمامنا عن بعد على ضفتي م الربيع سافلة خنيفرة للتأكد من استمرار وجود الحامية. كانت الليلة هادئة وكذا الأيام الموالية، مما أتاح لنا ظروفا جيدة لانتظار وصول رتل دوبليسي الذي كان في الطريق من تادلا نحو خنيفرة حاملا تموينا وإمدادات، وكانت برقية من قائد الموقع قد طمأنته على مصير المركز وقدرته على مقاومة محتملة.

/191/ كلفتنا القضية 33 ضابطا و700 جندي وأربعة مدافع من عيار 75 (لم يتمكن العدو من حملها لكنها خربت)، وأربعة مدافع من عيار 65 و10 رشاشات و700 بندقية وقذائف وخراطيش ودواب كل الوحدات القتالية المنخرطة في المعركة. الوحيدون الذين رجعوا/192/ من الكتيبة هم جرحى الساعات الأولى من المعركة والجنود الذين خفروهم إلى جانب الفرسان الذين انهمكوا في إنقاذ أكبر عدد من الجنود من المجزرة، وقد نجحوا في تقليص خسائرنا بشكل كبير معرّضين أنفسهم للموت مرات عديدة.

بمعزل عن الأرواح البشرية المضحّى بها والمعدات الحربية التي سيطر عليها العدو، فقدنا كما سبقت الإشارة أعلاه كل الفائدة المعنوية لانتصاراتنا السابقة، إذ انمحت ذكرى قضية 20 غشت كليا وخرقنا في أعين زايان وجميع أمازيغ المنطقة هدنة ضمنية مما جعلنا بالتالي نفقد كثيرا من مصداقيتنا.

89 لا حاجة إلى تأكيد تهافت الوصف وانحيازه، فالعزل المساكين هم جنود مسحلون باغتوا مخيم زايان في لهري قبل ذلك بساعات، وحين التقط هؤلاء أنفسهم وحملوا على المهاجمين وكبدوهم خسائر فادحة باتوا همجا متوحشين. (المترجم)

أما العدو فتكبد من جهته خسائر هامة في الرجال (حوالي 400 رجل كما قالت الأخبار الأولى)، ولحق موحى أوحمو عارُ أَسْر زوجتيه على يد زايّانين مثله انتقلوا إلى خدمة النصارى، لكن الإنتصار الساحق عوّض كل الآلام فضلا عن أن وحدة القبائل صُهرت من جديد بالدم في مواجهة العدو المشترك.
وصلت أرتال الإغاثة يومي 16 و17 نونبر وانتقلت منذ 18 منه إلى مكان المعركة لدفن موتانا بشكل لائق والقيام باستعراض قوة فيما وراء لهْري. خلال هذه العمليات اجتمع العدو الذي كان يخشى انتقاما عنيفا/193/ في مرتفعات مَزْكوشَّنْ متأهبا للدفاع عن خيامه إلى آخر نفس، لكنه لم يحاول القيام بشيء ضد طلائعنا المتقدمة التي تم الدفع بها مع ذلك إلى ملتقى واد سْرُو وواد شْبُوكا في سهل تِيزْمُّورِينْ.
بعد أيام قليلة تمت مبادلة جثامين العقيد لافيردور وخمسة ضباط آخرين كان قد احتفظ بها موحى أوحمو بالمرأتين الأسيرتين، كما استُبْدِلت حامية خنيفرة جزئيا وقفلت الأرتال راجعة لتعود خنيفرة إلى عزلتها.
هذه رواية أمينة لهذه القضية المؤسفة بقدر ما سمحت به ذكرياتنا وحدها. واعتبارا لعدم اختصاصنا في مقاربة مسألة المسئوليات ولا إصدار أحكام على الطريقة التي تمت بها العملية، فقد تعمدنا استبعاد كل ما قد يُؤوَّل على أنه انتقاد، لكننا سنغتنم مع ذلك الفرصة للتنويه برباطة جأش رؤسائنا آنذاك (المارشال ليوطي والجنرال هنريس والكولونيل كارنيي دوبليسي)، والذي بدونه كانت وضعيتنا في البلاد معرضة لمخاطر جدية.

من 13 نونبر 1914 إلى 20 دجنبر 1919. انضمام حسن وآمهروق ولدي موحى أوحمو- خضوع بوعزا-اغتيال القبطان طاياد على يد ميعمي ولد الفاسية الإبن الآخر لموحى أوحمو- الصراع بين حسن وأولعايدي- الشريف مصطفى- خضوع أولعايدي.

بعد عرض غنائمه على كل الجبل الثائر وإبلاغ خبر /194/ انتصاره المدوّي إلى الزعماء البارزين في بلاد العصيان تذكر العدو موتاه وهدأ، كما أن موحى أوحمو نفسه الذي كان يتلقى كل صباح خبر وفاة رجل أو أكثر من جرحاه غير المعالَجين جيدا لم يعد يفكر إلا في إعادة تنظيم قبائله لكي يصمد أطول مدة ممكنة وانتظار هزيمتنا في فرنسا في أحسن الأحوال، ذلك أن هذه الهزيمة الكفيلة بإجلاء قواتنا من البلاد قد أبلغ بأنها أكيدة ووشيكة بفضل مناشير الألماني هيرمان Herman من طنجة، وبالتالي رأى أنه من الضروري أن يعيد أولا لشعبه المكون من الرعاة استغلال آزَغَارْ نظرا لظروف الشتاء وانعدام الكلأ في قمم الجبال. لهذا الغرض جمع لَجْماعات المعنية وأثبت لها أن مراكزنا لم تعد خطيرة لأن مآل قضية «الجمعة» (لهري) يحول دون أي خروج طائش من جديد،

كما أقنعهم بضرورة سَوْق قطعانهم إلى الضفة اليمنى لام الربيع فيما بين النقاط التي نحتلها نحن مهما كلف الأمر.

فتم حينئذ تقسيم المنطقة الحرة من مجال الرعي بين القبائل فضلا عن مجازات النهر، وشكلت ثلاث مجموعات كبيرة حُسبت قوتها بشكل يتيح لكل واحدة الدفاع عن نفسها بإمكانياتها الذاتية بفعالية في حالة التعرض للاعتداء. كان على المجموعة الأولى المكونة من آيت بُومَزّوغْ وآيت بُومَزِيلْ وآيت عَمُّو عيسى وآيت خُويا وآيت بُويشّي وآيت عْلاّ وآيت مايْ[90] اجتياز النهر في مجازة آساكا في عالية البرج والإنتقال إلى شمال وشرق كلْمُوسْ. أما المجموعة الثانية المشكلة من آيت شارْط وآيت بُوهُو وآيت لحسن وآيت حدّو أُوحمو وإيحَابَارْن وإيمْزِينَاتْن وآيت يعقوب أوعيسى (هؤلاء من إيشقيرن)، فكان عليهم المرور من/195/ مجازات تاجْموت والإنتشار في منطقة بوعْرَارْ وسيدي عْمَرْ، وأخيرا ضمت المجموعة الثالثة آيت إسحاق وآيت بوحدو وآيت حماد أوعيسى (هؤلاء الأخيرين من إيشقيرن) وكان عليها المرور بمجازة خلاّدَا وسَوْقِ قطعانها إلى نواحي جبل الحديد بحذاء آيت مْ لْبَخْتْ وآيت وِيرًّا.

يتضح من خلال تكوين المجموعات السالفة أنه تم إخماد النزاعات القديمة، كما أنه بحسم هذه المسألة الأساسية أمْكَن لغير الخاضعين أن يعتقدوا بحق أنهم نَجَوْا، فلم يعيروا اهتماما لاستقرارنا بخنيفرة وسيدي لامين وكلموس ما دام يتعذر على حاميات هذه المراكز الخروج وبإمكان الأغنام أن تعيش.

أما المجموعات العسكرية المتنقلة التي يمكن أن تتكون في تادْلا أو مْرِيرْتْ فإن رقاصين مختارين وموضوعين تحت العناية الأخوية لخاضعي بْجَّعْدْ (أبي الجعد) أو آيت مْكيلْدْ كانوا يراقبونها عن كثب ويبلغون عن أي تحرك تقوم به، زد على ذلك أن الأرتال القادمة من تادلا تثير غبارا كثيفا لدى مرورها يجعل رؤيتها ممكنة من كل قمم الجبل ويلغي إمكانية المفاجأة. هكذا استقرت هذه الوضعية الجديدة بدون قلق وساد الهدوء سنتين لم يتم خرقه بين الفينة والأخرى إلا بشن اعتداءات على منعزلينا أو كتائبنا الذاهبة لتموين خنيفرة، وكان العزّابة يُخْلُون المسالك عند اقتراب الأرتال ثم يعودون بمجرد اجتياز آخر العناصر مرحلة لكرَارْ.

لكننا لاحظنا استياء أكيدا لدى الخصم سنة 1917، فضلا عن ذلك وأمام إصرارنا على البقاء في خنيفرة اندلعت المنافسات حول القيادة في صفوف زايان وأفضت إلى النزاع بين حسن وآمهروق ابني موحى أوحمو من جهة /196/، وأولعايدي ابن أخيه وخليفته من جهة أخرى. فتشكلت شُلَلٌ بهذا الصدد أدت إلى إحداث أول تصدع في كتلة العدو، وبما أن الحرب الداخلية باتت حتمية فإن حسن الراغب في ضمان دعم قوي عرض علينا

90 عربنا إسم القبيلة كما كتبه كنون، ولكن اسمها قد يكون آيت مايت.(المترجم)

صداقته، بينما صمم أولعايدي الذي حاول دون جدوى إثارة اهتمام مركز إيتْزَرْ بمصيره على الإتصال بالألمان الذين اعتبر انتصارهم في أوربا وشيكا.
في نفس الفترة تقريبا وقع حدثان سيؤثران بشكل كبير في سياسة زايّان: خضوع بوعْزّا ابن موحى أوحمو وأخ حسن مع أسرته وخدمه بخنيفرة من جهة، ومن جهة أخرى قيام مِّيعْمِّي ولد الفاسية، الآخ الآخر لحسن والذي استقر لدى آيت إسحاق والمهدد بالموت بسبب اتهامه بإقامة علاقات جيدة مع رئيس مركز سيدي لامين، قيامه باستدراج هذا الأخير إلى كمين واغتياله غدرا وبجبن هو وأفراد حرسه القليلين. لكن في الوقت الذي أعرب فيه حسن عن لامبالاة تامة تجاه بادِرة بوعزا فإنه أعرب عن شجبه القوى لفِعل ميعمي الذي جلب العار للأسرة. ومنذئذ أصبح مواليا لقضيتنا في أعين معظم القبائل بل اتهم بكونه المحرّض على خضوع بوعزا غير المنتظر، فكان ذلك إلى جانب دعوات أولعايدي وراء إعلان الحرب ضده وضد أبيه الذي زكى موقفه.
كانت هذه الحرب طويلة ودموية، إذ استعر الإقتتال بدون توقف وبشراسة طيلة سنتين تحت أنظار النساء للتنويه بالشجعان والسخرية من الجبناء والمهزومين، وتعرض البلد لتخريب شامل /197/ وحوصرت كل القصور بالتناوب، فسقطت حينا واستُرجعت أخرى وأُحرقت ثم رُمِّمَت. واحتُلّ آقْلاّلْ مقر سكنى حسن لبضع ساعات من قبل أعدائه آيت عْلاّ، كما سُلّم جنان إيمس حيث كانت توجد ممتلكات أولعايدي إلى حسن وآمهروق على يد أحد المدافعين عنه (ادريس) والذي لا يزال يعاني إلى اليوم من خيانته. كما سلم خائن آخر (ابراهيم نْ حَدّو نْ حْليمة) تامْلاّوْكْت لأولعايدي، لكن هذا الأخير اضطر إلى إخلاء القصر ليلا تحت حماية مزراك بعد أن استخدم آمهروق ضده مدفعا من عيار 65 غْنِم في لهري وحوالي عشرين قذيفة وفرها له مكتب خنيفرة. وفي نهاية المطاف وأمام انهزامه إثر كل معركة وتخلي أنصاره عنه وانتقالهم بالتتالي إلى صفوف المنتصرين، اضطر أولعايدي إلى اللجوء لدى آيت يعقوب أوعيسى وآيت بوحدو على الضفة اليسرى لسّرُو، وهناك حاول تجنيد أنصار جدد بتوزيع أموال حصل عليها من طنجة وبتقديم ابنته زهرة هدية لكل القبائل التي توسل مساعدتها، لكنه اصطدم برفض قاطع ومتكرر تركه حائرا وعاجزا، في وقت انتهت فيه حرب أوربا بانتصارنا ومن ثم بات مؤكدا أن أعداءه وحلفاءنا المحظوظين سيحققون فوزا مضاعفا.
في تلك اللحظة (كنا في بداية غشت 1919) استُغِل الإرتباك السائد في الأذهان وبرز فجأة شريف مزعوم باسم مولاي مصطفى ادعى أنه حل محل إيمَحْزّانْ الخونة، بعضهم لصالح الفرنسيين والآخرين لصالح الألمان، لقيادة المسلمين إلى النصر الأكيد ضدنا. والحقيقة أن هذا الشخص كان مجهولا تماما لدى زايان وفي الدير ومظهره غير جذاب إذ كان مقملا وقذرا، لكن أمازيغيينا قوم سُذّج حين يتعلق الأمر بمثيري الفتنة ولا يعيرون

اهتماما كبيرا لبعض العيوب، بل إن كل واحد من هذه العيوب قد يكون بالذات دليلا على البركة الإلهية، لذلك استقبلوا وليّهم الجديد كمُحرِّر مُحتمَل وهبُّوا لتلبية ندائه مكونين حوله تَازْمّالْتْ هائلة في قصر وَاجِّيوِنْ أولا ثم في فَوّارًا على واد شْبُوكَا، وعلى مدى أكثر من عشرين يوما انخرط الناس في المخيم في الصلوات بخشوع وفي كل أصناف الطقوس ووجهت تهديدات رهيبة بالإبادة لحامية خنيفرة، بل جرى الحديث عن سحقها دون رحمة بمجرد نفخة للشريف تجاهها، ولكن دون القيام بأي فعل، بل إن مولاي مصطفى الذي كان دائما يعِد أتباعه بأن المدافع والرشاشات والبنادق ستخرس أمام مقاتليه المتحمسين، كان يعيدهم كل مرة إلى المعسكر بدعوى أن الوقت لم يحن بعد وأن «الخبز لم يُطْه بما فيه الكفاية».

غير أنه إذا كان هذا الموقف الحذر ملائما للحرْكة العاطلة ولرئيسها المتردد فإن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة لرجالنا في خنيفرة الذين كانوا في حالة استنفار دائمة منذ أسابيع عديدة وباتوا يتوقون إلى الراحة. لذا تمت المناداة على حسن وآمهروق وطُلب منهما أن يفعلا شيئا لجعل المحرّض ينفذ هجُومه أو يفرّق تازْمّالْت المحتشدة، غير أن ابني القايد اعتبرا نفسيهما متورطين كثيرا في أعين المقاتلين المجتمعين لكي يقوما بهذا المسعى بنجاح، فاقترحا بالمقابل حشد أنصارهما وجعلهم يمتزجون بأنصار الشريف بشكل يكون لهما نصيب في إدارة العملية وتوجيهها وفق رُؤانا، لكنهما لم يخفيا أن هذه الطريقة في العمل تكتنفها /199/ مخاطر أكيدة، لعدم التأكد من أن اصدقاءهما سيوافقون على التخلي عن الشريف وعن إخوانهم في أوج معركة ضد النصارى. لذا تخلينا عن دعمهما بهذا الشكل وأبلغناهما بذلك في رسالة مؤرخة بـ 16 غشت تضمنت شكرهما بحرارة على ولائهما الصريح والمستتير.

ظلت الحالة إذن على ما هي عليه مهدِّدة بأن تدوم طويلا مع ما يشكله ذلك من محنة بالنسبة للحامية، حين تبادرت إلى ذهن بوعزا ولد موحى أوحمو الذي منحناه قيادة بعض الجيّاشة الذين جندهم بنفسه فكرة جهنمية. بما أن الشريف يعزف عن الهجوم فإنه غير واثق من بَرَكته، والحال أن الثقة في هذه البركة بالذات هي التي تُبقي المقاتلين ملتفين حوله، ألم ينجح في إقناع قومه بأن شخصه مقدس إلى هذا الحد وأن كل يد ترتفع لضربه ستشل على التو؟ ألم يُذِع بين الناس في المعسكر بأن فرسه يحظى بنفس العناية الإلهية؟ كان من السهل إذن إثبات وقاحة وكذب غروره وتسفيهه، فتم تكليف المدعو لَحْسَنْ أُوعْكّي بالعملية وهو أحد أشهر قطاع الطرق في المنطقة وبات واحدا من أشجع إِيجّيّاشْن لدى بوعزا. فحوالي 20 غشت ذهب ليلا إلى معسكر الحرْكة مصحوبا باثنين أو ثلاثة رفاق لمساعدته في الدفاع عن نفسه في حال فشل المهمة، فاستغل نوم المقاتلين ليستولي على فرس الشريف وأتى به مظفرا إلى خنيفرة. ورغم أن الحدث كان له وقع كبير واستُغِل

بذكاء في خنيفرة فإنه لم يكن كافيا ولم يفقد الشريف أي واحد من أتباعه، فكان ينبغي إذن التفكير من جديد واستهداف شخص مولاي مصطفى، وعليه قام لحسن أوعكي نفسه مصحوبا /200/ بنفس رفاقه الذين انضم إليهم بوعزا شخصيا بالتسلل مرة أخرى يوم 28 غشت إلى معسكر الحركة، وتحت طائلة أسره وسَحْله من لدن حشد المحاربين الذين استيقظوا مذعورين، رمى لحسن أوعكي خمسة أو ستة قنابل يدوية على خيمة الشريف الذي كان يغط في نوم عميق. وكما هو متوقع كانت الصدمة في أوجها ليلا وساد الإعتقاد أن لهري جديدا يحدث، وكان مولاي مصطفى نفسه الذي نجا من الموت بأعجوبة هو من أعطى إشارة الفرار المضطرب، بينما عاد جيّاشنا (لحسن أوعكي) الهادىء والشجاع نحو رفاقه القلقين والمتأهبين لحماية انسحابه. وقيل إن المحرض ألقى بنفسه في واد سّرو بثيابه ليبتعد سريعا عن مُتناول «الرتل»، كما قيل أيضا أنه عومل بخشونة من قبل أتباعه الذين استهزأوا به بدون رأفة. على كل حال تخلصت خنيفرة أخيرا من جيرانها المزعجين وفقد غير الخاضعين أمل طردنا من بلاد زايان مرة أخرى.

غير أن هذه الهزيمة السخيفة لحرْكة الشريف لم تقتصر نتائجها على منحنا السلم ونزع كل هيبة عن مولاي مصطفى فحسب، بل مست أيضا الآمال الأخيرة لمهزوم حسن: أولعايدي، ذلك أن هذا الأخير الذي منّى النفس بالإلتحاق بحركة الشريف ثم الحلول محله على رأس زايّان خاب أمله نهائيا في الحصول على أتباع كثيرين وأوفياء في البلاد غير الخاضعة، لقد كان من بين أصدقائه آيت يعقوب أوعيسى وآيت حماد أوعيسى وآيت بوحدو، لكن هذه القبائل المحاطة بآيت إسحاق وإيمزيناتن وزايان الموالين لأعدائه لم تبْدُ له في مستوى دعم صراع يدوم مدة ما. ثم إن نفس هذه القبائل وبسبب النصائح السيئة لأوليائها أبناء سيدي علي آمهاوش وسيدي محمد /201/ بن الطيبي أعربت عن تعبها من الحرب وعدم حماستها لفكرة مواصلة الكفاح تحت راية واحد من إيمْحْزَانْ، فكان ينبغي التفكير إذن باستعجال في حل أمام استحالة الصراع المسلح ضد حسن المدعوم بقوة من طرف الفرنسيين، وبات من الملائم دراسة ما إذا كان الحل الأمثل بالنسبة لأولعايدي هو الذهاب للقاء هؤلاء الأخيرين والخضوع لهم، لكي يتمكن من مواصلة المعركة بالتآمر في المكاتب نفسها. فاستدعى أولعايدي أصدقاءه الموثوقين خصوصا سعيد أُوموحى أُوحدو من آيت يعقوب أوعيسى(آيت مَسّانَا) وأبلغهم خلاصة تأملاته، وباتفاق معهم كتب في 20 أكتوبر 1919 لرئيس مكتب خنيفرة يطلب منه الإذن بالمثول أمامه في أقرب الآجال. شهرين بعد ذلك أعلن خصوعه بدون شروط بعد أن تعرض لغارة على يد إيمزيناتن وإيشقيرن آخرين، وقد اصطحب معه 120 أسرة من أصول متباينة شكلت محيطه وبطانته المباشرة كانت تعيش مثله في عوز مطلق.

بوضع حد لحالة الحرب التي عزلت خنيفرة منذ مدة، طرح خضوع أولعايدي متبوعا بالإنضمام العلني لحسن وإخوته مسألة التنظيم المقبل للقبائل في البداية ثم مسألة توزيع القيادات الأهلية، وقد حسمت المسألة الأولى فعلا منذ مدة بقبول التعاون الثمين لإيمحزان سنة 1917. كان الجميع متفقا مع الجنرال هنريس على أمل تأسيس نظام أقل استبدادا في بلاد زايان ووضع حد للطغيان المقيت لهذه الأسرة، إذ كان الرأي العام الشعبي والحرص على سمعتنا يتطلبان ذلك قطعا. غير أنه بدا واضحا اعتبارا لفائدة استغلال سلطة حسن وآمهروق لصالح قضيتنا في تلك الظروف العصيبة أنه من غير المعقول إبعاد هذه الشخصيات لحظة توزيع الأمجاد بذريعة تلك الطرق «اللاديمقراطية» نفسها التي أتاحت لهم صرف النشاط العدائي لإخوانهم عنا طيلة سنتين، وبالتالي لم تسْعِف الأخلاق ولا متطلبات عملنا السياسي اللاحق ذلك. ثم إننا لا نستطيع إغفال أن القبائل التي لا تعير أي أهتمام لعملنا المنقِذ والمحرِّر كانت قد تقاتلت لسنوات من أجل أسيادها المتنازعين حول عطاياها وغنائمها.

لذا تقرر أن تُعْهَد قيادة القبائل لزعمائها القدامى شريطة أن تستعيد لَجْمَاعات التي ألغيت سلطتَها وكامل سيادتها تحت مراقبتنا، وبقي تحديد نصيب القيادة المخصص لكل واحد من الأعضاء النافذين في أسرة موحى أوحمو، وهي مهمة في غاية الحساسية.

كنا نتوفر في شخص حسن وآمهروق حليفينا في الأوقات العسيرة على المرشحين المثاليين لقيادتي زايان اللتين سبق أن وعدا بهما كمقابل أدنى لولائهما، لكن انضمام ودخول أولعايدي والخلخلة العميقة التي أحدثها في الوضعية السياسية المحلية شكلا عوامل جديدة /203/ كان يجب أخذها بعين الإعتبار. صحيح أن أولعايدي لم يعد يشكل خطورة لكن المآلَ متقلبٌ في البلاد الأمازيغية، ويبقى التوجس من أن ينقلب علينا ويعيقنا بجد عند





آمهروق ولد موحى أوحمو

تقدمنا في الدير الذي عاد منه. على كل لم يحمل لنا أكثر من الوعد القاطع/204/ بخضوع أصدقائه آيت بوحدو وآيت يعقوب أوعيسى وآيت حماد أوعيسى. وأخيرا فإن آيت عمو عيسى وآيت ماي وقسم كبير من آيت بومْزّوغ الذين كافحوا في الغالب ضد موحى أوحمو وأبنائه لم يخفوا ميولهم تجاه خصم أعدائهم. فكان من الملائم إذن تأخير التنفيذ دون إغفال الإلتزامات الصريحة والضمنية تجاه حسن وآمهروق، والثقة بشكل كبير في أولعايدي لمنحه إمكانية إبراز مستوى دهائه السياسي وسلطته بمناسبة الحملة التي كانت على وشك البدء.

غير أنه في البلاد الأمازيغية وخصوصا في هذه المنطقة ذات الأحقاد العنيدة لم تكن مثل هذه السياسة مقبولة، فقد حاولنا بالفعل مصالحة الخصوم القدامى باستحضار قرابتهم بالأخص وإثبات النفع الكبير الذي يمكن أن نجنيه سويا من تعاون مخلص بينهم لكن دون جدوى. فمقابل النية الحسنة لحسن وآمهروق المتأكدين من وفائنا للكلمة الممنوحة، كان أولعايدي يعترض دائما بالجرح الغائر لاختطاف أبناء القايد لإحدى نسائه ورغبته في الحصول على قيادة لدى زايان بالذات. إذ كان يقول: «لقد جئت إليكم لأعيش حرا ومكرّما في بلدي وليس لدى آيت بُوحدّو أو إيشقّيرن الذين لا تربطهم بي قرابة. إنني لا أطلب إلا عودة زوجتي إلى خيمتي وقيادة قبائل زايان التي ترغب في شخصي»، ويضيف ناسيا حيثيات خضوعه أنه «لولاه لظل حسن وآمهروق في الجبال يُراوِغَاننا ويُخَادِعَانِنَا مثل القِردة».

لذا شهد مكتب خنيفرة كل يوم /205/ مشاهد مُفجعة، إذ كان المتصارعون يأتون لإفراغ نزاعاتهم وخلافاتهم فيه بتبادل الإتهامات والوشايات بخصوص كل شيء ولا شيء. ففي أحدى الليالي حضر أولعايدي نفسه لإيقاظ رئيس المكتب في الثانية صباحا لينصحه بشكل غامض بتعزيز الحراسة حول المدينة «لأن حسن خطط لمهاجمتنا تلك الليلة بالذات ليستولي على مدافعنا». وفي يوم آخر قام نفس الشخص بإرسال بِغاله إلى كموس للتزود بالسميد وأوعز لأصدقائه آيت مايْ بمهاجمة القافلة، بهدف وحيد هو أن يثبت لنا أن حسن المسؤول عن الأمن لا يقوم بواجبه. وكانت لجماعات القبائل المتسلية بالصراع الخفي الذي كان يدور أمام أعينها لسعادتها المزعومة تسعى بين الطرفين ولم يتم الإعتناء بها ورعايتها بشكل أفضل قط. أما مغنو «آحيدوس»، هؤلاء الصناع الكبار للرأي العام، فاهتموا بدورهم بالموضوع مسببين أحيانا ببذاءاتهم في اندلاع عراك خطير بين أنصار الفريقين، بل تم تبادل إطلاق النار كل ليلة بين الدواوير العدوة، فبات مستحيلا العمل بجدية وفقدنا بسبب ذلك ثلاثة أشهر ثمينة في لَغْو عقيم ولامتناهي عوض توجيه نشاطنا لضم القبائل التي كان كل واحد من الخصوم يدعي أنها مستعدة للمجيء إلينا تحت كنفه وحمايته.

غير أن القيادة لم تبق مكتوفة الأيدي، فعلاوة على وضع خطة عمليات واسعة للتنفيذ في الربيع بشكل يتيح لنا السيطرة على أعالي م الربيع ومجال الإنتجاع، أمرت في 28 يناير بتنفيذ هجوم عنيف للأنصار (البرطيزة) ضد عَزّابَة لمرابْطين وآيت سكوكو وآيت عبدوس المخيّمين شمال مريرت. وعلى إثر العملية التي شارك فيها ثلاثة آلاف فارس من قبائل زمور وكروان وأربع طوابير كوم /206/ تحت إمرة ضباط الإستعلامات، تم طرد العدو نحو جنوب مريرت وتكبد زيادة على خسائر فادحة في الأرواح أسر ستة آلاف رأس من الأغنام وسبعمائة رأس من البقر ومائة من الخيول والبغال.

وفي خنيفرة تم رفع تعداد كيشْ بوعزا إلى ثلاثين فارسا عمل المحارب الشاب بفضلهم بالنجاح الذي نعلمه على استعادة المدينة لأنفاسها، بمطاردة الحوّامِين في مخابئهم والقطعان في مراعيها الباكرة. وأخيرا كان آيت عمو عيسى سبّاقِين إلى إدراك أن وقت اتخاذ القرارات قد حان، فجاءوا للإستقرار في خنيفرة التي أزاحوا عنها ملامح المدينة المحاصرة، بينما أعلن آيت بومزيل وآيت شارط وآيت لحسن أُوسعيد وقسم من آيت بومزوغ، وكلهم أصدقاء لحسن وآمهروق، عن انضمامهم إلى جانبنا وإلى جانب أبناء القايد.

بالمقابل لم يَكُفّ أصدقاء أولعايدي من قبائل الدير وآيت بوحدو عن إتعابنا بمظاهر الصداقة وبوعود الخضوع، بينما ظل محاربوهم يهاجمون قوافلنا ومنعزلينا وواصلت دواويرهم الإقتراب من واد سرو استعدادا لاجتيازه بمجرد الإبلاغ بأرتالنا.

وأخيرا احتلت الفرقة المتنقلة بويميرو Poeymirau الآتية من مكناس تاقّاتْ نْ أُوشّانْ في 18 أبريل وأقامت فيها مركزا يتحكم في وادي م الربيع ومجازاته، بينما كانت الفرقة المتنقلة تيفني Theveney القادمة من تادلا تراكم المؤن في خنيفرة في وقت كانت البلاد الثائرة تستعد وتتسلح من أجل المقاومة، إذ تم الإبلاغ بحشد أربع «تيزَمّالِينْ» حرب ضخمة في المنطقة جنوب خنيفرة: في زاوية آيت إسحاق وحَضْري ومَزْكوشْنْ وعْمِيرًا، وتكونت تازمالت الأخيرة في أغلبها من آيت شارط (حِلْف حسن) الذين/207/ سبق أن أعلنوا انضمامهم ولكنهم نَقضوا التزاماتهم في آخر لحظة «لكي لا يمنحوا بلادهم للنصارى دون أن يضحوا في سبيلها ببعض الجثث على الأقل».

أمام هذه الوقائع التي كانت تنذر بمقاومة خطيرة، تم تعديل خطة العملية التي وضعها المقيم العام والقاضية بالإحتلال المتزامن لزاوية آيت إسحاق والبرج من لدن الفرقتين المتنقلتين العاملتين بشكل منفصل، إذ خرجت الفرقتان المجتمعتان معا من خنيفرة في 2 ماي بقيادة الجنرال بويميرو لاحتلال الزاوية وتكللت العملية بنجاح باهر، كما أن العدو الذي لم يعلم تماما وجهة هجومنا واطمأن بسبب طول مدة التموين قد ترك بلدة آيت إسحاق بدون حماية لأن المدافعين عنها تفرق من أجل جني المحاصيل. كانت الخيام

تغطي سهول تِيغَسّالِينْ وتِينْغَرِيتْ وتِيبْجِيرِينْ وبُوحارًا ووَاوْمَانًا على طول الدِّير، إلا أن صوت محركات الطائرة التي كانت فوق البلد منذ الفجر أثار انتباه الثوار غير الخاضعين فسارعوا إلى القتال لتأمين هروب المخيمات والقطعان نحو الجبل.
وقع الإشتباك الأول في مقدمة رتل تيفني وعلى جناحه الأيسر أثناء السير على هضبة آقِيصَارِي بناحية تل تُورْكِيلاَلْ الذي تم اختياره لإقامة المركز المقبل وكان هدف الزحف. ومنذ الطلقات الأولى فقدنا قتيلين (مخازني وفرد من اللفيف الأجنبي)، لكن أنصارنا الزايّانيين الذين اشتدت عزيمتهم برؤية الزاوية والأمل في الحصول على غنيمة جيدة وبتأطير من مخزن بوعزا، اندفعوا/208/ نحو بعض فرسان آيت إسحاق الذين تجرأوا على اجتياز واد سرو ودحروهم مرغمين إياهم على ترك 28 جثة على الأرض.
أما آيت بوحْدّو وإيشْقّيرْن المجتمعين في تيغسّالين وحضْري فأسرعت جموعهم نحو جبل بُوكركورْ ملتحقين بزايان الذين أتوا من جبل عْمِيرًا، لكنهم تعرضوا لقصف عنيف من لدن الطيران الحربي ووحدات من فرقة بويميرو المرابطة كحرس جناح ثابت على الجبل، فلم يتأخروا عن التراخي. وفي الساعة الثانية بعد الزوال احتل تل تُوركيلاَلْ المشرف على الزاوية من لدن رتل تيفني، بينما كان رتل مكناس يضع في تاجّمُوتْ تصميم مركز مرحلي بين خنيفرة وآيت إسحاق.
لم يكلفنا اليوم إلا خسائر طفيفة بفعل العدو لأن قنبلة طائرة مشؤومة قتلت لنا أربعة عشر من الأنصار العرب بينما اضطرت القبائل إلى ترك أكثر من أربعين جثة على الأرض.
إثر بداية أشغال بناء المركز استأنف أولعايدي المباحثات مع آيت يعقوب أوعيسى وآيت بوحدو الذين كانت خيامهم ومزروعاتهم على مرمى ركض فرساننا، إلا أن هذه القبائل التي طمْأَنَها التسريح الفوري لأنصارنا المجندين لم تعر أي اهتمام لنداءاته، ولم نحصل إلا على خضوع ثلاثة وخمسين خيمة من آيت بوحدو كان يجب إجلاؤها ليلا، بينما تمكن آيت يعقوب أوعيسى بفضل صديقهم من الحصول منا على هدنة أربعة أشهر أتاحت لهم جني محاصيلهم تحت أنظارنا وحمايتنا.
وفي الأخير غادرت الفرقة المتنقلة المنطقة مقتفية أثر فرقة مكناس التي ذهبت لتأسيس مركزي أولراس والبرج، تاركة بآيت/209/ إسحاق سريتين وكوم ومائتي خيمة زُعِم إنها لأولعايدي (الحاشية القديمة وآيت بوحدو) تحت قيادة رئيسها الذي سُمح له بجني محاصيل آيت إسحاق، شريطة نسيان خنيفرة شيئا ما وتكريس الجهود لجذب قبائل الدير.
كان ذلك للإسف من باب طلب المستحيل، إذ لم يكن لصاحبنا (أولعايدي) بعد أن اغتنى ببضعة تلاليس من الحبوب من هَمّ إلا العودة إلى خنيفرة حيث كان سينتصر أعداؤه. أما القبائل الواجب إخضاعها «فكان على أسلحتنا إن تفعل ذلك». وشيئا فشيئا ابتعد

عن شؤون المركز، وفي أحد الأيام استغل ضعفنا وكان في ذلك ضياعه حين نقل أتباعه وحشدهم إلى جواره بخنيفرة في دوار ضخم أطلق عليه حسن وآمهروق بسخرية اسم «تازمّالت نْ السّمِيدْ» إشارة إلى المؤن التي كنا نزوده بها.

العمل السياسي خلال 1920–1921. إرسال أولعايدي إلى الإقامة الجبرية– وفاة موحى أوحمو– خضوع زايان

إثر عودته إلى مركز آيت إسحاق حيث رفض أن يستقر، لم يتمكن أولعايدي من فعل شيء آخر غير استئناف مكائده ضد أبناء القايد المنشغلين كثيرا آنذاك بإجراء محادثات مع لجماعات الزايانية غير الخاضعة الحائرة والعاجزة أمام نجاحاتنا الأخيرة. لقد حرص أساسا على تجنيد جيش من إِرْقّاصْنْ (المخبِرين) مكلفين بإطلاعه على كل ما كان يجري ليس في البلاد الثائرة فحسب، بل في قصور آقْلاّل وجْنانْ إِيمّسْ حيث يقطن منافسوه، ليُغرق المكتب من جديد باتهاماته/210/ ووشاياته. فإذا زارت لْجْمَاعْت ما حسن بشأن أمور تنظيمية يبادر إلى لقائها لدى رجوعها بدعوتها إلى بيته ويذبح خرفانا على شرفها، ويتمكن غالبا من إقناع أحد أعضائها بمرافقته «لدى الفرنسيين» «لإبداء الإستغراب من أمر أصدره حسن» و«إعلان أن القبيلة لا ترغب فيه»...إلخ. وإذا جاء ثوار غير خاضعين سرا للقاء آمهروق في قصره بجنان إيمس فإن أولعايدي ينتهز الحدث على التو ليعطينا بشأنه تفاصيل كثيرة مضيفا دائما أن «أمهروق يتآمر مع غير الخاضعين ضدنا».

باختصار، إن أولعايدي فقد صوابه أمام آفاق القوة الجبارة لأعدائه في بلاد زايان وخشية نفيه كعامل أو باشا ببلاد إيشقيرن، فلم يترك فرصة دون أن يفتري ويدلس، دون إغفال التذكير في كل زيارة له أنه منحنا واحدا من أبنائه (عْلِي أُوعَرّفَا الذي قتل في سن الثالثة عشر يوم 18 أبريل في معركة البرج حيث صحبه أبوه ضد أوامرنا).

ومهما يكن، واصل أبناء القايد التفاوض والعمل مما أسفر عن دخول ألف وأربعمائة وستين خيمة إلى خطوطنا منذ نهاية ماي، أغلبها من القبائل التي توجد مضاربها أساسا في الضفة اليمنى لامّ الربيع (آيت عمو عيسى وآيت شارط وآيت لحسن أُوسعيد ...إلخ).

ومن جهة أخرى انضم إلينا آيت بومْزِيلْ الأوفياء كليا لآمهروق والقاطنين في بلاد جد جبلية مكسوة بالغابات وفي تماس مع البلاد الثائرة، مما امتدت معه تغطيتنا الأهلية دون حاجة إلى عملية أخرى غير التي مكنتنا من التحكم في مْ الربيع إلى عمق خمسين كلم داخل بلاد زايان على الضفة اليسرى، فشكّل آيت بومزيل /211/ سهما مخترقا المجال بين آيت لحسن وآيت بومزوغ الأعداء.

لم يكن بالإمكان الإحتفاظ بهذه الوضعية خلال فترة انتجاع الشتاء دون تعريض أصدقائنا

في الجبل لخطر نهب قصورهم أو حرقها أثناء غيابهم، فقررنا تسريع الأشياء لاتخاذ ما يلزم من إجراءات دفاعية على الأرض. من ناحية أخرى بات ضروريا أمام اتهامات أولعايدي المتكررة ضد حسن وآمهروق إحداث تمييز واضح جدا بين العناصر الخاضعة وغير الخاضعة حتى يتسنى لنا إحصاء أصدقائنا، فصدر الأمر إذن إلى قواتنا المساعدة بحظر السوق المحاذي لجنان إيمس على غير الخاضعين واعتبار أنفسهم في حرب مع هؤلاء. وقد تم إبلاغ هذا الواقع الجديد إلى الثوار غير الخاضعين في 23 غشت بواسطة إعلان أذاعه آمهروق في السوق فكان ذلك بمثابة إعلان حرب.

هكذا قامت حرْكة قوية مكونة من إيمزيناتن وآيت يعقوب أوعيسى وآيت بوحدو بمهاجمة آذخسان في 3 شتنبر واستولت على 12 ثورا، وبمجرد إبلاغ حسن وآمهروق سارعا لمطاردة الحرْكة حتى واد سرو مدعومين بمخزن خنيفرة (بوعزا) وقتلوا لها إثني عشر رجلا وخمسة عشر فرسا.

وفي 7 شتنبر بادرا مجددا بالهجوم مرغمين مخيمات الأعداء على إخلاء منطقة تيغسالين والتفكير في إخلاء لقباب. هكذا تمت القطيعة مع إيشقيرن وبقي الحصول من حسن وآمهروق أن يقطعا مع زايان غير الخاضعين، وهو ما تم في 19 شتنبر إثر غارة ناجحة ضد آيت بوحماد الذين سلبناهم 973 رأسا من الغنم أو الماعز /212/ و76 ثورا وقتلنا لهم تسعة رجال أربعة منهم من الأعيان.

عقب هذه العملية تم قطع كل العلاقات بين الخاضعين وغير الخاضعين، فتم تعزيز قصور الجبل بالمشاة مما أتاح لها سهولة صد الهجمات التي قام بها مّيغمّي ولد الفاسية على رأس كل محاربي زايان وإيشقيرن في 21 و23 و24 شتنبر. فضلا عن ذلك وبما أن مبادرة الهجومات تعود إلى موحى أوحمو فإن أبناءه أبلغوه أنهم قطعوا علاقاتهم معه هو أيضا.

باتضاح الوضعية بهذا الشكل وإرسال أولعايدي إلى الداخل في زيارة لمدن المغرب، لم يشهد شهر أكتوبر إلا احتلال دَشْرَة الوادْ وزاوية الشيخ وتاقْبَالْت التي جاءت لاستكمال المنظومة التي تحققت في شهر ماي على م الربيع. ثم إن فصل الشتاء كان يزحف بسرعة ومعه الثلوج والبرد القارس الذي يقتل العجزة والأطفال والقطعان، مما يفسر الهجوم الكبير للعدو الذي كان يتوسل ويتوعد بالتناوب بل ويهاجم أحيانا من أجل أن يتاح له البقاء بعيدا عنا. لكن بفضل قوتنا التنظيمية وتعويلنا على وحدات رائعة ممثلة في مخزن خنيفرة بقيادة بوعزا والطوابير الأول والخامس والثاني عشر والثالث والعشرين للكومْ المتطين للجيّاد، أبدينا حزما ورباطة جأش وفرضنا في كل مرة الخضوع التام أو العداء الصريح. أمام هذه الوضعية التي ستكرس قوتنا من جديد وتُطَمْئن أصدقاءنا سيتردد العدو ويُقاتِل لكنه في الأخير سيستسلم لما لا مفر منه كما فعل آخرون قبله، لكن لنذكّر بالأحداث.

منذ احتلال بلاد آيت مْ لبخت الذي لم تعد تهابه بسبب تقدم الفصل والذي يغلق أمامها المجازات سافلة آيت إسحاق، أصيبت البلاد المتمردة بالذهول واضطربت أحوالها وثارت أعصابها، فهرعت لَجْمَاعات من قبيلة لأخرى ومن سيدي عبد المالك بن الطيبي إلى أخيه سيدي محمد، ومن هذا الأخير إلى موحى أوحمو الذي شاخ ولفحه البرد القارس بدوره في تامْلاّوْكْتْ. كان زايّان يرغبون في الحصول على هدنة من آمهروق بينما أراد إيشقيرن أن يعيشوا كجيران طيبين، واقترح آيت إسحاق ببرودة على رئيس مكتبهم الإتفاق على حد في السهل لا يتجاوزه أحد من الجانبين. وبينما كان يتم صدهم بحزم لم تتأخر النتيجة في الحدوث حين أعلنت 116 خيمة من آيت حماد أُوعمو (آيت بومزوغ) استعدادها للخضوع وطلبت من حسن الذهاب لفَكِّهم وحمايتهم بخيّالته، فتمت العملية في 28 نونبر لكن بصعوبة بالغة نظرا لتبليغ العدو بها من طرف أولعايدي الذي تم إطلاعه بتهور وهو الغيور من توجه فخذة كان يعتقد أنها موالية له إلى عدوه. وقد اضطر جنودنا إلى التخلي عن ثلاثة من قتلاهم وثلاثة بغال محملة بأربعين بندقية من عيار 74 كانت موجهة للخاضعين الجدد. لهذا بمجرد عودة الكتيبة تم اعتقال أولعايدي الواثق من الخيانة وأرسل للإقامة الجبرية في آسفي رفقة ابنه القايد وابن أخيه ميعمي ولد الحاج حدو.

في الأثناء كان المتمردون المتكبدون لخسائر متزايدة في صفوف مواشيهم يغادرون جبالهم ليستقروا في سهول تِيزْمُّورِينْ وتِيفْسّالِينْ وتِينْغْرِيتْ وبن خْلِيلْ وبُوحَارَا ووَاوْمَانَا القريبة من الدير، بل اكتسح آيت يعقوب أوعيسى وآيت بوحدو جبل بوِيْنْفَسْت فيما بين مركزي آيت إسحاق وتاجموت، في حين قصد آيت إسحاق م الربيع تدريجيا عبر /214/ وادي وَاوْمَانا في منتصف الطريق بين آيت إسحاق وزاوية الشيخ، فبات مستعجلا إذن التحرك ودخلت فرق الخيالة على الخط، وقامت منذ شهر دجنبر بأربع غارات بلغت أهمها إِيمْزِينَاتْن الذين فقدوا ثلاثة آلاف رأس من الماشية. ثم توالت هذه الهجمات السريعة مثل الصاعقة مثيرة الرعب في كل مكان من البلاد المتمردة واغتنَى منها مخازنيتنا وأنصارنا. وقد شهد شهر يناير 1921 ثلاث قضايا جديدة كان ضحيتها آيت بوحدو وإيشقيرن وآيت إسحاق، وفي 29 يناير جاء دور زايان الذين انتُزِع منهم قصر بَنْحَدّو قرب جنان إيمس واضطروا إلى ترك خيامهم ومواشيهم بين يدي آمهروق.

وفي 2 فبراير حدث رد فعل ضد آيت بومزيل المنضمين الذين تكبدوا بعض القتلى، ولكن في اليوم الموالي قام آمهروق الذي هرع لإغاثتهم بإلحاق إهانة إعادة كل غنائم السنة بآيت إيحاند وآيت مكيلد المعتدين والمنهزمين نهائيا مقابل استرجاع 39 جثة تركوها بين يديه. في ذات الوقت بآيت إسحاق، هاجم الكومْ الأول من الخيالة فخذة إِيزْدُودْنْ (آيت إسحاق) وسلب لها بعد قتال ليلي 450 رأسا من الماشية وأسلحة وخيولا، لكن العدو لم يستسلم لأن الثلج وراءه كان يكلفه أكثر من حرْكات إِيرُومِيِنْ، فاجتاز آيت إسحاق م الربيع من مجاز

آسَاكَا وخَلّو وبلغت أَبقارهم قدم جبل الحديد وكان لا بد من طردهم من هناك.
وفي 21 فبراير وفي جو رديء جدا توجهت حرّكتان إليهم، سارت إحداهما بقيادة بوعزا ولد موحى أوحمو /215/ بمحاذاة الضفة اليمنى للنهر مكتسحة كل شيء أمامها وتمكنت من العودة بمئات رؤوس البقر والغنم، بينما غزت الثانية المكونة من فرسان مركز آيت إسحاق الضفة اليسرى ونجحت في الإستيلاء على 35 خيمة فارغة وعلى أكثر من ألف وخمسمائة رأس غنم ساقتها إلى المركز. إثر هذه القضية وبفضل النشاط الذي برهن عليه كل من حسن وآمهروق في الجبل الزاياني بعد تخلصهما أخيرا من غريمهما المزعج[91]، ارتبك المتمردون وتراجعوا على كل الجبهات تاركين 1035 خيمة جديدة (زايان) تتقدم إلينا دون إزعاجها.
أمام هذا النجاح تنافس أبناء القايد من جديد في إظهار مزيد من الحماس، فبلغت رسائل دعايتهم الموالية لفرنسا الدواوير الأكثر بعدا حتى آيت إيحاند وآيت مكيلد، كما يجوب فرسانهم البلاد بحثا عن العدو، وخاضوا بنجاح كثيرا من المعارك بناحية آوْرِيرْ وتيغْسّالِينْ وحصلوا على 550 خضوعا جديدا. لكن للأسف وخلال اشتباكهم في معركة بتَاوْجّيَالْتْ في 27 مارس تألموا من رؤية أبيهم يسقط برصاص أنصارهم بينما كان العجوز قد جلس بالكاد على أكمة رغبة منه في مشاهدة القتال.
بعد تهدئة أساهم وحزنهم (لم يتأخر المارشال ليوطي عن مواساتهم بأصدق عبارات الود والتعاطف) استأنف حسن وآمهروق وبوعزا مهمتهم بشجاعة، ففي 21 أبريل باغت بوعزا على رأس كل خيالة الدائرة (مخزن وكوم خيالة) آيت إسحاق في واومانا وقتل منهم 12 رجلا واستولى على عدة مئات من رؤوس الماشية وتسعة أسرى. وفي 10 و11 و13 ماي هرع حسن وآمهروق وبوعزا لإغاثة آيت بومّزِيلْ وآيت خُويَا وآيت بن يّشّي الذين تعرضوا لهجوم قوي/216/ من آيت إيحاند وآيت مكيلد لدى عودتهم إلى قصورهم الجبلية، فأسروا العديد من الأسرى وأرغموا العدو على ترك عشرين جثة على الأرض.
وفي بداية يونيو ولدى التأكد من أن محمد أُوعَلاّ من آيت بومزوغ المتمردين بصدد إثارة وتهييج البلاد توجهوا إليه بفرسانهم وأرغموه على إخلاء بُوكجْدِي على عجل. في تلك اللحظة فقدوا أخاهم حمّو نْ عَقّا الذي توفي في آرُوكو متأثرا بجروح أصيب بها على يد حوّامين متمردين قبل ستة أشهر، كما أن حسن نفسه في حالة صحية هشة وآمهروق منهك بسبب الجهد البدني الذي بذله منذ سنة. غير أن بضعة أيام من الراحة تكفي لهؤلاء الجبليين، وفي 17 غشت كانوا متأهبين لاستقبال السلطات ولجّماعات أثناء الحفل الزاياني الكبير الذي استُؤنف تقليد تخليده.

---

91 يقصد أولعايدي. (المترجم)

استؤنفت العمليات أيضا شرق المنطقة في شتنبر حيث شارك أبناء القايد على رأس كل أنصارهم في احتلال بُوكجْدِي التي طردوا منها آيت بومزوغ الذين خضعت منهم ثلاثمائة خيمة، ثم رافقوا الفرقة المتنقلة لتادلا الذاهبة لاحتلال واومانا ببلاد آيت إسحاق. وأخيرا نجدهم في 22 أكتوبر على رأس رتل فريدنبرغ الزاحف على مزكوشْن حيث كان يجب خلق مركز لتغطية بلاد زايان وقاعدة للعمليات المستقبلية ببلاد إيشقيرن، وهناك أتى المارشال ليوطي حاملا لهم مكافأة ولائهم بتسليم ظهير باشا زايان لحسن وظهير خليفة لآمهروق ووسام فارس لجوقة الشرف للشجاع والمقدام بوعزا الذي لم تعد لفخره حدود.

217/ حملة -1922 احتلال بلاد إيشقيرن وآيت إسحاق وآيت إيحاند وملوية- خضوع القبائل.

كان احتلال مزكوشْن آخر فصل عسكري لاحتلال بلاد زايان وأول فصول الحملة في بلاد إيشقيرن بحكم الوضعية الجغرافية للمركز الجديد، فمنذ الآن باتت أراضي هذه القبيلة في السهل وخصوصا المراعي الذي أنقذتها خلال الشتاء الأخير تحت نيران مدافعنا، فضلا عن بلدات لَقْبَابْ عاصمة البلد وتِينْتْغَالِينْ سوق آيت يعقوب أوعيسى وتاسْكَرْتْ وتَالَحْيَانْتْ ولِنْدَا...إلخ. من جهة أخرى بات مركزا مزكوشْن وآيت إسحاق على اتصال بالعين المجردة من على سهول سرو وتيغسالين، وبإمكانها تبادل الإشارة عند أي حركة مشبوهة وتنسيق عملياتهما ضد القطعان إذا غامرت هذه الأخيرة بضع خطوات في السهل.

أمام هذه الوضعية لجأ إيشقيرن إلى الجبل بمجرد وصول الرتل إلى مزكوشْن وأقاموا مخيماتهم بآدْرّاسْ وآلْسُوسْ وتِيمْدِيغَاسْ وسيدي يحيى وسَاعْد وتَاسْفِيلاَلْتْ، مستندين شرقا على آيت إيحاند آروكو وغربا على آيت إسحاق الذين لا زالوا تحت صدمة احتلال واوْمانا. في ذات الوقت فإن بعض أعيان آيت بنمسعود وتاسكرت الذين تقع قصورهم على بعد ثلاثة أو أربعة كلم من مركز مزكوشْن أبلغوا المكتب أنهم مستعدون للخضوع، لكنهم يجهلون متى سيتمكنون من ذلك دون أن يتعرضوا للنهب على أيدي إخوانهم. وأخيرا سعت لجماعات المعادية لأي تقارب للتفاهم وذهبت لاستشارة /218/ سيدي محمد بن الطيبي، لكن اجتماعاتها ومساعيها لم تغير من الوضعية شيئا اللهم إرسال طلب هدنة لآمهروق تعبيرا عن يأسها من الوضع، فبات ضروريا إذن الإذعان لما لا بد منه، وبما أن الثلج قادم كان الخيار إما النزول إلى السهل أو البقاء على نفس الحالة مهما كلف الأمر.

وفي 7 دجنبر قامت فرقة خيالة آيت إسحاق بقيادة باعدي ولد موحى أوحمو أخ بوعزا الملحق بالمركز بمباغتة المتمردين جنوب غرب الزاوية واستولى على أكثر من ألف رأس

غنم، وفي 14 من نفس الشهر قام نفس العنصر الذي نجح في التسلل خلف دواوير متمردة على السفوح الأولى لجبل سيدي سعيد بالنزول مسرعا نحو المركز مُطهِّرا كل الشعاب التي صادفها أمامه ومستوليا على ثمانمائة رأس من الغنم وعلى أسرى وأسلحة.
من جهته ألحق بوعزا بإيشقيرن المخيمين على واد سرو هزيمتين داميتين ومكلفتين من حيث الخسائر في الماشية، لكن العدو ظل مع ذلك في اتصال بنا بمضاعفة عدد مبعوثيه إلى المكتب مهمتهم على ما يبدو السعي لإبلاغنا معلومات خاطئة عن حالة القبائل المعنوية والإجراءات الدفاعية المتخذة.
إلا أن فرساننا غير الآبهين بالأخبار المغرِضة التي أكدها لهم أقارب واصلوا مع ذلك التحرش بخصومهم، بينما كان المدفع يمنع أي تَنَقّل في محيط 10 كلم أمامه. وخلال يناير وفبراير نجحوا في إلقاء القبض على نحو عشرين قاطع طريق ذائعي الصيت كانوا يغيرون على طرق مواصلاتنا ويُنَمّون قطعانهم بألف إلى ثلاثة آلاف رأس، ولم ينْجُ سيدي محمد بن الطيبي نفسه الذي باغته هجوم في أحد دواوير آيت يعقوب أوعيسى /219/ من الموت إلا بسبب سوء تفاهم بين المعتدين عليه.
أخيرا وتحت هذه الضربات المتكررة انهارت معنويات وعزيمة العدو الذي نقل مخيماته بعيدا إلى الوراء، خصوصا أن النجاحات الأولى لرتل فريدنبرغ الذي كان يعمل في القصيبة زادت من حدة قلقه بشكل جدي. وبوضع القطعان في مَأمَن التقطت لجماعات أنفاسها واستأنفت الخوض في السياسة وشراء الأسلحة والخيول والمقاومة إلى آخر رمق...إلخ، كما استعاد الأعيان بعض الأهمية وخصوصا أبناء سيدي الطيبي الذين كانوا عازمين على الخروج من دورهم الديني الصرف لتولي القيادة الفعلية للرأي وللعمليات الحربية حتى، كان يتم أكل آرُومِي في كل الخيام وفي كل الأسواق لأن هذا «اللعين تجرأ على مهاجمة جبل إيمازيغن». وأخيرا تم التوافد في أبهة على تِيحُونَا حيث كان سيدي محمد بن سيدي الطيبي يوزع بركته ونصائحه كاستراتيجي جديد، ووسط حماس ديني خارق تم وضع عدد كبير من خطط الدفاع.
لدى العودة حُفِرت خنادق في لَقْبابْ وتاسْفيلالْت وتينْتّغالِنْ وبُنِيت متاريس من الصخور على كل المسالك المؤدية إلى بلاد آيت إسحاق، ولحشد الهمم فضلا عن العيش بعض الوقت على حساب المؤمنين (كما يورد المخبرون) جمع سيدي عبد المالك بن الطيبي نحو مائة من درقاوييه وجاء ليقيم تازْمّالْت في تِيغْبُولا ببلاد آيت بومّلال في مواجهة وَاوْمانا.
في الوقت الذي كانت تتم فيه هذه الإستعدادات أقدم رتل فريدنبرغ المتقدم في بلاد آيت وِيرّا على احتلال القصيبة (9 أبريل)، غير أن نجاح جيوشنا التي نالت المجد كَدّره فشل مؤسف لسبعمائة من أنصارنا الزايانيين /220/ الآتين من زاوية الشيخ للقاء الفرقة المتنقلة. لم تكن تنقص هؤلاء المساعدين لا الشجاعة ولا النية الحسنة، ويكفي القول

أنه كان على رأسهم بوعزا. لكن للأسف كانوا يجهلون كل شيء عن البلاد التي لم يكن لرئيسهم الوقت لاسكتشافها، فتمت الإحاطة بهم من كل جانب وجرى رميهم بالرصاص عن كثب وهوجموا بالخناجر وقذفوا بالحجارة في المضايق والشعاب الصخرية والمنزلقة للمسار، ففروا سريعا وتفرقوا تحت صياح وسخرية نساء البلد اللواتي لم يكن أقل شراسة في القتال. وحده بوعزا نجح في المرور مع مخزنه وبعض فرسان القبائل، لكن أخاه بَاسّو الذي خدَمَه كرجل ارتباط قُتل ثم أحرق بعد «التعرف على أنه أحد أبناء القايد»، من جهة أخرى ظل الأثاث بين أيدي العدو فضلا عن كثير من النساء اللواتي كن يرافقنهم وجثث قتلانا الكثيرين.

لنذكر عرضا أن حسن وآمهروق كانا في تلك الإثناء في بوعنكور قرب تِيمْحْضِيتْ حيث قادا ثلاثمائة من أنصار زايان الآخرين لاستقبال رئيس الجمهورية(92)، ولدى إخبارهما خطأ بوفاة بوعزا يوم 11 أبريل على الساعة الرابعة بعد الزوال لحظة الإستعراض، أُذِن لهما بمغادرة بوعنكور مع الأنصار على الساعة السادسة، ولم يحصلا على الأخبار الدقيقة إلا في بَقْرِيتْ فاطمأنّا على مصير أخيهما المقدام، ومع ذلك فقد تأثرا جدا ليس لموت باسو فحسب ولكن أيضا لفشل محاربيهما الذين كانت معنوياتهم تدعو للقلق. فكان من الأليق إذن إعادة تنظيم الأمور بأسرع وقت خصوصا أن الأنصار كان عليهم بذل جهد كبير /221/ خلال الصيف في بلاد إيشقيرن. لهذا الغرض تم تنظيم حفل زاياني بخنيفرة على شرف احتلال بلاد آيت ويرّا دام من 16 إلى 20 أبريل وجرى في فرح وحماس صادقين. وقد تسلم حسن خلاله وسام فارس لجوقة الشرف ونال بوعزا ظهير تعيينه قائدا لآيت بوحسوسن، بينما عُيّن بَنْعَقّا ابن عمهما وصديقهما قائدا لآيت حمو عيسى وآيت شارط.

أما من جهة المتمردين فتواصل الإضطراب وصارت تازمالت سيدي الطيبي موضوع الحديث متحفزة بانتصار آيت ويرّا على زايّان، وكانت تشهد يوميا طقوسا دينية مدهشة جدا موجهة لإثارة تعصب وحماس المحاربين وجذب مسلمين آخرين. فاتضحت التهديدات ضد مركز واومانا أكثر فأكثر، لكن عملية جس نبض من قبل خيالة آيت إسحاق تجاه تازمالت لم تثر أي رد فعل غير عادي، وحدهم نحو عشرين من آيت بوملال قبِلوا ملاحقة ذَوِينا الذين خطفوا لهم قطيعا صغيرا.

إلا أنه في يوم 16 ابريل أفاد مخبر أن تازمالت ستهاجم في نفس الليلة في اتجاه مجهول، وبالفعل في 17 أبريل على الساعة الرابعة صباحا اندفع عدة مئات من الفرسان والراجلين المتعصّبين نحو أسوار مركز دشرة الواد وحاولوا تسلقها بواسطة سلاليم، لكن تم صدهم بحزم باستعمال القنابل اليدوية وانسحبوا في فوضى تاركين خمسين جثة في

---

92 رئيس الجمهورية المعني هو أليكساندر ميلران Alexandre Millerand الذي امتدت ولايته بين شتنبر 1920 ويونيو 1924 (المترجم)

الأسلاك الشائكة. وفي 13 ماي وصل رتل تادلا أخيرا إلى إيت إسحاق عبر واومانا بعد إتمام السلسلة الأولى من عملياته، في أفق مباشرة تهدئة بلاد آيت إسحاق وإيشقيرن وآيت إيحاند وملوية العليا بتنسيق مع جيوش مكناس./222/ وفي 16 ماي اتجه نحو هدفه الأول ممثلا في تينتغالين مسبوقا بالأنصار الزايانيين تحت إمرة رؤسائهم، وبدا أن العدو الذي أثار انتباهه مخيم آيت إسحاق في تيغسالين يجهل وجهة هجومنا لعدم إخلائه البلاد، لكنه يسيطر بقوة على مرتفعات البلدة وعلى جبل بويْغْسَايْنْ وعلى قمم تاشْكرُونْتْ.

هكذا انطلقت الرصاصات الأولى بمجرد اقتحام أنصارنا للجبل مما أعطى الإنطباع بأن النهار سيكون قاسيا وهو ما حدث بالفعل. كانت معنويات المتمردين معززة بنبوءة لسيدي بوبكر مفادها حدوث هزيمة خطيرة في بُويْعَجْلِيْنْ بضاحية البلدة، وبالمقابل فإن أنصارنا الذين لم يعتقدوا أن الولي الصالح قد يكون تنبأ بهزيمة المسلمين ظنوا أنهم سينهزمون شر هزيمة، فتركز اهتمامهم إذن على المقبرة التي يرقد فيها موتى إِيمْهِيواشْ (أحفاد آمهاوش)[93] وحيث سيظهر حسب النبوءة فارس يمتطي فرسا أبيض على التو يعطي إشارة الإبادة، فظهر هذا الفارس بالفعل بعد قليل وكان من آيت يعقوب أوعيسى واستولى الإنفعال على كل الأهالي الحاضرين، مما ضاعف من عنف القتال الذي خاضه المتمردون بشراسة عمياء إلى حد اقتحام صفوف أنصارنا بالسكاكين، فبدا واضحا أن أنصارنا تراجعوا ووضعوا الرتل الذي كان بالكاد يقتحم المرتفعات الأولى في موقف سيء للغاية. في تلك اللحظة وبإشارة من الكمندان بوفْرو Bouverot رئيس مجموعة المقدمة اندفع بوعزا وآمهروق إلى المعترك صائحَيْن بأعلى صوتهما أن هناك خطأ وسوء فهم، وأن سيدي بوبكر لم يذكر أبدا من سيكون منهزمو ذلك النهار، مما جعل زايّان الذين استعادوا جرأتهم بفضل هذا التأكيد والمؤازَرين/223/بالمخزن وبالكوم المختلط الأول يعودون إلى مواقعهم ويستعيدون التفوق مباشرة. أما المتمردون المصمِّمون والكثيرون والمسلحون جيدا فنفذوا بعد ذلك عدة هجمات معاكسة أطالت القتال حتى منتصف الليل تكبدوا فيه خسائر كبيرة (أكثر من 150 قتيلا)، فقضوا الليل في دفن موتاهم وإجلاء خيامهم وقطعانهم التي سنراها في اليوم الموالي تمر بناحية سيدي يحيى أُوسعيد متوجهة نحو آغْبَالا وتِيفَرْتْ...

بانتهاء بناء المركز الجديد وربطه بمزكوشن بواسطة طريق جيدة، غادرت الفرقة المتنقلة تينتغالين في 22 ماي وتوجهت مع أنصار زايان الذين يحمون سيرها إلى قمة بُوتْسِيوَانِينْ المتحكمة في كل البلاد جنوب لقباب. وفي الثالثة بعد الزوال ورغم مقاومة عنيفة تم

93 أسرة صوفية درقاوية كان لها نفوذ لدى قبائل الأطلس المتوسط منذ القرن الثامن عشر. (المترجم)

صد العدو نحو الجنوب والغرب وبني مركزٌ في تِيمْدِيغَاسْ يتحكم في مزروعات إيشقيرن الأخيرة، بينما خضعت ستمائة خيمة من بينها خيمة الشافعي من آيت بنمسعود.
بلغ الإضطراب درجة كبيرة لدى المتمردين، فقد أنجز كل من رتلي تيمديغاس وآزرزو (الجنرال بويميرو) عدة ارتباطات عبر الغابة، بحيث لم تعد توفر أي أمان للخيام التي كانت تحتمي بها، وباتت في متناول فرسان بوعزا الذين تمكنوا من نهب عدة دواوير تخيم في تْنَارْتَنْ، فكان لا بد إذن من الرحيل وطيلة خمس أو ست ليالي (بسبب إعاقة الطائرات للحركة خلال النهار) حدث زحف لا يوصف للهاربين الراغبين في الوصول إلى بلاد الإسلام في بوواطاس وإيدِيكْل وآغْبَالا. وبعد إنهاء الأشغال وإقامة مركز للإستعلامات/224/ وللكوم الثالث والعشرين بلقباب، التحقت الفرقة المتنقلة يوم 17 يونيو بتينتغالين في ضباب كثيف جدا أعاق السير كثيرا، لتتوجه في اليوم الموالي نحو تاسفيلالت التي يبدو أن العدو قد تحصن فيها جيدا، إلا أنه بعد قصف مكثف لمدفعية العقيد دوكلا Ducla اضطر العدو لإخلائها على عجل واتجه نحو جبل بُووْنْوَالْ الذي طرد منه بسرعة على يد فرساننا الذين اخذوا له 26 بندقية.
فبدأت أشغال بناء المركز مباشرة، بينما جاء الوجيه الحاج حمّاني من آيت إسحاق لتقديم خضوع فخذته وتم قبوله، وكان فك الخيام وخفر أهلها قاسيا، لكن الحاج الذي جرح تمكن من إنجازه دون خسائر كبيرة واستولى في ذات الوقت على قصر بُوتَاصْفْصَافْتْ واحتله لحسابنا، ثم تعرض لهجوم عنيف من كل آيت إسحاق بقيادة سيدي المكي بن الطيبي، لكن الحاج قاوم بثبات إلى أن وصل بمحض الصدفة الشاوشان لحسن أوعَكّي ومبارك أوْكاحي اللذين كانا يجوبان المنطقة مع عشرة مخازنية وأرغموا الأعداء على الفرار.
إثرها استمرت الحملة سلميا بدخول الفرقة المتنقلة فريدنبرغ في اتصال مع جيوش مكناس التي توغلت غرب آزَرْزُو حتى آلمّسِيدْ حد بلاد إيشقيرن، وفي الأخير تم إنشاء مراكز المَرْسْ ومولاي يعقوب وتافسّاسْتْ وتِيسْلّي نْ رُونِيتْ وآسَرْدُونْ دون إثارة أي رد فعل لتعود الفرقة المتنقلة إلى ثكناتها يوم 29 يوليو.
بعد رحيل الجيوش تنفس العصاة الصعداء واسترجعوا الأمل، لكنهم كانوا يعرفون أن قطعانهم محكوم عليها بالموت في الثلج وأن مزروعاتهم الرائعة في الدير حصدها أنصارنا /225/ الزايانيون. ومع ذلك كانوا لا يزالون مرتاحين في بلاد آيت سخمان الشاسعة التي فتحت لهم ذراعها لحظة هروبهم، وبدأت تروادهم فكرة إمكانية النزول بقوة نحو مراعي آنُوكالْ التي لم نحتلها بعد. فضلا عن أن الجو كان لا يزال حارا في الجبل وليست هناك دواعي للتسرع خصوصا مع انتشار إشاعة ظهور صاحب وقت لا يقاوم، فمرت شهور يوليو وغشت وشتنبر في التردد بينما غزا بالليل حشْدٌ من الحوّامين البلاد الخاضعة حديثا، مما أرغمنا على رد الفعل بتوجيه ضربات موجعة كلفت العدو عدة آلاف من رؤوس الماشية

وخضوع بعض الخيام المعزولة.
إلى ذلك وصل صاحب الوقت المعْلن محفوفا بالهيبة والأوْهام اسمه سيدي محمد ولد سيدي بنْعُمَر أصله من لمَرَابْطِينْ ومعروف في بلاد زايان، كان قد تسبب من قبل في موت عدة مئات من المحاربين بزجّهم بشكل طائش في هجوم على أحد المراكز بناحية آمْغَاسْ.
ورغم كونه شبه أحمق فإن المتمردين الذين يفكرون أكثر فأكثر في البرد والثلوج المقبلة كانوا مستعدين لسماعه شريطة أن يسارع إلى الفعل، فالتفوا حوله باحترام وتم حشد تازمّالت معتبرة رابطت بآغْبَالُو نْ كَرْكُورْ. غير أن بنْعُمر كما بات يسميه آيت أومالو لم يكن في عجلة من أمره مثل المعجَبين به، فعلى غرار مولاي مصطفى الذي عاد الحديث عنه دون أن يُظهِر نفسه، فضّل بنعمر رغد الحياة في تازمّالت على المخاطر الرهيبة للمغامرات المجيدة فلم يتحرك. أمام ذلك الموقف فرضت عليه القبائل المتذمرة/226/ التحرك وأجبرته على مهاجمة برج آلمسيد المحصّن في 15 نونبر عند الفجر، لكنه بدا مثيرا للشفقة مما جعل أصدقاءه يتكبدون هزيمة شنعاء، فبلغ الغضب الشعبي ضده حدا لم ينج معه إلا باحتمائه بمَزْرَاك أحد الأعيان الأقوياء.
لم يبق إذن للقبائل الحائرة واليائسة من ملاذ إلا التوجه إلينا، فزحفت نحو كل مراكزنا على الجبهة بعائلاتها ومواشيها، وفي اليوم الموالي للهجوم سجل مركز تافسّاسْت عودة ستمائة شخص واستقبل مركز تيسْلِي نْ رُونِيتْ ألفي شخص ومركز آيت إسحاق 6 آلاف شخص منتمين لكل القبائل المتمردة. وازداد حجم الحركة ابتداء من 27 نونبر خصوصا في مركز آيت إسحاق الذي كان عليه إيواء عدة عشرات أو مئات من الأسر، ثم تباطأت الحركة بجهة دائرة زايان بسبب مضايقة العناصر المعادية التي تمالكت أنفاسها خصوصا أيت بوملاّل، لتتواصل فيما بعد بانتظام ولكن بوتيرة خيمةٍ خيمة، سواء في مراكز الجبهة الجديدة أو مركزي زاوية الشيخ والقصيبة.



الفترة من 1 يناير 1923 إلى 31 يناير -1926 تنظيم القبائل والجبهة- وفاة بوعزا ولد موحى أوحمو.

بانتهاء خضوع القبائل كانت الوضعية في شهر يناير 1923 كالتالي: /227/

الإتحادية	القبيلة	الفخذة	عدد الأسر الخاضعة	المجموع	عدد الأسر المتمردة	المجموع
زايان	أيت كراض	أيت عمو عيسى	522	6283	4	570
		أيت بومزيل	463		4	
		أيت بومزوغ	400		80	
		أيت بوحدو	400		50	
		أيت لحسن	270		60	
	أيت حركات	أيت شارط	312		2	
		أيت لحسن وسعيد	550		100	
		أيت بوحماد	350		15	
		أيت مايت	650		50	
		أيت إيحبارن	350		30	
		أيت حدو وحمو	200		15	
	بو حسوسن		1460		50	
	أولاد سيدي بوعباد		176		80	
	شرفاء مختلفون		180		30	
قبائل الدير	إيشقيرن	أيت يعقوب أوعيسى	30	550	383	2448
		أيت حماد أوعيسى	20		725	
		إيمزيناتن	400		750	
		شرفاء تاسكرت	100		50	
	أيت إيحاند		400	400	674	674
	أيت إسحاق		525	525	500	500
المجموع العام				7758		4192

228/ بقي إذن الكثير مما يتعين فعله خصوصا في قبائل الدير التي بلغناها حديثا لتصبح الوضعية عادية. فلدى زايان اعتمد التمرد أساسا على آيت بوحدو الذين تتردد بعض العناصر المتورطة كثيرا في الدخول، وعلى آيت لحسن أوسعيد المشكلين لحاشية ميعمي ولد الفاسية وعلى آيت بومزوغ الذين ساروا وراء محمد أوعَلاّ في ناوُورْ.

أما بالنسبة لقبائل الدِّير فقد تميزت بامتناع تام لآيت يعقوب أوعيسى وآيت حماد أوعيسى، بينما لم يعد آيت إيحاند وآيت إسحاق ممثلين في العداء تجاهنا إلا بنصف خيامهم. لذا سرعان ما استؤنف عمل الجذب والإستقطاب من قِبل رؤساء مكاتب الدير بتخصيص جهاز مراقبة مختلف لكل قبيلة أو اتحادية، فضلا عن إنشاء مكتب مكلف خصيصا بالإستعلامات في آلمسِّيدْ.

كان من الصعب آنذاك تصوّر المهمة الموكولة للضباط خصوصا من أجل التوصل لاستتباب قليل من الأمن في هذا البلد الجبلي المتضرّس والمكسو بالأشجار. من جهة أخرى لا زال الخاضعون الجدد أنفسهم يتذكرون عداواتهم القديمة ويتقاتلون فيما بينهم دون هوادة في كل الزوايا وينسبون جرائمهم للحوّامين المتمردين. ومن حسن الحظ تم رفع تعداد فرسان كل كوم دائرة من خمسين إلى مائة فرد مما أتاح لنا مواجهة الوضعية في ظروف جيدة، فتم تجهيز كل مركز بمجموعة كافية من الفرسان ليس لضمان الدوريات اليومية حول البنايات فحسب ولكن أيضا لزيارة الشعاب والظهور فجأة حيثما تطلب الأمر ذلك.

229/ كان التوزيع الأولي لقواتنا كالتالي، بحيث قد تساعد الأرقام على إعطاء صورة دقيقة عن الوضعية:

مراكز الجبهة	أفراد الكوم أو المخازنية الممتطين للجياد
أزرزو	30
تافساست	30
آلمسيد	60
مولاي يعقوب	10
المرس	10
تاسفيلالت	30
تيسلي ن رونيت	20
بوتاصفصافت	30
آسردون	10
تيمديغاس	10

قوات الإحتياط في المكاتب		
	كوم أو مخازنية على ظهور الجياد	أنصار على ظهور الجياد
لقباب تينتغالين	150	25
كروشن	40	20
أيت إسحاق	50	20
قوات احتياط قائد الدائرة		
خنيفرة	100	1000
المجموع	580	1065

لم يبق هذا العدد المدهش من الجنود النظاميين ذوي البرنس الأزرق دون إرهاب كل الأهالي بجد، وانتابهم مزيد من الخوف حين تم تحويل الدير إلى «قطاع أمني» بين يدي رئيس المكتب المركزي بلقباب، الذي تمكن بذلك من تنسيق عمله وتحويل هذه القوات إلى وحدة قتالية رهيبة. فقد تم وضع تعليمة للإنذار أتاحت لرئيس القطاع بفضل شبكة هاتف بلغت الدواوير الأكثر بعدا جمع 300 فارس على الأقل في نقطة ما من البلد في أقل من ساعتين ونصف، كما مكنته أيضا من إغلاق فعلي للحدود/230/من آزَرْزُو إلى آسَرْدُونْ على طول نحو 60 كلم على الفور تقريبا بمجرد الإبلاغ بإساءة أو بجُرم للحوّامين داخل خط المراكز. هكذا شهدنا دون إبطاء انخفاضا ملموسا لعدد العمليات وتمكنا من العمل بسهولة أكثر على إعادة تنظيم القبائل ومن جذب خيامها العاصية.

كانت القبائل المفلسة بسبب ترك محاصيلها خلال العمليات أو بسبب النهب الذي تعرضت له أثناء فكّها وخفرها للمنطقة الخاضعة في حاجة ماسة للغذاء والملجأ ولحبوب البذور، لذا طرقنا كل الأبواب الكفيلة بانفتاحها أمامنا بشكل نافع، وكنا سعداء بالعثور على مساعدة ودعم ليس لدى السلطات فحسب، بل لدى الزعماء الأهالي الزايانيين.

فقد أنقذ آمهروق وحده من الموت أو على الأقل من البؤس الشديد الذي يؤدي إلى اللصوصية والسجن أكثر من مائة عائلة تنتمي أساسا لآيت يعقوب أوعيسى وآيت حماد أوعيسى أعدائه المزعومين. من جهتهم فعل حسن وباعدي وبوعزا نفس الشيء بفتح مخازن حبوبهم لكل قادم، مما أحدث صلات جد ملائمة بين أبناء قبائلهم زايان وبؤساء

الدير الذين لم يكن لديهم ما يمنحونه سوى قوة سواعدهم.
من جهة أخرى تم فتح أوراش لشق المسالك والطرق على امتداد البلد، في حين منحت الشركة الأهلية للإحتياط [94] بمكناس قروضا هامة، وزُرعت حقول لفائدة الفقراء بواسطة محاريث ودواب الأسر الميسورة التي احتُجزت لتنظيم تيويزَا[95] رسمية، وأخيرا وزعنا أسلحة على أنصارنا الجدد مع السماح لهم بالإغتناء[96] على حساب قطعان المتمردين.
231/بفضل هذه التدابير وغيرها كثير لا حاجة إلى الوقوف عندها، تمكن رؤساء المكاتب من اجتياز عتبة الشتاء بينما كان كل يوم يحمل نصيبه من الخاضعين، واستعادت القصور ساكنتها شيئا فشيئا لما فيه خير أمن البلد. هكذا وبفضل جهود متجددة لدى كل أسرة مُجتَذبة ومُفْتَكّة ومُغاثة تمكّنا في ثلاث سنوات من إرجاع أكثر من خمسمائة أسرة من زايان وأربعمائة وعشرين من آيت يعقوب أوعيسى ومائتين وثلاثين من آيت حماد أوعيسى وأربعمائة من إيمزيناتن ومائتين وخمسين من آيت إسحاق، وثلاثمائة وستة وخمسين من آيت إيحاند وخمسين أسرة من شرفاء تاسكرت إلى داخل صفوفنا، واحدة واحدة تقريبا.
في حين شهد يناير 1926 احتلال موقعي تاكزالت وإيديكل دون قتال بفضل تحضير بارع وقيادة رائعة للعملية.
لكن عملنا السياسي في الدير الذي يَدين كثيرا لشجاعة وسخاء وتواضع بوعزا ولد موحى أوحمو لبس للأسف ثوب الحداد ابتداء من 27 مارس 1923 بوفاة هذا المقدام الذي قُتِل على رأس فرسانه أثناء القيام بعمليات عقابية جنوب آلمسيد.

وفاة بوعزا ولد موحى أوحمو

سقط القايد بوعزا ولد موحى أوحمو الزّايَاني رئيس مخزن خنيفرة وقائد قبيلة بوحْسُوسَن برصاص العدو يوم 27 مارس 1923 في الساعة الثالثة بعد الزوال على بعد أربع كيلومترات جنوب مركز آلمسيد. فقد كُلّف بالقيام بعملية عقابية ضد متمردي منطقة بوواطاس الذين تجاسروا على عرقلة خضوع القبائل، فأعدّ تدخله بدقة بالذهاب شخصيا/232/ عدة مرات إلى أماكن الإحتكاك مع الخصم لمعرفة نقاط ضعفه، وبسبب ظروف غير ملائمة لم يتمكن من الفعل إلا في 27 مارس، حيث توجه شخصيا في ذلك اليوم ليلا إلى منابع ملوية مع مائة من فرسان مخزنه وفرسان كتيبة آلمسيد، محددا مهمّته

94 Société Indigène de Prévoyance (المترجم)
95 جمع تاويزا وقد انتقل اللفظ الآمازيغي إلى الدارجة المغربية في شكل التويزة، وتعني العمل الجماعي الذي دأب الأمازيغ على القيام به لصالح القبيلة أو في إطار التضامناف بين الأفراد (المترجم).
96 أطلق كنون كلمة «الإغتناء» على عمليات النهب التي تعرضت لها القبائل الرافضة للخضوع، وهو ما دأبت السلطات الفرنسية عليه منذ بداية وطيلة الحماية، مما كانت له عواقب وخيمة على أبناء القبائل الذين نهبت مواشيهم وأراضيهم لصالح خدام الحماية. (المترجم)

في مباغتة العدو الذي كان يتردد على نواحي جبل تاكزّالّتْ بهجوم سريع والإصطدام معه بقوة، بينما تلتحق به باقي حرّكته المرابطة جنوب جبل تَاوْنْزَا عند الطّلقات الأولى.
نشب القتال على الساعة الواحدة بعد الزوال بحماس فرساننا المعهود، وفي بضع دقائق تم إرباك المتمردين المباغَتِين ومطاردتهم إلى الجوار المباشر لدواوير منطقة بوواطّاس، إلا أن فرساننا اصطدموا هناك بكل الجبليين الذن استنفرهم إطلاق الرصاص فاضطروا إلى التوقف.
وبأمر من بوعزا احتمى المخازنية المتقدمون بثَنْيَات الأرض وأوّقفوا تقدم العدو بإطلاق رصاص كثيف، مما سمح للخيول بالتقاط أنفاسها وبوصول المتأخرين. ولما التأم شمل رجاله أعطى بوعزا الأمر بالإنسحاب مانحا قيادة الفرقة التي كان عليها أن تنفك هي الأولى لأحد شُوّاشِه[97] واحتفظ بقيادة الفرقة الثانية. نُفذت العملية بنظام تام غير أن العدو الذي كان يزداد عددا وشراسة قام بمناورة لتطويق فرقة الفرسان الأكثر تعرُّضا، وأثناء محاولة إفشال هذه المناورة أصيب بوعزا برصاصة في البطن، فاستشاط فرساننا غضبا لجرح رئيسهم وشنوا/233/ثلاث هجمات متتالية بهدف إبعاد العدو عن المكان الذي سقط فيه بوعزا ويتلقى فيه الإسعافات الأولية، وتطلب الأمر كل حزْم ضباط الكوم والمخزن لثنيهم عن مطاردة المتمردين باندفاع حتى آغبالا.



بوعزا على رأس قسم من مخزنه

97 شُوّاشْ جمع شَاوْشْ، وهو كبير المخازنية. أصل الكلمة جاويش التركية. (المترجم)

حُمل بوعزا في البداية بالأيدي ثم على مِحفّة أُرسلت من مركز آلمسيد، وكان مدركا جدا لخطورة جرحه لكنه ظل شهما، فقد أجاب الضباط الذين جاءوا للقائه وواسَوه بكلمات طيبة أنه سعيد/234/ بأن يموت برصاصة عدوّة لأن هذا الموت وحده الذيّ يليق برجل. وخلال إسعافه كان موقفه رائعا كذلك، إذ كانت آخر أفكاره كما أورد ذلك أحد الضباط تجاه إخوته وضباطه، ليسلم الروح على الساعة السادسة مساء محاطا بضباط المركز والمراكز المجاورة وبمخازنيته المندهشين.

كان بوعزا يبلغ من العمر 29 سنة وخضع منذ ست سنوات، وكان الإبن الخامس الحي للقايد موحى أوموحى الزاياني. تربّى وسط قبائل متحاربة باستمرار في كنف أبٍ يدين بثروته لسلاحه فقط، واشتهر منذ سن السادسة عشرة بكونه محاربا مِقْداماً، وفي العشرين من عمره لم تعُد مآثره تُحصى مما أكسبه إعجاب واحترام كل الزايانيين. في ذات الوقت كان لطيفا ورحيما تجاه البؤساء والمحرومين، وبلغ سخاؤُه وجودُه أنه ذات يوم في السوق لم تكن لديه نقود يمنحها لشحّاذ عجوز كان يستجديه فأعطاه بُرْنُسه.

ترك وصول الفرنسيين إلى خنيفرة سنة 1914 أثرا عميقا في نفسه، إذ حزن كثيرا لمنظر أبيه الذي كان قويا بالأمس وبات مرغما على مغادرة مدينة شيّدها وتربطه بها وشائج كثيرة. ولم يقتصر على الإسهام بفعالية في كل عمليات زايان ضد أرتالنا فحسب، بل كرس جهوده رفقة بعض الشبان في سّنه لمنع دخول خنيفرة على متهاوني ومنهزمي القبائل، مما أسفر عن عزل قواتنا لمدة طويلة /235/ داخل جدران معكسرها وحرمانها حتى من بريدها.

وفي شهر نونبر 1914 خلال معركة لهري كان من بين أكثر الرجال شجاعة وإقداما وأصيب بجروح بليغة وقتل فرس تحته. ومباشرة بعد شفائه استأنف نشاطه ولم ترتَخِ مراقبتُه إلا حين تأكد أن أخاه حسن قد ربط علاقات معنا وولدت لديه فكرة الخضوعَ منذئذ، ويقال إنه سبق ذلك سوء تفاهم طفيف بين بوعزا وأبيه بخصوص الحبوب، إذ كان موحى أوحمو قد بعث لابنه حملا من الشعير بدل القمح المنتظر، فاستاء بوعزا من ذلك وهدد أباه بتركه والذهاب للفرنسيين، لكن القايد العجوز لم يأخذ ذلك التهديد على محمل الجد فأجاب: «ليذهب إليهم»، وبعد يومين كان بوعزا بخنيفرة مع خيمته واثنين من رفاقه، مما ترك أثرا عميقا لدى القبائل حيث أثير التساؤل عما إذا لم يكن ذلك مناورة من القايد أو من ابنه حَسن في أفق التحضير لأحداث أكثر أهمية، فاضطربت النفوس لذلك إلى حد أن لجماعات تجرأت على إثارة الأمر أمام موحى أوحمو والتعبير عن شكوكها، مما تطلب كل دهاء وسلطة الزعيم العجوز لإعادة الأمور إلى نصابها والحيلولة دون استفحالها.

ومهما يكن والحق يقال، فإن بوعزا القلِق استقر قرب المكتب منتظِرا قبول تكليفه بدور

ما، وكان الأمر بطيئا وحساسا بسبب فقدان الثقة عقب إقدام أحد إخوته ميعمي ولد الفاسية على ارتكاب فعل شنيع باغتيال القبطان طايّادْ رئيس مكتب سيدي لاَمِينْ غدرا. غير أن/236/صراحة الشاب والود الذي يوحي به انتصرا له في نهاية المطاف، فأُذِن له بالقتال حول خنيفرة وبتجنيد كيش من ثلاثين فارسا لهذا الغرض. ويقال إن فرحته كانت عارمة لكن الأكيد أنه لم ينتظر اكتمال كيشه حتى بدأ يجس نبض المتمردين، فمنذ اليوم الخامس استولى على غنائم رفقة ثمانية فرسان وعاد بها إلى خنيفرة تحت أنظار الحامية وكلها إعجاب أمام مثل تلك الجرأة. ثم رفع من عدد فرسانه بتجنيدهم من بين الحوّامين الذي كان يأسرهم (لحسن أوعكي وامحمد أُوشارْط، إلخ...) الذين سيكونون فيما بعد أفضل مساعديه.

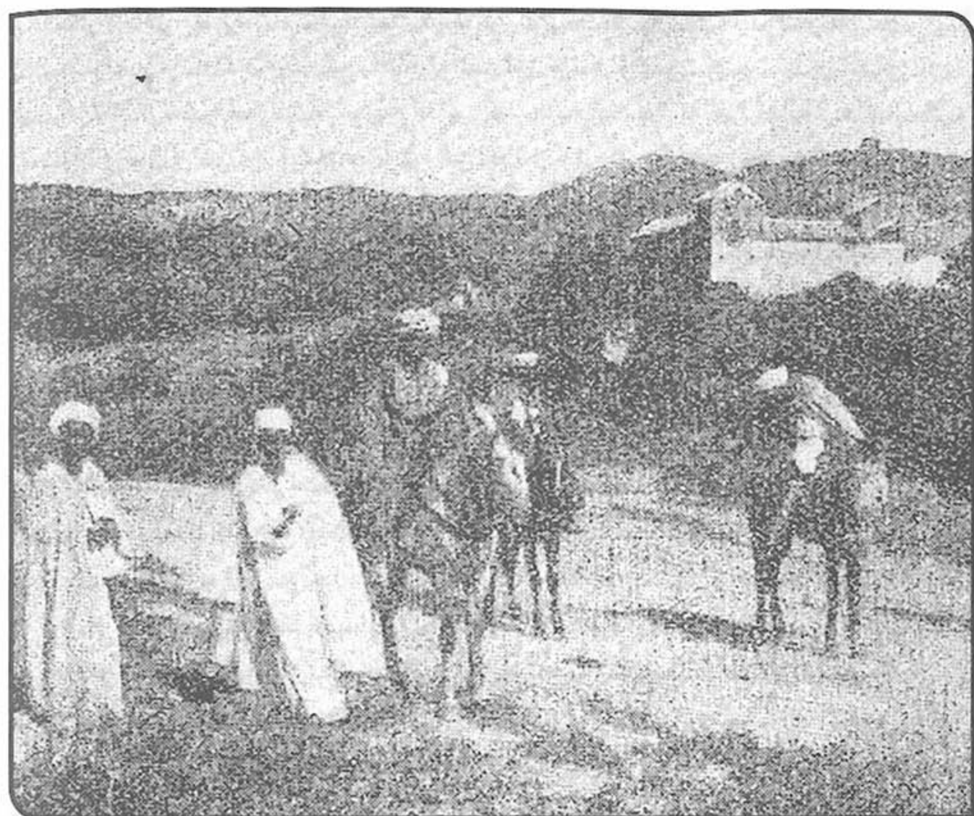
وفي بضعة أسابيع شكل جيشا صغيرا صلبا مكونا من عناصر متنافرة لكنها مشهورة بشجاعتها وصلابتها في محيط مائة كيلومتر، ومنذئذ لم تعد تحصى الضربات التي وجهها لخصومنا، إذ زرع كيشه الرعب في مجموع المنطقة وتتالت الكمائن والغارات وعمليات السطو بسرعة ونجاح جعلا المتمردين يسرعون بإخلاء محيط المراكز، فذهب بوعزا في أثرهم إلى عقر ديارهم على بعد أكثر من خمسة وعشرين كلم، ولبلوغهم ومناوشتهم بشكل أفضل درّب فرقا من رماة القنابل اليدوية والمدافع الرشاشة مكنهم من أسحلة سبقت سرقتها وأعيد شراؤها من المتمردين.

خلاصة القول إنه في بداية 1920 كانت نجاحات إيجِّيّاشْن بوعزا باهرة إلى حد رأت معه القيادة أنه من الإنصاف منحهم راتبا ومؤنا مثل المخازنية، فضلا عن السماح رسميا لرئيسهم الذي كان يطمح في حمل شارة الضابط /237/ بحمل شارة ملازم وبمناداته «مّا لِيتّنَا»[98] من لدن رجاله.

بتحسن الوضعية السياسية في شهر ماي 1920 بفضل بعض عمليات الخضوع، عكف بوعزا على زيادة مداها وتوسيعها بدمج فرسان الفخذات العائدة، فنقل حينئذ الحرب إلى قدم جبال إيشقيرن، وقام بعدة غزوات وكبد



98 Mon lieutenant. تعمدنا إيراد عبارة التحية العسكرية كما تواترت على لسان المغاربة على عهد الحماية، إذ تم تلحين كثير من التعابير الفرنسية لتستقيم مع سياق ونطق الأمازيغية والعربية الدارجة، مثل مُاقَبْطَانْ ومُوكْنِينِرْ وغيرها. (المترجم)



بوعزا : وهو الفارس على اليسار

خصومه خسائر فادحة لم يعد لهم معها من خيار آخر غير ترك قطعانهم تعاني في الجبل أو الخضوع. كما بات من الممكن ارتياد الطرق والمساكل الرابطة بين خنيفرة والمراكز المشيّدة حديثا من لدن /238/ المعزولين أو الكتائب الصغيرة دون حدوث أي شيء.
كانت الغلبة تامة إذن على العدو واعتبرت النتائج رائعة جدا جعلت القيادة تحقق أمنية بوعزا برفع تعداد فرسانه إلى مائة، مما جعل من المخزن المعزّز سيد منطقة الجبهة بدون منازع، وأصبح البرنس الأزرق لإفراد الكيش الذي حل محل البرنس الأصفر (الكاكي) علامة رعب بالنسبة لخصومنا، الذين بلغ بهم الأمر حد تعهّد مخبرين في المنطقة الخاضعة مهمتهم الوحيدة إخبارهم بتحركات بوعزا وجماعته مقابل أجرة معتبرة.
رغم هذه المراقبة التي تعتبر لوحدها أكبر ثناء يمكن توجيهه لهذه الفرقة ولرئيسها، لم يحصل بوعزا إلا على الإنتصارات المبِينَة بالمضي في تصميمه الجريء، وتوجيه ضربات مدوّية حتى السفوح الأولى للجبل الذي اعتقد المتمردون أنه منيع. هكذا ستظل وَاوّمانا

وبن خْليل وآوّرير وتيغْسّالين وملوية صفحات مجيدة في سجل هذه المفخرة الأمازيغية الشابة ولكتيبته من الشجعان.

علاوة على هذه الخدمات القتالية التي تعكسها جيدا التنويهات الرائعة التي مجدتها ووسام الشجعان الذي أنعم به عليه، لعب بوعزا ولد موحى أوحمو أحد الأدوار الأساسية في تهدئة وإخضاع بلاد زايان، فقد كان مجيئه إلى خنيفرة سنة 1917 رمزا معبِّرا في أعين الجميع/239/ ومؤشرا حقيقيا على تقدم قضيتنا وكلَلِ وفُتُور زايّان وزعمائهم أفضل من الدخول في محادثات مع أخويه حسن وآمهروق، كما كان بلا ريب الحدث الحاسم الذي بدّد الترددات الأخيرة للعناصر المؤيدة، فقد طمأن مقامُه بيننا والعناية التي حظي بها كل الذين كانوا يتهموننا بنوايا تدميرية وباحتقار عميق للأهلي، ويتعلق الأمر هنا بأغلبية زايان تقريبا. كان منزله مكانا مستورا ومضيافا يليق للمواعيد واللقاءات الآمنة مع لجِماعات الأولى للقبائل، ووجد فيه ضباط استعلاماتنا مساعدا ثمينا لمعرفته التامة بالقبائل وأعيانها وللبيانات التي قدمها بخصوص الطريقة السريعة للحصول على نتائج لدى إخوته وأنصارهم. باختصار كان بوعزا بالنسبة لنا اليد الضاربة والمستشار الوفي والدبلوماسي الماهر في آن واحد، فضلا عن كونه مسموع الكلمة ومطاعا وضع شخصه وذكاءه وثروته القليلة في خدمة قضيتنا بدون قيد أو شرط.

وحين تم تحقيق النتائج الأولى بخضوع أغلب القبائل وخضوع إخوته وأولعايدي، فإن بوعزا الذي شهد بحياد الصراع بين حسن وأولعايدي وأدرك وضعيتنا الحساسة تجاه الطرفين المتنازعين، بذل جهودا حثيثة ومتفانية لتذليل مصاعبنا، مقدما أفضل الآراء لإخوته ولعمه وناصحا بنسيان الأخطاء السابقة وبمصالحة صادقة لما فيه مصلحتنا ومصلحة العائلة والقبائل. ورغم عدم نجاحه في التغلب على تعنت وعناد أولعايدي فإنه يحق له الإفتخار على الأقل بأنه وضع حسن وآمهروق في الطريق الصحيح.

240/ بعد ذهاب أولعايدي للمنفى واصل بتفانٍ وولاءٍ متزايدين ونزاهة وترفُّع رائعين قيادة وإرشاد إخوته وتحفيز حماسهم وتلطيف طموحاتهم، وبافتخاره بكونه أول من عرفنا واستحق ثقتنا كان طموحه دائما توفير زعماء لنا على شاكلته، فكرّس جهوده لهذه المهمة دون كلل حتى آخر يوم من حياته. وعليه فإن وفاة هذا الزعيم الشاب الذي سقط من أجل فرنسا في زهرة عمره لم تكن خسارة لأسرته التي تحبه وكان مرشدا متنورا لها فحسب، بل أحزنت كذلك الذين احتكوا به ووجدوا لديه دائما حفاوة الإستقبال والنصيحة النافعة والكلمة المواسية والإلتفاتة المغيثة، وفوق ذلك كله حرمتنا من مساعد لا يعوض ومحارب لا مثيل له ورجل طيب كانت استقامته وخصاله ومرحه تشيع حوله سحرا لا يُقاوَم.

كان الفراغ الذي تركه بيننا قاسيا ومؤلما وبكى كل واحد منا هذا الجندي المغوار، من الضابط الفرنسي الأعلى إلى أبسط جندي، بكينا هذا القلب الممتاز الذي كتب بدمه

صفحات مجيدة من تاريخنا بالمغرب، فلْيَنم قرير العين في قبره بآرُوكو زايّان في ذلك الإطار الرائع الذي أبهجه بشبابه ويشرفه الآن إلى الأبد.

تنويه بمخزن خنيفرة

أمر عام رقم 236:

1 - «فرقة عسكرية أهلية بقيادة زعيم رائع، متعودة على شظف العيش وفي حالة استنفار دائم وسائرة إلى المعركة كأنها ذاهبة إلى حفل، تضيف/241/ إلى الصفحات الرائعة لتاريخها الفتي الجهد المتواصل لحملة دامت خمسة أشهر على جبهة دائرة زايان، حيث نشرت الرعب في المخيمات الأكثر بعدا بفضل قساوة ودقة ضرباتها وجرأة عملياتها، فأرغمت بدعم من أنصارنا المندهشين أكثر من ألف ومائتين خيمة على الخضوع، وقتلت للخصم مائة وثلاثين رجلا وجرحت أكثر من مائة وستين واستولت له على أكثر من ستة آلاف رأس ماشية مع غنائم كثيرة».

2 - « فرقة عسكرية من الصفوة دائمة التأهب للقتال، شنت خلال شتاء 1921-1922 حملة قاسية جدا ضد المتمردين الذين أرهبتهم بجسارة عملياتها وقوة ضرباتها، وقتلت لهم أكثر من 150 محاربا وكبدتهم خسائر فادحة في الخيول والحيوانات الأخرى. وفي 16 ماي 1922 بتينتغالين أعطت براهين جديدة على قيمتها القتالية، فبقيادة نفس الرئيس ذي الرؤية الثاقبة والحس السياسي المعهودين، جنّد رجاله وطوعهم باندفاع شخصي، مما جعل مخزن خنيفرة يقلب سريعا وضعية سيئة مؤقتا، بل استأنف الهجوم مباشرة ضد عدو متفوق ومتعصب وشرس جدا وكبده خسائر فادحة في قتال طويل خرج منه منتصرا بعد عدة ساعات. وببحثهم عن الإلتحام المباشر واستهانتهم بالخطر والموت يشكل فرسان مخزن خنيفرة أفضل المساعدين لعملنا السياسي».

تنويه وتمجيد بوعزا ولد موحى أوحمو

-1 **تنويه من مناطق العمليات العسكرية (T.O.M)- أمر عام رقم** 231.

« قائد كيش خنيفرة منذ أسسه، نجح في جعل هذه الوحدة أداة حربية جد متميزة. لم يكُفَّ منذ أكثر من أربع سنوات عن تقديم خدمات جُلّى لنا بوفاء مطلق وتفان لا محدود من خلال التحرش بالقبائل المجاورة لخنيفرة ليلا ونهارا. اثار إعجاب كل الضباط الفرنسيين الذين رأوه يقاتل بشجاعة أسطورية. وأعطى دليلا جديدا على جسارته وإقدامه في 21 أكتوبر 1921 بمهاجمة آيت إسحاق، أكثر قبائل الجبل قتالية على رأس مائتي فارس،

فقتل لهم 19 رجلا وجرح 33 آخرين واستولى على حوالي ألف رأس من الماشية».
2 - تنويه من مناطق العمليات العسكرية (T.O.M)- أمر عام رقم 256.
«رئيس مخزن منقطع النظير، بصدد القيام بعمليات باستمرار/242/ منذ بداية الإنتجاع، يمثل مصدر رعب وفزع لخصومه لفجائية هجماته وقساوة ضرياته. تحرك بدون كلل مدعوما بأنصاره في كل جبهة دائرة زايان منذ خمسة أشهر، فصد الخصم في كل مكان وطارده حتى مخيماته مكبدا إياه خسائر استثنائية في حرب الأنصار الصعبة. يتميز بشجاعة وإقدام رائعين وبتفان صادق، وهو روح الفرقة الرائعة التي يقودها وتطيعه طاعة عمياء. ساهم بنشاطه الذي لا يكَل في عمليات الخضوع المحصل عليها على جبهة زايان».
3 - تنويه من مناطق العمليات العسكرية (T.O.M)- أمر عام رقم 334.
«رئيس مخزن ومحارب لا نظير له، تفوق على نفسه مرة أخرى إن جاز قول ذلك يوم 9 أبريل 1922 خلال الزحف على القصيبة وفي معركة بوعمر، معبّرا وحدَه عن كل كبرياء مخزنه، إذ قاتل بكل ضراوة عدوا متفوقا في العدد وصمد حتى النهاية في وجه هجوم مضاد وأرجع مخزنه إلى القصيبة التي كانت الهدف النهائي».

الوضعية العامة حاليا. عدد الخيام المتمردة ودواعي تمردها.
كانت الوضعية في 31 يناير 1926 تاريخ إنهاء احتلال بلاد إيشقيرن باحتلال تاكزالت وإيدِيكّل كالتالي: (ص./243/)

الإتحادية والقبائل		الخيام الخاضعة	الخيام المتمردة
زايان		6783	70
إيشقيرن	أيت يعقوب أوعيسى	450	463
	أيت حماد أوعيسى	250	535
قبائل الدير	إيمزيناتن	1650	1348
	شرفاء تاسكرت	800	350
	أيت إسحاق	150	350
	أيت إيحاند	775	250
		765	318
المجموع		9964	1986

لا يبدو أن هذه الوضعية قد تغيرت في شيء باحتلال بُووَاطّاسّ وآغْبالا اللتين كنا نتوقع مع ذلك الحصول فيهما على أفضل النتائج، وتمثل مجموعة زايان التي لا تزال متمردة حاشية ميعمي ولد الفاسية اللاجيء في فَرْكْلا وبعض آيت بومزوغ المستقرين في ناوُور. أما مجموعة إيشقيرن فتضم دائما على غرار آيت إيحاند أغلبية كبيرة من الناس الذين كانوا أعداء لحسن وآمهروق، /244/ مما طرح الإفتراض بأن هذه المجموعات لم يبقها في التمرد إلا الخوف من أن توضع تحت سلطة أبناء القايد، لكن يبدو أن هذا الإفتراض غير وجيه لأن أهم أصدقاء هاتين الشخصيتين بالذات لدى آيت إسحاق وإيمزيناتن هم الذين يُظهرون لنا عداء سافرا. من جهة أخرى تم إلحاق آيت إيحاند بدائرة إيتزر في فاتح يناير 1926، غير أن هذا الإجراء الذي كان من المفترض طمأنة المعنيين لم يحدث أي أثر، ثم إن إيشقيرن قد أُخْرِجوا بشكل كامل من سلطة إيمحزان منذ ثلاث سنوات بدون أية نتيجة تذكر. وعليه يبدو من الثابت نهائيا أن المتمردين لا يبقون بعيدا عنا إلا لتأكيد استقلالهم. ولنلاحظ فضلا عن ذلك أن أعداد الخيام المتمردة المشار إليها أعلاه ليست مؤكدة، لأن العدد الإجمالي لأسر كل قبيلة قد انخفض تحت تأثير الأحداث وتجمّع كثير من الأسر المحتاجة تحت خيمة واحدة.

تنظيم القيادة الأهلية.

لدى زايان، منح لقب عامل لحَسن ولد موحى أوحمو ولقب خليفة لأخيه آمهروق، وتمارس سلطة هذين الزعيمين الأهليين على كل القبائل الزايانية الأصل الملحقة بالدائرة التي تحمل نفس الإسم والتي رأينا لائحتها أعلاه، ونُصب على رأس كل واحدة من هذه القبائل قائد أو من يقوم مقامه اختير من بين أعيانها أنفسهم، باستثناء آيت عمو عيسى وآيت شارط الذين تم تجميعهم تحت قيادة /245/ بنْعَقّا ولد الحاج حدو الحليف والصديق القديم للعامل الحالي، ويعتبر بنعقا حاليا على حد علمنا القائد الوحيد الذي حصل على ظهير تعيين.

تشبه صلاحيات القياد أو من يقوم مقامهم نفس الصلاحيات في البلاد العربية، ممثلة في إصدار الأحكام في كل المخالفات التي لا تتعدى عقوبتها سنة سجنا وألف فرنك غرامة، وتبقى القضايا الأخرى من اختصاص المحكمة الشريفة العليا ولجْماعات القضائية أو المحاكم الفرنسية (ظهائر 23 أبريل 1926 و4 غشت 1818 و24 مارس 1920).

وفي كل قبيلة أو مجموعة من القبائل تم تأسيس لجماعْت القبيلة ولجْماعات الفخذات، مهمتها توفير إشارات وبيانات وآراء باسم لجْماعت بصفة استشارية، تتعلق بمصالح المجموعة وتدبير المتلكات الجماعية...إلخ (ظهير 21 نونبر 1916).

من جهة أخرى تشتغل لجماعات قضائية مكلفة بتنفيذ العرف الأمازيغي فيما يتصل بالأحوال الشخصية والقضايا العقارية لدى زايان على سبيل التجربة، كما يتوفر كل دوار أو شبه دوار على لجماعته العادية (جميعة الأعيان) التي تدبر تفاصيل حياة مجموعتها طبقا لتعليمات القائد أو لقرارات لجماعات العليا المؤسّسَة رسميا.
أما في قبائل الدير فلم يُعيّن أي قائد، وحدهم آيت يعقوب أوعيسى يتوفرون على رئيس وحيد (آقشون) ولم تتأسس بعدُ لديهم لجماعات رسميا لكنها موجودة وتتدخل بشكل شبه رسمي في تسيير الأمور.

246/ وضعية القبائل

آيت بوحْسُوسْن (حَامَرا، آيت رَحّو، آيت شَاوْ، أيت فاسْكاتْ، أيت بوكْريشْ)
يقطن آيت بوحسوسن مولاي بوعزا ونواحيه وهم خاضعون منذ مدة طويلة، غير أن ما يثير انتباهنا في وضعيتهم هو ميلهم الواضح جدا لعدم الرضوخ لسلطة حسن وآمهروق اللذين لا يزورانهم إلا بين الفينة والأخرى. كان لديهم في فترة ما كقائد بوعزا ولد موحى أوحمو، غير أن الزعيم الشاب المنشغل بمحاربة المتمردين على رأس مخزن خنيفرة لم يهتم قط بمهمة تلك القيادة بجدية، مقتصرا على الحصول على الراتب المخصص لوظيفته وتاركا مهمة قيادة القبيلة لخليفة نعينه نحن، وإثر وفاة بوعزا استعادت كل فخذة استقلالها بقيادة زعيم منها. وتقدر قوة القبيلة بنحو ألف وخمسمائة خيمة وأربعمائة فرس وبلدة ضخمة (مولاي بوعزا) وكثير من القصور.

آيت حَرْكاتْ:

آيت ماي: تتضمن القبيلة فخذتين ضخمتين: آيت قْسّو (آيت رَحّو وآيت إيكُّو وآيت قسو وآيت منصور) وآيت بَنْعْلِي (آيت عزوز وآيت بنعلي وآيت بوحابوس)، وهي مستقرة حول كلْمُوسْ. قصورها الرئيسية هي: تِينْدْل تاوْرَاغْتْ (بين تكييت وتِنْدرا) وتِيرِيفِيتْ (ناحية زيار) وتُورْتُوتْ وزِيَارْ وتامْجُوجْت وتابُوقْتَاتْ ..وغيرها، وبعض هذه القصور خرائب لكنها في طور الترميم. كما أن القبيلة تمتلك قصرا كبيرا بآضْمَرْ في الجبل الزاياني على الضفة اليسرى لامْ الربيع.
247/ القائد الحالي هو محمد أُوناصر المخازني السابق الذي كان لمدة طويلة عدوا لحسن لكن يبدو أنه تصالح بصدق مع هذه الشخصية، وهو ذكي جدا وذو نفوذ قوي أسدى خدمات جليلة للقضية الفرنسية.

آيت حدو أُوحمو: فخذة صغيرة من حوالي مائتي خيمة مستقرة شمال غرب كلْمُوسْ، بدون مشاكل.
إيحَبّارْنْ: قبيلة من 350 خيمة تضم فخذتين: آيت حدّو أُوعلي وآيت علي أُوعْمَرْ، تستقر غرب كلْمُوسْ وقصورها هي سيدي حَسِينْ وتِيغْرَمْت أُوزُومَاك وتالاسْتا أوكْمُوسْ (بين كلْمُوسْ وحْدُورْتْ). لها بعض الأراضي على الضفة اليسرى.
آيت سْعيد أُويْشُّو: قبيلة ضخمة ينحدر منها إيمْحزَانْ وتضم نصفين (إيمْنَاصْفَنْ): آيت لحسن أُوسعيد ويضم آيت عْلاّ وآيت بن إيشّي وآيت خُويا وآيت بُوهُو وآيت موسى (من عشائر هؤلاء آيت عْقّا التي تنتمي إليها أسرة إيمحزان)، ويقطنون بجوار آقْلاّلْ مقر سكنى حسن وخنيفرة وآرُوكو وفي جبل زايان بين سْرُو وشْبُوكا. والقبيلة غنية بمواشيها وتعتبر نفسها أسمى من كل القبائل الأخرى من جميع النواحي، ليس لأن زعماء البلد ينحدرون منها فحسب، بل لأنه يوجد بها أشجع المحاربين وأجود الخيول وأجمل الخيام. يقوم مقام القايد لديهم محمد أوكراران رفيق حسن القديم.
آيت شارط ويسكنون شرق خنيفرة بثمانية كلم بين آذخسان وآرُوكو، قائدهم هو بنعقا ولد الحاج حدو رفيق حسن القديم.

248/ آيت كْرَادْ.

آيت حمو عيسى: قبيلة من خمسمائة خيمة اشتهرت بالصراع الذي خاضته ضد إيمْحْزَانْ، تقطن في جبل الضفة اليسرى شرق آقْلاّل. من قصورها آسُّوَلْ وتاخُولاَنْتْ وتَاوْتُولْتْ وغيرها. قبيلة غنية بالخصوص بفضل بيع خشب الأرز القريب. قائدها هو بنعقا ولد الحاج حدو.
آيت بومزيل: قبيلة من حوالي خمسمائة خيمة مستقرة في جبل الضفة اليمنى لام الربيع عند منابع واد سرو على بعد 50 كلم شرق خنيفرة، منطقة نفوذ خاصة بآمهروق الذي تربطه بها قرابة من جهة أمه، ولذا طابَقَ سلوكُها معنا دائما سلوكَ آمهروق الذي منح قيادتها لخاله الذي يسحقها مثل باقي أعيان القبيلة.
آيت بومزوغ: قبيلة غنية من أربعمائة خيمة مستقرة في بوكجْدي حيث قصورها، كانت قديما عدوة لحَسن ومتصالحة معه اليوم ما عدا دوار محمد أوعْلاّ الذي لا يزال متمردا.
آيت بوحدو: قبيلة من حوالي خمسمائة خيمة مستقرة في سيدي عْمَرْ بين خنيفرة وسيدي لاَمِينْ، كانت تقطن خنيفرة سابقا لكن موحى أوحمو طردها منها، الشيء الذي يفسر الحقد الذي تكنه حاليا لأسرته لكن هذه العداوة تتلاشى تدريجيا. قائدها هو مصطفى أُورحو أحد أوائل الخاضعين من القبيلة، أسدى خلال قرابة عام خدمات حربية

كبيرة لمكتب آيت إسحاق، وهو رجل نزيه جدا تواجه سلطته معارضة شديدة من بنّاصر بَاوا الذي يكيد له كثيرا لدى أولعايدي وحسن بدون طائل.

آيت لحسن: فخذة من مائتين وسبعين خيمة يقال إن أصولها من إيشقيرن تستقر في الجبل بين سْرُو وشبوكا.

/249/ ونشير أخيرا إلى أن شرفاء لهري وآيت نوح البالغ عددهم مائة وثمانين خيمة يقطنون وادي شبوكا على بعد عشر كيلومترات شرق وجنوب خنيفرة.

قبائل الدير.

إيشْقَيرن.

إيمْزينَاتْن: يشكل إيمزيناتن قبيلة ضخمة من أكثر من ألف خيمة تضم ثلاث فخذات كبيرة: آيت مْشّانْ وآيت بويعقوب وآيت عبد الكريم بحصر المعنى وآيت بنمسعود.

وآيت مشان هم سكان لقباب الذي يعاد بناؤه بسرعة ويمتلكون قصورا على الطرف الشمالي للغابة شرق تِيمْدِيغَاسْ (بووْغْرُومْ وعَمّارْ ...إلخ). يعيش معظم الفخذة حاليا في المنازل لانعدام الخيام، لكن عدد الرحل المنتجعين يزداد تناسبا مع تحسن الوضع المادي للأسر. فضلا عن ذلك يواصل الرحل قليلي الثراء الإستقرار قرب القصور ولا يفكرون في المشاركة في عملية الإنتجاع الكبرى التي لم يتجهزوا لها بما يكفي خصوصا من حيث دواب الحمل. وتوجد الأراضي الزراعية للفخذة بالقرب من القصبات وتمتد حتى مجاز سرو.

أما آيت بويعقوب فهم مُلاك لِنْدا وتِيمْدِيغَاسْ ومَزْكوشّنْ وقصورهم مهدمة في أغلبها بسبب انعدام الصيانة خلال إخلائها، ويعيش الناس تحت الخيام قرب القصبات.

وأما آيت عبد الكريم بحصر المعنى أو آيت عبد الكريم الجبل فيقطنون المنطقة شرق لقباب من آدّرّاسْ حتى سْرُو في مستوى تاسْكَرْتْ/250/، ويمتلكون قصور آدّرّاس وبُولْفْتْ وآيت مَنّالْ وآيت تْوَالاَ ولْعَشْ. توجد أراضيهم الزراعية حول القصبات، والفخذة التي خضع بعض عناصرها منذ وصولنا ميسورة الحال دون أن تكون غنية، وتنتجع حيث تصل شتاء إلى منطقة آوْرِيرْ.

أما آيت بنمسعود الفخذة الأخرى لآيت عبد الكريم فهي اليوم الأكثر غنىً في القبيلة لعدم مغادرتها البلد لدى وصولنا، وتعيش تحت الخيام من أجل حاجيات قطعانها الهامة جدا، وتمتلك قصرين مسكونين هما تاسْكَرْتْ الذي تقطنه مع الشرفاء وتالْحْيَانْتْ، كما بنى أحد الأعيان قصبة صغيرة في آكدِّيمْ شمال غرب مَزْكوشّنْ. وتوجد الأراضي الزراعية على طول سرو بينما تقضي المخيمات فصل الشتاء في منطقة بوكرْكورْ وجبل بوتْنِيفْسْتْ.

ويمتلك إيمزيناتن بملوية قطاعا من الأرض يمتد في قدم الأطلس الكبير غرب مْزِيزِيتْ وتَاغْرِيشْتْ، وتتكون القبيلة من ثلاث فخذات (أثْلاث)، وبسبب الإمتداد الكبير لأرض

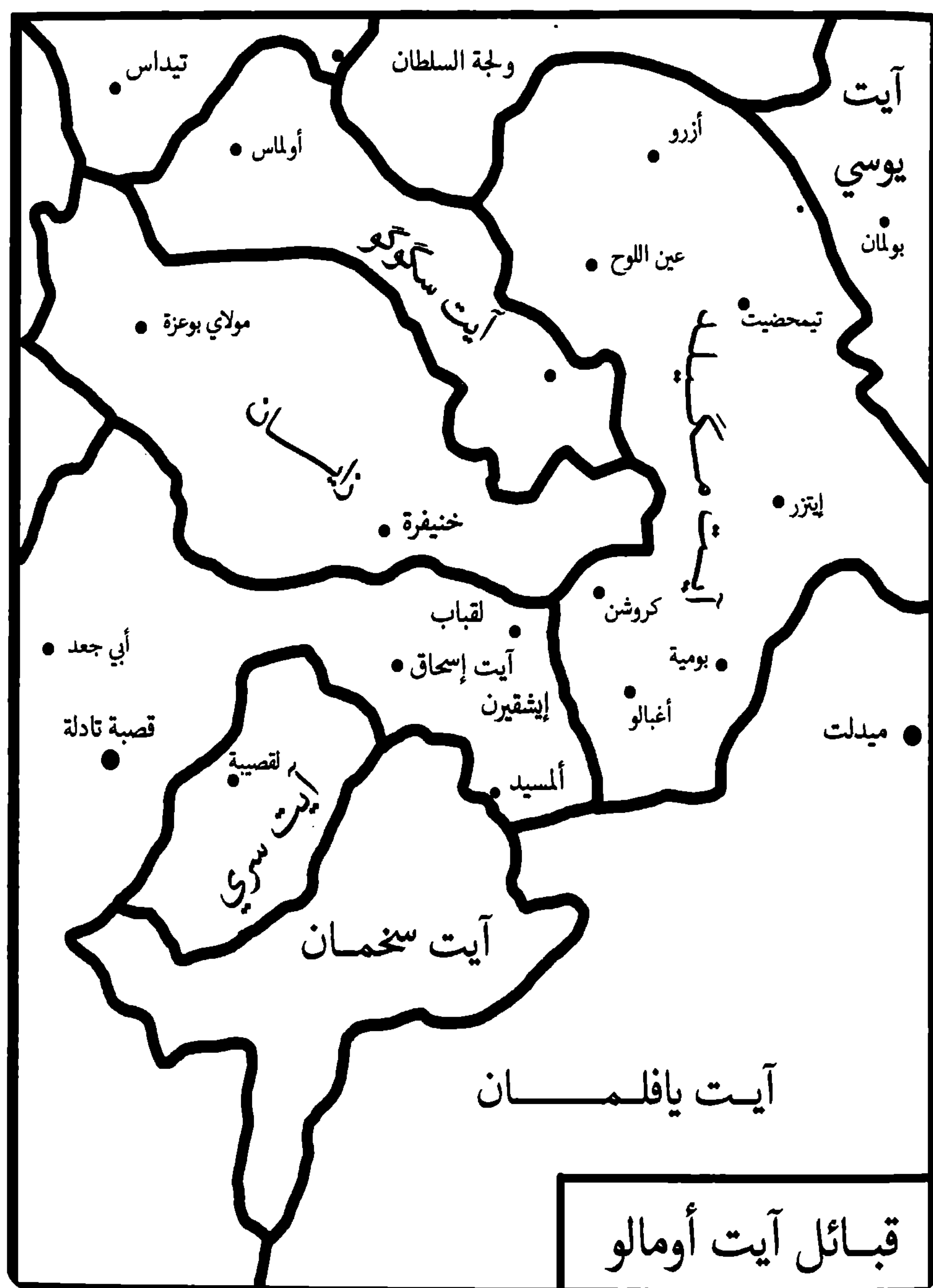
إحداها آيت عبد الكريم، قسمت هذه الفخذة من قبلنا إلى قسمين لكل واحدة رئيسها، ويسمى رؤساء الفخذات شيوخ قيد التجربة بينما يطلق عليهم إخوانهم شيوخ أو قياد دون تمييز. وداخل الفخذات يوجد أيضا على رأس كل الدواوير المُمَثّلة شيوخ دوار قيد التجربة.

أما الوضعية المادية والمعنوية فمتباينة حسب الفخذات: فالناس عموما لدى آيت مْشّانْ وآيت بويعقوب فقراء، لكن بفضل القروض التي منحت لهم والمبالغ الموزعة/251/ بمناسبة الأشغال تحسنت وضعيتهم بالملوس، إذ تمتلك كل الأسر تقريبا اليوم بعض الحبوب المزروعة وعنزة أو عنزتين على الأقل، بينما يشتغل المحرومون جدا خماسين أو رعاة بالربع لدى إخوانهم سواء كأجراء مياومين أو مُتقبّلين. أما آخرون فيكرون وفق شروط مريحة الأراضي التي لا يتمكنون من استثمارها بوسائلهم الخاصة.

وتعتبر الوضعية لدى آيت عبد الكريم الجبل أفضل شيئا ما، لأن عددا مهما من السكان الذين خضعوا خلال صيف 1922 عوض الهروب تمكنوا من الإستفادة من المحاصيل الجاهزة التي تركها العُصاة المزعومون. أما لدى آيت بنمسعود فالوضعية مزدهرة تماما إذ تتوفر القطعان والمزروعات بكثرة.

وإثر رجوعهم من التمرد وجد بعض إيمزيناتن وخصوصا من آيت مشان أنفسهم في وضعية جد مزرية، فتعاطوا لتجارة الخراطيش وبيع السلاح مستغلين حركة التنقل التي تمت بموافقتنا بين القبيلة والمتمردين بهدف جذب هؤلاء الأخيرين. لكن الإجراءات الحازمة التي اتخذت على التو لوضع حد لهذه التجارة كانت كافية لحمل الخاضعين على فهْم أفضل لواجباتهم ولا شيء يعيب سلوكهم حاليا. بالمقابل تم تقليص الزيارات إلى المتمردينً إلى الحد الضروري وأحيطت كل مرة بأقصى الإحتياطات، ومع ذلك لم تجن قضيتنا من ذلك الشيء الكثير لدواعي سنبسطها فيما بعد.
/253-252/





لوحة مقتطفة من خريطة مكتب الخرائط بالإقامة العامة

254/ آيت يعقوب أوعيسى.

تمتد أراضي القبيلة من منطقة إِيدِيكَلْ-تاكزّالْتْ إلى قرب تاجْمُوتْ مرورا بتِينْتْغَالِينْ التي تمثل مركز القبلية، حيث يوجد قصر مشترك لكثير من الفخذات التي كانت تخزن فيه حبوبها. وتتوزع الفخذات حسب منطقة السكنى على الشكل التالي:

آيت لحسن بآزرو

آيت سيدي علي بواد دونا

آيت امحمد أويعقوب
آيت شَرُّو } بتينتغالين ومنحدراتها الشمالية
آيت سليمان

آيت بلقاسم أويعقوب بتيغسالين

آيت مَسّانًا بآورير

آيت سيدي بوعلي بقصر يحمل نفس الإسم.

توجد الأراضي الزراعية حول القصبات أو حول أماكن التخييم المعتادة المبينة أعلاه، أما المراعي المستعملة حاليا فتتكون من الأراضي التي تركها المتمردون. وحين كانت القبيلة غنية بالقطعان كانت ترتاد جبل بوتّيِفِسْت وبوكرْكورْ وآزَغَارْ. ونظرا لانعدام قصور في حالة جيدة يعيش الناس في خيام بئيسة مصنوعة من أكياس قديمة وأقمشة بالية ممزقة، وتحتمي بعض الأسر بمنازل مرممة في قصور تينتغالين وآزرو.

ونظرا للعدد الضئيل للخيام الخاضعة عُيّن شيخ وحيد تحت التجربة على آيت يعقوب أوعيسى، ويمارس هذا الشيخ قيادته بواسطة شيوخ الأخماس المشكلين لبداية تكوُّن لجْماعْت الإدارية للقبيلة. أما الوضعية المادية والمعنوية للقبيلة فلا زالت بئيسة جدا، لكن هناك تقدم ملموس. فقد وصلت الخيام الخاضعة الواحدة تلو الأخرى في 255/ فاقة قصوى ما عدا خمسة أو ستة استثناءات. بل إن بعضها كان لدى وصولها إلى المنطقة الخاضعة في بؤس شديد بلغ حد وفاة شيوخها وأطفالها أمام أعيننا، رغم العلاجات التي قدمت لهم والإسعافات المتنوعة التي وزعت عليهم في الحال. كان يجب إذن تنظيم إعادة تشكيل هؤلاء الناس بطريقة ممنهجة، ولهذا الغرض تم فتح العديد من الأوراش التي وفرت للأسر القوت الفوري، ثم تم الحصول على قروض من البذور والمال من الشركة الأهلية للإحتياط بفائدة منخفضة، وأخيرا مُنح قرض مالي من ثلاثين ألف فرنك أتاح لكل أسرة محتاجة امتلاك ثلاث أو أربع عنزات تعطي الحليب والشعر لصناعة الخيام. وبفضل هذه التدابير والمراقبة الدقيقة لاستعمال الأموال والحبوب المُقْرَضَة، فإن الأسرة الأكثر تعاسة تمتلك اليوم بذورا في الأرض وبعض الحليب لأطفالها ومُسنّيها. ومن جهة أخرى تمكنت كثير من الخيام من كراء أراضيها في ظروف جيدة (منع البيع بأقل ثمن لتفادي النتائج الكارثية لوضعية مؤقتة)، بينما تمكنت بعض الأسر من الإفلات من الوضع

بالإشتراك في الزراعات مع الأجانب المستقريين في البلد خصوصا إيمحزان والمخازنية وجنود الكوم.
يعاني آيت يعقوب أوعيسى بأَنَفَة ولا يشتكون أبدا، وليست هذه الأزمة الإقتصادية الأولى التي يتعرضون لها كما ليست المرة الأولى التي اضطروا فيها لمغادرة بلادهم سنة 1922 ليعيشوا أحرارا. لقد رأينا بالفعل أعلاه أنهم أرغموا على المنفى إلى غَافُّو قرب تادلا حيث مكثوا عدة سنوات، مفضلين طلب الإستضافة في بلاد بعيدة على/256/ تحمل تبعات هزائمهم على يد الزاياني في عين المكان. بل نجد بعضهم استقر نهائيا في تادلا وأصبحت لهم ذرية هناك، وكسب آخرون أراضي وبنوا منازل يبحثون عن التخلص منها طالما أن وصول الفرنسيين أتاح الأمل في حياة أكثر استقرارا رغم أن إيمحزان لا زالوا أقوياء جدا. وهكذا فإن موقف القبيلة لائق جدا رغم الأيام العجاف.
آيت حماد أوعيسى: طردت القبيلة نحو الجبل على يد موحى أوحمو الزاياني، وبعد أن امتلكت مناطق آسّاكا ومْعَمَّرْ وواد بَنْ خْلِيلْ جنوب وشرق آيت إسحاق لم يعد لهأ أي شبر في السهل، بحيث توجد الحدود الشمالية لأراضيها بالقرب من مركز تاسْفِيلاَلْتْ وتمتد نحو الجنوب إلى تاكزّالْتْ وتُوجِّيتْ، أما مركز القبيلة فيوجد بالمَرْسْ وتتوزع فخذاتها كالتالي:
إيخْشْتِيكنْ بسيدي يحيى أوسَعْد وتَاوْلِي،
آيت علي أوحماد بالمرس وجبل مولاي يعقوب،
آيت يحيى أوحماد بتِيطْ نْ إيصْدَقَا قرب تِيسْلِّي نْ رُونِيتْ.
علاوة على ذلك تمتلك القبيلة بالمشاركة قصر بُوتَغْدِيوْتْ الذي استعيد بالحيلة من يد آيت إسحاق خلال المرحلة الأخيرة من الحرب ضد موحى أوحمو، ويقطنه آيت حماد أوعيسى الذين لم يقووا بعد على إعادة السيطرة على تِيطْ نْ إيصْدَقَا قرب تِيسْلِّي نْ رُونِيتْ. وتوجد الأراضي الزراعية للقبيلة حول هذه القصور وفي ملوية. أما بالنسبة لمراعي الشتاء فكانت القبيلة تذهب إلى آزغار مع آيت هُودي متفادية آيت إسحاق الأعداء، لكنها تمكنت أحيانا من الحصول من هؤلاء أو من القايد موحى أوحمو على/257/ الإذن بالذهاب بقطعانها نحو تاجموت.
تضم القبيلة ثلاثة أثلاث متساوية القوة تقريبا، ووُضعت كل فخذة تحت قيادة شيخ دوار معيَّن من قبل لجْماعْت، ووُضع الجميع تحت قيادة شيخ تحت التجربة معين بدوره من قبل رأي عام القبيلة ومُعتمَد من طرفنا. وتشبه الوضعية المادية والمعنوية للقبيلة تقريبا وضعية آيت يعقوب أوعيسى، مع وجود أسر ميسورة لدى آيت حماد أوعيسى تنحدر أساسا من العناصر التي وجدت نفسها مستقرة لدى زايان سنة 1922 أثناء احتلالنا للبلاد ولم تعانِ من الأزمة العامة، ومع ذلك اعتبرت القبيلة فقيرة واستفادت مثل جيرانها من قروضنا وسُلْفاتِنا.

إن آيت حماد أوعيسى بعيدون عن امتلاك شهرة إيمزيناتن أو آيت يعقوب أوعيسى، لأنه رغم شجاعة محاربيهم والإنتصارات التي حققوها أحيانا فإنهم يعتبرون متخلّفين وليس لديهم أي شيء يشرّف قبيلة. وفعلا لم يعد لديهم أعيان بارزون بحق منذ وفاة القايد غُودَانْ الذي نصب على رأسهم من طرف موحى أوحمو في فترة هدوء. من جهة أخرى لا توجد لديهم خيمة تستحق بعض الإعتبار أي في مستوى استقبال ضيوفها بحفاوة، وهو ما يمثل الحضيض في أعين الأمازيغ. فهم باختصار حسب أقوال جيرانهم وإخوانهم حيوانات متوحشة (لُوحُوشْ)[99] يستحقون بحق البلاد شديدة الوعورة والمكسوة الغابات التي يقطنونها. وعلى كل حال لا يُكِنّون الإحترام والإخلاص إلا لشيخهم وآكرّامهم الكبير سيدي محمد بن الطيبي.

/258 على غرار آيت يعقوب أوعيسى لم تتأثر القبيلة بحركة الخضوع العامة لسنة 1922، كما أن خضوع الخيام الموجودة حاليا تحت مراقبتنا قد تم على ثلاث سنوات وخيمة خيمة، وكان ضروريا إغاثتها في الحال ثم مساعدتها في إعادة التأسيس على غرار آيت يعقوب أوعيسى وإيمزيناتن، مما جعل وضعيتهم جيدة اليوم، فلكل أسرة ما تعيش به في انتظار مستقبل أفضل. وبما أن الحالة المعنوية مرتبطة بموارد الخيمة فإنها على العموم جيدة ومتأثرة بالكاد بالخسائر الكثيرة التي تكبّدُها إياها عصابات إيجّيّاشْن الأعداء التي تساعدها طبيعة الأرض.

أما بخصوص السياسة فمنعدمة وكل واحد منشغل بحقله أكثر من مصير جاره، ويتذكر الناس جيدا أنهم كانوا قديما أعداء وأن القبيلة سُلبت أجود أراضيها على أيديهم لكنه يتم الإقرار أيضا بأنها الحرب.

شرفاء تاسْكرت: تقطن المجموعة المنسوبة لتاسكرت على ضفتي واد سرو شمال شرق لقباب وتوجد أهم وأكثر قصورها على الضفة اليمنى: تاسْكَرْتْ وسَالُونْ وتامْحَرَارْتْ وتِيكلْمَامِينْ، أما في الضفة اليسرى فلا نجد إلا مُزِيزِيتْ التي تعتبر أحد أروع الأماكن بالبلد صيفا. وشرفاء تاسكرت مستقرون يملكون قليلا من القطعان ويقومون بالزراعة حول مساكنهم، وللقبيلة شيخ يمارس قيادته بواسطة شيوخ القصور الذين يعيَّنون بعد استشارة لجْماعْت. ورغم الأصول العربية للمجموعة فإنها تُسَيَّر وفق العرف الأمازيغي مع بعض التحفظات/259/ وتتكلم الساكنة العربية والأمازيغية دون تمييز.

أما الحالة المادية والمعنوية للقبيلة فجيدة على العموم، وبحكم انضمامها سنة 1922 بفضل آمهروق الذي كانت تعتبر دائما تحت حمايته في أوساط الأمازيغ، فإنها خضعت منذ وصولنا إلى بلاد إيشقيرن ولم تتعرض بذلك لأية خسائر، كما أنها تستفيد شيئا ما من تجارة الخشب الذي تصدره إلى أبي الجعد وبني ملال، لكن هذه التجارة تواجه حاليا

---

99 يعني الوحوش، وقد كتبها كنون كما ينطقها الأمازيغ. (المترجم)

عراقيل بسبب التدابير المتخذة لحماية الغابة، ومع ذلك فإنها تسمح بضمان عيش عدد هام من الأسر.

آيت إيحاند: تضم قبيلة آيت إيحاند فخذتين ضخمتين: آيت الرّبِع وآيت سَعْدْلّي، فآيت الربع أغنياء ولم تفر الكثير من خيامهم لدى وصول جيوشنا مُتّبعين بذلك مصير الوجيه سيدي ادريس من آيت علي أُوموسى. وهم يقطنون بشكل رئيسي بلدات كْرُوشّنْ وتَاسّاوْتْ على السفح الشمالي لتَامَا نْ مِّيلُويّتْ[100]. أما آيت سعدلي الذين توجد مضاربهم من جهتي نفس الكتلة الجبلية (آرُوكو وآزَرْكو وتامْقَايْدُوتْ ...إلخ) فيوفرون أغلبية الخيام المتمردة حاليا، وقد ساد الإعتقاد في لحظة ما أن الخشية من إيمحزان هو ما يُبْعِدهم، لكن إبعاد هؤلاء الزعماء الأهالي من القبيلة لم يغير الوضعية رغم الحماية الفعالة جدا التي حققت في ملوية. ليس للقبيلة قائد حتى الآن ويتولى شيوخ مؤقتون قيادة الفخذات بمساعدة لجماعات.

آيت إسحاق: تضم القبيلة خمس فخذات ضخمة/260/كل خيامها تقريبا متمردة، ويشمل مجال سكناها السهل والجبل، إذ تمتلك في السهل زاوية آيت إسحاق التي تعتبر قرية كبيرة جدا مبنية بشكل جيد، وبُوَاهْرَا ووَاوْمَانَا، أما في الجبل فتسكن مْعَمّرْ وبُوتَاصّنْفْصَافْتْ وخَدِّي وسيدي سْعيد، ونظرا لخصوبة أراضيها وأهلها مجتهدون في العمل فإن القبيلة بصدد استعادة ازدهارها بسرعة. وعلى غرار إيشقيرن وآيت إيحاند ليس لها قائد بَعْدُ ويقود كلَّ فخذة شيخٌ مؤقت.



100 تاما نْ ميلويت: أي سفح أو منحدر مْ إيلُويّتْ، حيث نقف هنا على الإسم الأمازيغي لنهر ملوية (م إيلويت) وهو مركب من «مْ» وتعني ذات أو صاحبة، وإيلويْتْ على غرارَ مْ الربيع. (المترجم).

العمل في المستقبل

أولا: القبائل.

بما أن احتلال بلاد زايان والدير وملوية أمر واقع اليوم وبلاد آيت سخمان ذاتها قد بوشر احتلالها بإقامتنا في آغبالا وبوواطّاسْ، فإنه بقي لنا أن نُخضع في السفح الشمالي للأطلس الكبير بلاد آيت يحيى وعاصمتها تونفييت من جهة، ومن جهة أخرى بلاد آيت سخمان التي تمتد من بوواطاس إلى نواحي وَاوِيزَغْتْ عند الإتصال مع آيت عْطّا، وتوجد هاتان المنطقتان في الحد الأقصى لما سمّاه المارشال ليوطي «المغرب النافع». وعلى كل حال وبحكم موقعهما في قدم الحاجز الهائل الذي يشكله الأطلس الكبير فإنهما تمثلان الحد الإجباري لتقدمنا من الشمال.

توجد منطقة تونفييت الواقعة في أقصى المنطقة المعنية تحت النفوذ السياسي لدائرة إيتزر وإقليم ميدلت اللذين تمكنا من دراسة كل خصوصياتها بعمق. لكن إقليمها وكما كتبنا ذلك من قبل في سنة 1919 يشكل ملجأ مثاليا لكل المتمردين الفارين من سلطتنا، ومن جهة أخرى فإن محاربيها شجعان ومقدامون وقد لا يتأخرون عن تلبية نداء آيت سيدي علي وآيت سخمان المهدّدين في واد/262/ العبيد، ومن ثم يتعين علينا الحديث عنها ولو بإيجاز بهدف إحصائي.

ففي واد العبيد غير المنيع من الشرق والغرب والشمال، تتمثل القبائل المعنية مباشرة في آيت عطا ومتمردي الدير (آيت إيحاند وإيشقيرن وآيت إسحاق وآيت مْ لْبَخْتْ وآيت ويرًّا...إلخ). ولكن بما أننا لا ندرس هنا إلا منطقة واد العبيد الأعلى فلن نتحدث إلا عن القبائل القاطنة فيه، أي آيت سخمان الشرق (آيت حْمَامَا وآيت عَبْدِي) ومتمردي الدير. أما قبائل السفح الآخر للأطلس الكبير فيبدو أنها لامبالية بمصير جاراتها في الشمال التي تفصلها عنها الجبال الشاهقة. ومع ذلك بما أننا بدأنا نسمع عن آيت حديدو مباشرة بعد خطواتنا الأولى غرب وجنوب آغبالا، سنعطي في هذا العمل بعض المعلومات التي استقيناها عن هذه القبيلة.

آيت يحيى.
اعتبارات عامة:

ينتمي آيت يحيى للإتحادية الأمازيغية الكبرى آيت يافلمان من نفس أصول آيت عْيّاشْ وآيت إيزْدَگ في السفح الشمالي للأطلس الكبير وآيت حْدِيدُّو في السفح الجنوبي، ويقدم الملحق 6 تركيبتهم وتوزيعهم. يقطنون منطقة تونفييت وهي بلدة من ثلاثمائة منزل على واد أُودْغَسْ، ويحدُّ آيت عياش وآيت بوكمّان (آيت مْكيلْدْ) مجال ترابهم شمالا وآيت مسعود وإيشقيرن غربا وسلسلة الأطلس الكبير جنوبا وشرقا.

تقع قصورهم على طول مختلف/263/ المجاري المائية التي تتخلل البلاد خصوصا على طول آنْسْكمِيرْ وواد أُودَغْسْ وروافد هذين الواديين وروافد ملوية، كما تجوب فخذاتهم من الرحل الهوامش الشمالية للبلاد من ملوية إلى آنْسْكمِيرْ وتستقر بضفتي واد أُودَغْسْ، حيث تقل الثلوج وتكثر المراعي ويسهل التنقل أكثر من داخل البلاد حيث البرد القارس والتضاريس الوعرة بالنسبة لقطعانهم، وتعتبر منطقة المراعي هذه أيضا مجال فلاحتهم، إذ كانت المزروعات تغطي مساحات كبيرة لاسيما في أراضي «البور»، مما يجعل أهمية المحصول رهينة بكمية الأمطار المتساقطة خلال السنة. غير أنه منذ احتلال بُودْرَاعْ و أُودَغْسْ أقامت القبيلة بمنخفض تُونْفِييْتْ الذي باشرت استغلاله بكثافة.

وبصفة عامة تعتبر البلاد غنية بسبب قطعانها الكثيرة وأهمية زراعاتها التي تغذي بوفرة حتى القبائل المجاورة شرقا الأقل حظا من الناحية الطبيعة. علاوة على ذلك تشكل الغابات التي تكسو البلاد مصدرا لموارد هامة متأتية من تجارة خشب البناء المنعدم في ملوية. وأخيرا تتيح طبيعة التربة إمكانية وجود مناجم معدنية غير معروفة حتى الآن من طرف الأهالي.

الوضعية السياسية العامة.

رغم صعوبة الوصول عموما إلى بلادهم من طرف الأرتال والمحلات الشريفة، فإن آيت يحيى اعترفوا بسلطة المخزن وقبلوا بها لمدة طويلة. ففي سنة 1885 وهي الفترة التي تعود إليها/264/الذكريات الدقيقة للأعيان الذين أمدُّونا بمعلومات، وخلال حَرْكَة السلطان مولاي الحسن إلى ملوية، قدّم آيت يحيى تلقائيا خضوعهم للسلطة المركزية إسوة بآيت مكيلد ووفّروا المؤن للمَحَلّة، وقبلوا قيادة القايد موحى أوالحاج أوتاماسُوتْ من عشيرة آيت عبْدي الذي عيّنه السلطان في المنصب، وعقب وفاته وافقوا على أن يتولى القيادة ابنه لحسن نْ موحى أُولْحاج الذي أشرف على تنصيبه القايد موحى أوالطالب من آيت يوسي، والد القايد عمر المعروف والذي كان خليفة للسلطان على ملوية. وقد جاء موحى أوالطالب إلى تونْفِييْت على رأس حرْكة قوية كان ضمنها مائة فارس من آيت عياش الخاضعين حاليا، ومكث عشرين يوما جاب فيها البلاد في كل الإتجاهات لتسوية النزاعات التي سببتها خلافات اللحظة.

غير أن القايد الجديد بدا ضعيفا بالمقارنة مع أبيه، وبعد سنتين فقط في المنصب فقَدَ كل سلطة وصمّمت فخذة مهمة ومعادية (إيشَمْهَانْ) على إرغامه على التنحّي، وأمام رفضه التخلي عن القيادة قامت بغزو قصره ذات ليلة وهدمت كل بيوته مرغمة لحسن على الفرار مع إخوانه آيت عبدي، حيث لجأ المنهزمون إلى قصر آيت خْنِينِي

بإيدِيلْ في ملوية السفلى.
ومنذئذ انتقلت السلطة إلى أيدي العديد من الأعيان الذين يدينون بالقيادة لظروف مختلفة، لكن أغلبها بالكيد وبتضحيات مقدمة لبعض الجيران الأقوياء أكثر منها بالإستحقاق. هكذا إثر وفاة القايد اليوسي القوي موحى أوالطالب وقيام صديقه موحى أوحمو الزايّاني بمد نفوذه حتى/265/آيت يحيي، نُصب المدعو باسو قائدا على هؤلاء من طرف هذا الزعيم القوي، فبذل الوجيه حَمُّو أُوجِّيلالي المستاء من هذا التعيين جهودا حثيثة لدى القايد المكي من آيت بوكمّانْ ليضم فخذته إيمَتْشِيمَنْ إلى «نايْبته» ويفرضه هو قائدا عليها، ثم قام وجيه ثالث هو أُوحَمّو بعد التسبب في تدخل عسكري جديد لزايان في شؤون آيت يحيى بمبرر تافه بتولي قيادة آيت حْنِينِي الذين أعلن استقلالهم السياسي حوالي 1907.
من بين كل هذه القيادات، وحدها هذه الأخيرة بقيت بنفس مجالها الترابي ولكن في وضعية باتت معها وهمية وشرفية صرفة، وقتل القايد باسو الذي لم يعد يقود إلا آيت علي أوابراهيم في قتال ضد آيت مسعود، بينما تم الغدر بالقايد حمّو أُوجِّيلالي من إيمَتّشِيمَنْ واغتيل على يد آيت أُوشْنْ إحدى العشائر التابعة له. ولم يعوَّض أي أحد من القائدين لعدم اهتمام الزاياني بشؤون هذه القبائل بسبب وصول الفرنسيين إلى الشمال وإلى تخوم بلاده، فانتقلت السلطة داخل كل فخذة إلى لجْماعْت التي ظلت مؤتمنة عليها إلى اليوم.
ومع ذلك تم انتخاب أمغارين كل عام من طرف أعيان القبيلة، أحدهما يدعى آمْغار نْ تَقْبِيلْتْ (شيخ القبيلة) يقوم برئاسة لجماعت وتنفيذ قراراتها وفق الشروط المذكورة أعلاه، بينما يُدعى الآخر آمغار نْ تَزْمَّالْتْ (شيخ الحرب) ويقوم بدور قائد محاربي القبيلة خلال مدة العمليات الحربية.
هذا هو التنظيم الذي نجده إلى اليوم لدى آيت يحيى وإن كان الإنضباط/266/له نسبيا، إذ يبقى رهينا بقيمة كبار (إيمَقْرَانْ) كل فخذة ومدى احترامهم للكلمة الممنوحة وبالوضعية الداخلية، غير أن الذين يتنصلون منه نادِرُون على كل حال.

علاقات الفخذات فيما بينها ومع القبائل المجاورة.

عانى آيت يحيى على غرار كل القبائل الأمازيغية ولا يزالون يعانون قليلا من الصراعات الداخلية التي تعزى عادة لخلافات مصلحية تافهة بين شخصين، لكنها تتحول إلى صراع تتورط فيه القبيلة كلها، مما جعل الفخذات تكن كراهية لا توصف لبعضها البعض.
لكن يبدو أن العداوة التي أشرنا إليها سنة 1919 بين آيت علي أُوبْراهيم وآيت حنيني من

جهة وآيت موسى أوعثمان وآيت فضولّي من جهة أخرى قد خفَّتْ بسبب استقرارنا في ملوية العليا، ويبدو أن الفخذات تعيش في سلام تام تقريبا. ومهما يكن فإن تضامنها تامٌّ في مجال السياسة الخارجية.
يعتبر آيت يحيى أقوياء ومحاربوهم كثيرون ومُرعِبون وهم سادة تونْفيِيتْ السوق الأكثر تموينا في المنطقة، كما يخترق بلادَهم الممرُّ الوحيد الذي ترتاده القوافل المتجهة إلى الجنوب أو العائدة منه، ويسكنون بلادا صعبة تعتبر معقلا دفاعيا بالنسبة لهم وملجأً لقبائل السهل التي طردها تقدم جيوشنا، وهم معادون صريحون لنا ويعيشون من ثم في وئام مع جيرانهم المتمردين آيت مْكيلد وإيشقيرن وآيت إيحاند وآيت سخمان، الذين لا تخفى عنهم/267/ قوتُهم ويقدِّرون حق التقدير المعونة التي يمكن انتظارها منهم إذا تطلب الأمر ذلك، ولا علم لنا بتسوية خلاف بين آيت مْكيلد وآيت يحيى بالسلاح خلال السنوات الأخيرة.

الموقف تجاهنا.

أما بخصوص سياسة تغلغلنا فقد برهن آيت يحيى دائما على عداء شرس، وهو عداء موجه ضد الأجنبي أكثر منه ضد النصراني كما هو الحال في كل مكان ببلاد الأمازيغ، ولكنه عداء نشيط بشكل غير عادي. وبمعزل عن الأعمال التي بادروا بها لوحدهم، لم يُنفذ أي واحد من تلك التي قام بها آيت مْكيلد المتمردون دون مشاركة آيت يحيى، ويعود ذلك إلى اعتقاد الأهالي عموما باستحالة وصولنا إلى بلادهم قبل بدء تحرّك أرتالنا، وتزداد قناعتهم حين يكونون محميين مثل آيت يحيى بالطبيعة التي نصبت أمام الغزاة المحتملين حاجزا حقيقيا غير قابل للإجتياز إلا من أماكن نادرة. فباطمئنانهم لهذا الحصن الطبيعي يعتقدون أنهم في مأمن من فرقنا المتنقلة ومتيقنون من عدم معاقبتهم على آثامهم. من جهة أخرى كانت تونفييت دائما مركزا سياسيا ودينيا، وبقرب هذه البلدة عاش سيدي علي آمهاوش واستقر بين آيت علي أوبراهيم بصفة نهائية فقيه هذا الزعيم الديني سيدي مُحَنْد أُولْحاج، الذي يدعي أنه ورث سلطته ويواصل مهمته الرامية لتوحيد المسلمين ضدنا.
بمثل هذه المعتقدات ومع وجود محرض نشيط جدا فإن معنويات آيت يحيى/268/ لن تكون غير ذلك، وسيظل عداؤهم مستحكما حتى اليوم الذي نقيم فيه وسط بلادهم، وبالتالي يبدو أن العمل السياسي سيبقى معطَّلا.
مع ذلك يبدو أن إيمَتْشيمَنْ يشكلون استثناء لهذه القاعدة لوجود قصورهم في آنْسْكمير الأعلى في احتكاك مباشر تقريبا مع الخاضعين لنا، خصوصا بعد إنشاء البرج المحصّن

لتَامَالُوتْ. فنظرا لانعدام مراعي أخرى غير تلك الموجودة على مرمى مدفع هذا المركز أو عناصرنا المتنقلة، فأنهم يقتربون منا أكثر فأكثر ويرتادون أسواقنا ويتعاملون أحيانا كمُوالين حقيقيين. لكن هذه التدابير الطيبة تفتقد للصدق ولا تحول دون تعاطي المعنيين لتجارة تهريب نشيطة، بل التواطؤ مع عصابات إيجياشن وحرّكات العدو العاملة ضدنا.

آيت سخمان.

تضم الإتحادية أربع قبائل: آيت حْمَامَا وآيت عَبْدِي أو آيت سخمان الشرق وآيت داوْدْ أوعْلي وآيت سْعيد أوعلي أو آيت سخمان الغرب، ويُعتقد أن الجد المشترك لهذه القبائل هو علي سخْمان الذي منح أبناؤه الأربعة أسماءهم للمجموعات (حمي وعبدي وداود وسعيد)، ويقال إن علي سخمان قد يكون له ابن خامس يدعى وِيرّا[101] وذريته هم آيت وِيرّا، لكن ينبغي التأكد من هذه المعلومة.
يشبه تنظيم آيت سخمان في كل شيء تنظيم قبائل آيت أومالو الأخرى كما ورد وصفه في القسم الأول من هذا العمل، ولا تتميز الإتحادية إلا ببعض الخصوصيات في كلامها /269/ تقرّبُها من آيت حديدو وآيت مرغاد السفح الجنوبي للأطلس. من جهة أخرى فإن طبيعة مصالحها وموقعها الجغرافي يجعلها تُلحَق بـ«إيبُودْرَارْ» (أهل الجبل) وهو اسم النظام الإتحادي الذي يجمع آيت يحيى وآيت حديدو بقبائل واد العبيد وجزء الأطلس المتوسط الواقع غرب ناوُورْ.
يسكن آيت سخمان بلدا كان يقطُنه فيما مضى آيت يمّور المرحَّلين إلى مراكش من قبل السلطان مولاي اسماعيل (1690) وآيت يحيى الذين شيدوا آغبالا، وقد شاركوا غالبا في الصراعات الدموية بالمنطقة، لكن يبدو أن سيرتهم مستلهمة دائما من خضوعهم التام لآيت سيدي علي ومن صداقتهم مع آيت يعقوب أوعيسى. وحوالي 1876 شوهدوا وهم يحاربون إلى جانب هؤلاء ضد إيمْزِينَاتْن (حادث سْعيد أُوعَقّا الذي صَفَع باسّو أُوبَخْتَا)، وفي سنة 1916 حملوا السلاح وساعدوا آيت إيحاند على امتلاك قصر آزَرْزُو الذي نازعهم فيه إيمْزِينَاتْنْ، في حين ظلوا غير مبالين كليا بالنزاع بين حسن وأُولعايدي، أما النزاعات الداخلية التي تندلع في الغالب لأتفه الأسباب فكثيرة نورد أهمها أسفله:
1 – نزاع آيت عبْدي – آيت حْمَامَا.
نشأ هذا النزاع عن رغبة آيت عبدي في أخذ بعض أراضي جيرانهم وإخوانهم وتميز بعدة معارك دموية، وفي نهاية المطاف وبعد استيلاء آيت حماما على أحد قصور آيت

101 وردت في النص الفرنسي Guerra، وهو خطأ مطبعي واضح، لذا أثبتنا الإسم كما هو معروف.(المترجم)

عبدي خلال هدنة طُردوا وهُزموا وفقدوا آغْبالو نْ كَرْكُورْ فضلا عن منعهم من مراعي إيكدْلانْ(102).

/270/ 2 – **نزاع آيت بُولمْان- آيت وَاغَاضْ.**

نجهل لحد الآن السبب الأصلي الحقيقي لخلافات آيت عبدي، إلا أن الكراهية بين فخذات آيت بُولمْان وآيت وَاغّاضْ شديدة ومستحكمة، وازدادت حدتها منذ دخول الوجيه حدّو أُوحَمّو من آيت بولمان في علاقات مع مكتب آلمسيد، فتواترت الإشتباكات بين الدواوير العدوة لكن دون أن تسفر عن نتيجة حاسمة.

3 – **نزاع آيت علي أو زايد- آيت خُويا مُحَنْدْ:**

لما أبدى سيدي محمد ولد لالة خديجة ابن عم سيدي علي الرغبة في الزواج من باتول ابنة إحدى نسائه أو عشيقاته السابقة (رابحة مبارك)، عارضت هذه الأخيرة غيرةً بدون شك، فقام طالب يد المرأة بذبح خروف على شرف آيت خويا مُحنْد طالبا دعمهم، وردّت رابحة من جهتها بطلب حماية آيت علي أُوزايد ليندلع القتال بين الفخذتين سقط فيه عدة قتلى من الطرفين، ولم يتوقفا عن الإقتتال إلا إثر تهديد آيت خويا محند بالإستجاد بآيت وَاغّاضْ.

4 – **نزاع آيت عبدي– آيت سيدي علي:**

في مستهل شهر فبراير 1924 شكك سيدي أوطلحة وسيدي الزبير من آيت سيدي علي في صحة إسلام شخصين من إيشقيرن، وسلبوا لهما إثني عشر تَلِّيساً من القمح وأربع جرّات من السمن. لكن هذين الإيشقيرين استنجدا بحماتهم (آيت تِيخْسِي) آيت عبدي من بلاد آيت سخمان الذين تبنوا قضيتهما.

إثر بعض المساعي من طرف لجْماعات بدا أن القضية سُوِّيت، غير أن آيت سيدي علي تأخروا كثيرا في إرجاع الغنيمة فقام آيت عبدي/271/ بأخذ الثأر بالإستيلاء على قافلة تعود لخصموهم. فأراد سيدي المكي ولد سيدي علي حينئذ منعهم من سوق بُووَاطّاسْ بل أوعز بنهب آشقير ثالث محْميّ لآيت عبدي. فانتقم هؤلاء بتنفيذ عدة عمليات سطو ضد مسكن سيدي المرتضى ولد سيدي علي وضد سيدي المكي ولد سيدي علي الذي كان يستهزيء بهم، لتتم تسوية القضية بعد ذلك بدفع تعويضات لصالح إيشقيرن المسلوبين. وقد نالت هذه الأحداث من سمعة وهيبة سيدي المكي.

أما تجاهنا فقد برهن آيت سخمان دائما عن العداء، لكنه عداء لم يعبر عن نفسه إلا بعمليات لصوصية قليلة الجرأة، وبمشاركة ضعيفة في الهجوم على البرج المحصن لآلمسّيد في شهر نونبر 1922، كما أن أحد أعيان آيت بولمان يُدعى حدّو أُوحمو دخل في علاقات

102 وردت خطأ إيكدْلاَم، والصحيح ما اثبتناه، ج. أكدال أي المراعي (المترجم).

معنا سنة 1923، لكنه لم ينجح بعدُ في إقناع إخوانه بضرورة المجيء إلينا. لنذكِّر أخيرا بموقف آيت سخمان تجاه ابن عم وعساكر مولاي الحسن الذين ذُبِّحوا غدرا بآغبالا (ينظر فصل موحى أوحمو أعلاه).

ثانيا: معلومات اقتصادية.

تشتهر منطقة واد العبيد بفقرها لا غير، فبمعاينة البلاد فعلا يتبين بوضوح أن المساحات القابلة للزراعة تكفي بالكاد لتلبية حاجات الساكنة. وقبل وصولنا إلى المنطقة كان آيت سخمان أصلا في حاجة إلى/272/التزود بالحبوب من مناطق لقباب وآيت إسحاق الأكثر حظا، وهو نفس حال جيرانهم الجنوبيين آيت حديدو الذين يقطنون مناطق أقل خصوبة وذات مناخ أكثر قساوة.

و توجد لدى آيت سخمان الشرق أكبر المساحات القابلة للزراعة على ضفتي واد العبيد وبالأخص الضفة اليمنى في تيزي إِيسْلي وآغْبالاَ، فهناك يمكن القيام بزراعات جيدة دون التعرض لخسائر كبيرة، وتهم القمح والشعير والذرة وآدْكّو (الدُّخْن أو الذرة البيضاء).

خارج هذا القسم المنخفض من البلاد والقابل للري بسهولة، لا توجد إلا قطع أرض فقيرة موزَّعة بشكل غير متساو على مجموع التراب في قاع الأودية الثانوية في تماسٍّ مع الجداول التي تجري بها، بل إن قصور آيت سخمان الواقعة بين كتل الأطلس بناحية تِينْكارْفْ وكُوسَرْ تجهل حتى استعمال المحراث بسبب القساوة الإستثنائية للمناخ، كما يسود نقص كبير في الحبوب لدى آيت حديدو على الجانب الآخر من الأطلس الكبير إلى حد أن القبيلة الموزَّعة على طول آسِيفْ مْلّولْ وآسيف آسْلاّتْنْ وإلى الجنوب قليلا بإيمْدْغاسْ تكاد لا تعرف القمح، المخصّص للأسر الغنية حقا والقادرة على الحصول عليه من بعيد وبتكلفة عالية.

ويتعذر القيام ببعض زراعات الحبوب إلا على طول الأودية وروافدها بسافلة السواقي التي تُجْلَب مياهها أحيانا من مسافات بعيدة جدا، ويُزرع القمح في بداية شتنبر ويُجنى في غشت وهو من النوع الرديئ، أما الشعير فيتم بذره في ماي ويُحصد في غشت أيضا بينما تُجهل الذرة والدُّخْن. هكذا تدعو الضرورة إلى تعويض نقص الحبوب باستعمال/273/ أنوية التمر المطحونة المُحوَّلة إلى دقيق بل يُؤكل حتى نبات الفِصة في الحساء.

أما بخصوص تربية الماشية فتبدو منطقة واد العبيد أكثر حظا من الزراعات، إذ تتوفر القطعان بها على مراعي ممتازة في كل الفصول. وهكذا كان آيت سخمان يرتادون شتاء السفوح الجنوبية للأطلس المتوسط التي لم نصِلْها بعد، أي المنطقة الواقعة غرب وجنوب

غرب مركز آغبالا وجنوب لَقْصِيبة، بينما يقصدون صيفا الضفة اليُسرى لواد وِيرِنْ في كتلة إِيكدْلاَنْ. وترتكز تربية الماشية أساسا على الغنم والماعز وبندُر البقر. كما نجد لدى آيت حديدو قطعانا ضخمة من الغنم يسوقونها شتاء لتلتحق بقطعان آيت سخمان أو جنوبا نحو آمْدْغُوسْ، وخلال الصيف يعيشون أساسا بجوار بحيرة إيسلي على طريق آغبالا- آسيف ملول وزيز، ولا تملك القبيلة إلا حوالي عشرين فرسا في المجموع وهو عدد ضئيل جدا ومفهوم بسبب طبيعة البلاد.

أما المنتوجات المستوردة (المنسوجات القطنية والسكر والشاي) فمتوفرة بكثرة في المنطقة وتُجلَب خصوصا من الجنوب ومن بن شْرُّو على جبهة الشّلُوح، كما أن الأسعار بها أقل من المنطقة الخاضعة، وتتم الصفقات بمقايضة المنتوجات الطبيعية في حين يتم البيع بالتقسيط نقدا.

تجدر الإشارة إلى أن المرأة لا تستهلك الشاي والسكر قط لدى آيت حديدو كإجراء تقشفي.

وليس في البلاد أي صناعة بارزة، إذ يُستخدم الصوف لصناعة خيام قليلة الجودة وذات أحجام صغيرة في الغالب وكذا برانس بيضاء مشهورة، أما الزرابي الملوّنة فكانت مجهولة قبل اكتساح البلاد من طرف متمردي الدير (آيت إسحاق وآيت إيحاند وإيشقيرن)، ومنذئذ اقتنقت كل خيمة زربية أو أكثر مغتنمة ضائقة البائعين المضطرين للتخلص من أمتعهم لكسب قوتهم. وكما هو الحال في خنيفرة ولقباب يصنع بعض الغرباء وحتى بعض آيت سخمان آغبالا المتمردين حاليا حقائب جلدية وبلاغي وأغلفة سروج، والأسواق كثيرة ومُرتادة لاقتضاء العادة توفر كل فخذة على سوقها، وتتمثل أهمها في آغبالا يوم الخميس وبُوَاطّاسْ يومي الإثنين والأربعاء، وتِيزِي إِيسْلِي يوم الأربعاء وبُوتْفَرْدَا يوم الثلاثاء وتِيطْنْ بْلاَلْ يوم الإثنين وبُوآعْدِيلْ يوم السبت. كما يتم ارتياد أسواق آيت يحيى ليومي الأحد بتونْفِييْت والسبت بإيدِيكْلْ وكذلك سوق سُونْتَاتْ لدى آيت حديدو.

تجدر الإشارة أيضا إلى السوق السنوي لآكدُودْ بآسيف ملول الذي يعتبر معرضا حقيقيا ينعقد مدة ثلاثة أيام حوالي 10 شتنبر من كل سنة، ويغتنمه الشبان لاختيار زوجة من بين الفتيات اللائي يأتين لآكدُودْ في أبهى زينتهن أملا في إثارة الإنتباه والظفر بزوج.

باختصار لا تحتوي البلاد المدروسة على أي مورد خاص معروف لدى الأهالي،/275/ وحدهم حطّابونا بإمكانهم التعاطي لاستغلال الأرز الذي يقال إنه جد متوفر ناحية تاغْدْلُونْتْ، أما مناجم المعادن فلا يذكر الأهالي أي واحد منها بدقة ولكنها قد تكون موجودة.

ثالثا: معلومات سياسية.

أدت عودة السلم في الشمال وتهدئة بقعة تازا ونفي عبد الكريم وخضوع سيدي رحو واحتلال بوواطاس وآغبالا، والعجز الواضح لإيكرّامْنْ آيت سيدي علي وآيت سيدي الطيبي إلى تغيير الوضعية السياسية في منطقة واد العبيد إلى حد كبير، بحيث لم يعد الحديث فيها عن طرد آرُومِيّ كما كان عليه الحال في 1925 و1926، وتم أخيرا إدراك عجز القبائل وقوتنا الخاصة، بل هناك قناعة بأنه يجب فعل ما فعله الآخرون آجلا أو عاجلا رغم التنبؤات والأوهام، أي الخضوع والتحول إلى «إيمْصُوبَرْنْ» (ترجمة قدحية لكلمة خاضعين) مثل إيشقيرن وزايّان، إلا إنه من غير المحتمل أن يتم ذلك، وحدَهم بعض بؤساء آيت سخمان الطامعين في الحصول على بعض المال بسهولة التحقوا بآغبالا حيث يسود حاليا «الرجل ذو القبعة» (بُووْشَمْرُورْ).

إلى ماذا يعزى هذا العزوف العام؟ فيما سبق كان أعيان الدير المدعُوّون للدخول لإعطاء المثال يتذرّعون بالخوف من إيمَحْزَانْ في بقائهم بعيدا عنا، فبعضهم كان عدوا لحسن وآخرون يخشون أُولْعايْدي، وبعضهم الآخر مستاء كما يبدو من وجود بَاعْدّي ولد موحى أوحمو في آيت إسحاق أو أخيه موسى في كْرُوشْن/276/ ليُظهر التمنّع في البداية والتهرب فيما بعد، ولكن الأمر لم يعد كذلك حاليا، إذ يجب التخلي عن هذا الموضوع السهل لأنه بات واضحا للجميع أنه لا مجال مطلقا لتنصيب قايد من إيمحزان على آيت سخمان.

هل يمكن الزعم إذن بأن هذه الوضعية تعزى لآيت سيدي علي؟ قد يبدو لنا ذلك مستبعدا، لأن هؤلاء الأشخاص الذين تضررت مصداقيتهم كثيرا وأُفْقِروا وطُردوا من ديارهم، لم يعد لهم ما يكفي من السلطة لفرض شروطهم على جيرانهم وزبنائهم آيت سخمان فأحرى على متمردي الدير. في ظل هذه الظروف يجب البحث عن عوامل أخرى، إذ تكمن في نظرنا دواعي إطالة تمرد إيشقيرن وشركائهم وسكان آغبالا فيما يلي:

في البداية يعلم كل واحد أن الأمازيغي الحالي على غرار أسلافه يعشق حريته أولا ومسقط راسه وأرض أجداده ثانيا، ولا شيء أثقل عليه من السلطة من حيثما جاءت ويحارب بشراسة إلى آخر رمق للإفلات منها. وحين يكون مهددا من طرف من هو أقوى منه يفضل هجرة الأوطان والتمتع بحريته بعيدا على المكوث في قريته مذلولا، وأخيرا لا يوافق على الخضوع إلا بعد التضحية بماشيته وخيمته وبندقيته من أجل حريته، ولا تبقى له إلا تلك الوسيلة الأخيرة لإنقاذ أبنائه من الموت دون إلحاق العار والفضيحة بنفسه.

إذا كانت هذه العقلية صحيحة حين يتعلق الأمر بالحرب بين المسلمين، فإنها أكثر حدة حين يتعلق بالخضوع لنصارى ذوي ديانة وعادات ولغة مختلفة عن السائدة في البلاد، وللتيقّن من ذلك يكفي إلقاء نظرة على الماضي وتذكّر حالة البؤس/277/التي رجعت

إلينا فيها الخيام التي خضعت سنة 1922 والسنوات التالية، بحيث لم تكن بعض النساء مرتدية إلا أسمالا مظفورة من أوراق الدّوم ولم يتناول أطفال صغار طعاما منذ أربعة ايام، واستغرق شيوخٌ منهكون بالتعب والجوع ثلاثة أيام للمجيء من مركز آسَرْدُونْ إلى مركز آيت إسحاق (18 كلم)، وناموا ليلا على الأرض الجامدة واقتاتوا بالبلوط الأخضر والمُرّ. ومن ثم يمكن التسليم بأن آيت سخمان على غرار أهل الدِّير الذين يأوُونَهم ويتخذونهم نموذجا لن يتخذوا أي خطوة تجاهنا طالما لم يحسبوا أنفسهم مُفْلِسِين.
من جهة أخرى لا ينبغي أن نتجاهل المشاعر الحقيقية للأمازيغ المتمردين تجاهنا كما هي منتشرة على يد آخر عتاة الرافضين لعملنا، إنهم لا يحبوننا بل يمكن القول إنهم يكرهوننا، ليس لأعتقادهم أننا «أعداء الرسول» وهو ما يمكن أن يغفروه لنا عن طيب خاطر لأن «الله هو الذي خلقنا كذلك»، ولكن أيضا لأن عاداتنا تصدم بعنف عاداتهم، وليُسمَح لنا بتدقيق هذه التفاصيل.
فالتبوُّل وقوفا على حائط أو في أي مكان أمام أعيان أو نساء يعتبره هؤلاء الجبليون وكل الأهالي على حد سواء قلة حياء تامة، ويعتبر أكل الخنزير وتفضيل شريحة خنزير بري على قطعة من لحم الخروف وأكل لحم الطريدة «نَتِنا»، وتفضيل الجبن المصنوع والمغلف بالحشرات وشُرب النبيذ الأحمر «مثل دم الخنزير»، والتدخين والمشي على الزرابي بالأحذية، كل ذلك يعتبر بالنسبة لهم قمة الدناءة.
أما قلة أدبنا وفظاظتنا فتتجلى غالبا/278/في طريقة معالجتنا للقضايا بمكاتبنا دون تقديم ولو كأس شاي، وفي طول الإنتظار تحت المطر أو الشمس الحارقة الذي يفرضه بعض رؤساء المكاتب على الأعيان الذين يعتبرون أنهم عوملوا «مثل الكلاب»، وغير ذلك من التفاصيل الكثيرة التي يعيرها الأمازيغ انتباها أكثر من النِّعَم التي نغدقها عليهم. غير أن جهل رجالنا أو مجرد عدم انتباههم لا يشكك في أهمية هذه التفاصيل، إذ غالبا ما نجهل الأمازيغ وهم بدورهم لا يعرفوننا أحسن أو بالأحرى يعرفوننا عبر الوشايات والأكاذيب السائدة ضدنا.
كما قد يُعتقد بالمقابل أن الأمازيغ المتمردين يعترفون بقيمة الحياة الهادئة والمنظمة التي منحناها لإخوانهم الخاضعين، إلا أن ذلك غير صحيح، فالعدل الذي نوزّعه مجانا «عادل ومحايد» بدون أدنى شك، إلا أن عدم إجادة الحديث بالأمازيغية من طرف «لْحَاكَمْ» يحول دون سماع تظلمات هؤلاء الناس البسطاء الذين يشكلون قاعدة المجتمع إلا بعد «إثارة اهتمام» المخازني الذي يقوم بالترجمة أو الشيخ الذي يعرف بعض الكلمات بالعربية ويتحدث مباشرة مع الضابط.
أما التنظيم الذي وضعناه فيعتبر سرابا خادعا لأن أعضاء لجْماعات التي أسسناها مُختارون أكثر فأكثر من بين الأثرياء وأصدقاء القياد. مجمل القول إن المتمردين الذين

يبحثون عن تحريض وتعبئة المقاومة لا يودون إلا رؤية الجانب السيئ لتجديدنا ومؤسساتنا.
أكيد أن المسالك التي نخُطّها مفيدة جدا غير أن الأمازيغ البؤساء هم الذين يشقونها تحت سياط المخازنية وأفراد الكوم القُساة، كما أن أمن المنطقة الخاضعة/279/ مؤكد لكنه يُعزى لزايّان وإيشقيرن المساكين الذين يموتون يوميا في الغابات التي عليهم مراقبتها، ثم إننا نشيّد منازل جميلة وقناطر صلبة لكن الخاضعين ودوابهم من يقوم دائما بالقسم الأكبر من العمل، وأخيرا يُؤاخذ علينا إرغام الأطفال على ارتياد مدارسنا لجعلهم نصارى ولا يلقِّحُهم أطباؤنا «إلا من أجل معرفتهم لاحقا لحظة التجنيد».
هذا في نظرنا هو الأساس الحقيقي لفشل جهودنا السلمية ليس في آغبالا ولقصيبة فحسب، بل في كل مكان نحتك فيه مع ساكنة أمازيغية. ربما سيُقال إنه بإمكاننا مواجهة هذه العقلية بدعاية أكثر نشاطا بواسطة الخاضعين لنا وصناديق التغلغل، لكن ذلك لن يكون إلا وَهْما، لأن أنصارنا مشتبهٌ فيهم من قِبل إخوانهم الذين يتهمونهم بعدم الإطراء علينا إلا لجذب ضحايا آخرين إلى جانبهم. أما صناديق التغلغل فالله وحده ورؤساء مكاتب الجبهة يعلمون ما يمكن انتظاره من فقرها.
وعلى كل حال، رغم انتصاراتنا في الريف سنة 1926 واحتلال بوواطاس وآغبالا في نفس السنة، ورغم براعة وتفاني ضباطنا العاملين في المنطقة، فإن آيت سيدي علي وآيت سخمان لم يوافقوا على المجيء إلينا، مفضلين مثل إيشقيرن سنة 1922 أن يعانوا من البرد في قدم الأطلس الكبير على الخضوع لسلطتنا، بل إن حدّو أُوحَمّو نفسه الذي ينهال علينا بزياراته منذ أربع سنوات لم يقدم لنا بعدُ أي دليل على سلطته في القبيلة.
في هذه الظروف ووفق الأطروحة التي سبق عرضها في عملنا السابق حول واد/280/ العبيد، سنقول إن الوسيلة الوحيدة لتسريع عمليات الخضوع بمعزل عن الإحتلال التدريجي للبلاد على يد أرتالنا هي توفر فرق خيالة كثيرة وجريئة في مراكزنا، قادرة على الإغارة على القطعان والحيلولة دون المراعي والأراضي الزراعية، أي تفقير وتجويع الدواوير المتمردة ومنحها «مبرر البؤس» الذي بدونه يتعذر عليها الإقدام على إشارة خضوع دون أن تلحقها وصمة العار.
لا يتعلق الأمر بخوض الحرب من أجل الحرب لأن ذلك ليس أسلوبا فرنسيا، بل بتسريع الخضوع والسلم عبر عمليات صغيرة على طريقة بوعْزّا، مدروسة جيدا ومنفّذة بسرعة من قبل مساعدينا الأهالي وحدهم. إضافة إلى ذلك ولكي يتاح لنا استغلالٌ تامٌ لنجاح هذه العمليات، نظن أنه من المفيد أن يُلحق برئيس المكتب الأكثر تقدما وجيه شاب من الأهالي نشيط وذو سمعة جيدة، يكون دوره جذب واستقبال غير الخاضعين والمتمردين الحائرين وإقناعهم. إن هذا الوسيط لا غنى عنه لأن الدبلوماسية الأمازيغية تتضمن إشاراتٍ وكلماتٍ لن يعرف ضابط فرنسي فعلها أو قولها مهما كان مطلعا ونبيها. غير أن

هذا الوجيه يتعين اختياره من أناس «مُهيَّئين» من قبل في الخلف بشكل يُطَمْئِن الأعيان الذين يهمُّهم الأمر بخصوص قيادة القبائل والفخذات مستقبلا.

رابعا: معلومات عسكرية.

تشكل جبهة آغبالا-واويزغت مرورا بلَقْصِيبة جيْبا ضخما مُغلَقا من الجنوب بسلسلة الأطلس الكبير،/281/تعيش فيه ليس آخر القبائل غير الخاضعة بالمغرب فحسب، بل كل المتمردين الوافدين من المناطق المجاورة التي وصلتها جيوشنا. وينقسم هذا الجيب إلى منطقتين متميزتين ومتوازيتين بشكل ملحوظ مع سلسلة الأطلس الكبير: منطقة قمم الأطلس المتوسط ومنطقة واد العبيد.
يبلغ متوسط ارتفاع المنطقة الأولى التي تطل على واد مْ الرّبيع ألفي متر ويسود فيها شتاءًا مناخٌ قاسٍ وتقلبات جوية جد عنيفة ومتواترة. ونظرا لتضاريسها المتموجة جدا تمنح أوديتها ومنخفضاتها للدواوير غير الخاضعة ملاجيء مقبولة إلى جانب أراضي زراعية ومراعي صيفية.
أما واد العبيد حيث تنتهي فروع الأطلسين فيتميز بمناخ أكثر اعتدالا ولا يتعدى علوه ألف ومائتي متر، ويمثل لسكان البلد آزغارا حقيقيا مثل ناحية سيدي حاسين لدى زايان. ثم إن غير الخاضعين بالمنطقة والغرباء اللاجئين عندهم ليسوا على عجلة للإقتراب منا، غير أن احتلال بوواطّاس وآغبالا في التخوم الشرقية للجيب وكذا عملية القضم التي باشرناها في منطقة بني ملال قد أثارت انتباه خصومنا، إذ يتساءلون بقلق إن كان الأمر يتعلق ببداية التطويق وباتوا يفكرون في إيجاد ملجأ أكثر أمنا. لكن إلى أين الذهاب والحال أنه ليس وراء الجبال القاتلة التي تحد البلاد من الجنوب إلا الصحراء بكل جفافها؟ فيبقى الناس حائرين وقلقين ولا عزاء لهم إلا الأمل في تدخل/282/ إلهي لا ينبغي للمسلمين المؤمنين أن يفقدوه.
والحال أنه ليس هناك أسهل من احتلال هذه البلاد إذا اعتبرنا أن واد العبيد يمنح أرتالنا العملياتية في الشرق كما في الغرب طرق مواصلات رائعة، إلى جانب تسهيلات عجيبة في الإقامة، إلا أننا نعتقد كما كتبنا سابقا أن تطويق القبائل المستقرة حاليا شمال النهر- إذا افترضنا أن ذلك ممكن- غير مرغوب فيه لأن مثال بقعة تازا كافٍ لإبراز سلبياته. فالأكيد فعلا أن ساكنة محاصرة وذات حاجيات قليلة مثل أمازيغنا لا تفقد شيئا من قدرتها على المقاومة، خصوصا إذا كانت العملية ستتلوها فترة بطالة طويلة لأرتالنا. فبحكم كونها لا تزال تتصرف في قصورها وحقولها وتعرف بلدها معرفة جيدة، فإنها لن تكون إلا مصدر متاعب للنطاق الضيّق المشَكّل حولها من خط مراكزنا وخطوط مواصلاتنا. أما بخصوص

تموينها بالسلع والحاجيات الأساسية فمن العبث الإعتقاد أنها ستُحرَم منه في أي وقت، لأن خاضعينا سيعتبرون دائما أنه من الواجب تسهيله رغم كل الإجراءات المتخذة.
يتعيّن علينا إذن غزو منطقة واد العبيد بتمدُّدنا على نحو واسع تبعا للتقدم وبشكل يعزز مراكزنا، ويرغم الرافضين المفترضين على إخلاء المنطقة واللجوء نحو جبال الأطلس غير الملائمة، والتي لن يتأخروا في العودة منها متعقّلين بصفة نهائية. أما النقاط الواجب احتلالها فمن المجازفة تحديدها بدقة على مسافة طويلة، ومن جهة أخرى فإن الجهاز/283/الواجب وضعه سيتوقف أساسا على موقف القبائل إثر العمليات وعلى القوات التي سنتوفر عليها للتمسك به.
ومع ذلك هناك نقاط يبدو من الضروري احتلالها منذ الآن، إما لكونها بؤرا أكيدة للإضطراب ينبغي تدميرها، وإما لأن أهميتها كتجمعات أو كمواقع عسكرية تفرض ذلك.
هكذا نرى منذ اليوم أنه يتعين احتلال مناطق سيدي يحيى أُويُوسف وتاغْدْلُونْتْ وسيدي عْمَرْ أُوحَلّي في المقام الأول، والتي سبق أن أشرنا إليها السنة الماضية كملاجيء مُحتملة لغير الخاضعين بعد احتلال بوواطاس وآغبالا. وفي حالة ما إذا لم تسمح طبيعة البلاد بتنقل أرتالنا فيها بسهولة أو إقامة مراكز دائمة بها دون مخاطر كبيرة، سيكون ربما من الأفيد أن نقيم في المدخل الشمالي للممرات التي توجد بها التجمعات التي تحمل نفس الإسم لسجن السكان وقطعانهم في جبالهم، إما إلى غاية احتلال تونفييت الذي سيُسْقِط سيدي يحيى أُويوسف دون قتال، أو حتى الشتاء القادم الذي سيرغم آيت سيدي علي وإِيغَدْلُونْ وآيت سيدي عْمَرْ أُوحَلّي على المجيء إلينا.
بعد ذلك نعتقد أنه ينبغي لنا احتلال منطقتي تِيزِي إِيسْلِي وبُوتْفَرْدَا اللتين ستضمنان لنا الإمتلاك الفعلي لمنطقة الإنتاج الرئيسية لآيت سخمان وتحميان آغبالا في الغرب، بينما ستباشران الإتصال مع المراكز التي ستخلق لاحقا أو بالتزامن في العالية تجاه واويزغت.
أخيرا سيكون ضروريا احتلال منطقة ناوور في اتجاه لقصيبة حيث لجأ أغلبية متمردي الدير،/284/ خصوصا كبار أعيان آيت إسحاق وآيت ويرا. وستُمَكّن هذه العملية التي يُحتمل أن تشمل خلق عدة مراكز وسيطة (ناحية جبل مُوقِينْ بالأخص) من ربط الإتصال بين منطقتي واد العبيد ومْ الربيع، كما ستُعيد الأمن أخيرا إلى كل هذه المنطقة الغابوية الممتدة من تيسْلِّي نْ رُومِيتْ إلى لقصيبة، مما سيعيد لآيت حماد أوعيسى وآيت م لبخت وآيت ويرا التصرف الحر في مراعيهم الصيفية.
هذا هو برنامج القسم الأول من العمليات المرتقب تنفيذها في منطقة واد العبيد من الشرق، وطبيعي ألا نتوقف لإبداء آراء تكتيكية لا محل لها في هذا العمل المتواضع، ولكن ليُسمَح لنا بالقول إن مرتفعات الأطلس المتوسط (الدير) لن تسقط بدون خسائر كبيرة بالنسبة لنا إلا من الجنوب فقط.

أما بخصوص تنفيذ هذه العمليات، فليُسْمح لنا أيض بتمنّي رؤية كل تقدُّم لنا يُستغل بشكل ملائم، بإصدار أوامر لآلاف الأنصار الذين نجندهم عموما بالإغارة علی كل ما يمكن أن يجدوه ونهبه في دائرة قطرها عشرين كلم أمام فرقنا المتنقلة، لإن ذلك كما سبق أن قلنا أعلاه أكثر ما يخشاه غير الخاضعين لكون الأمر يتعلق بأُسَرهم وقطعانهم. إن كل خاضعينا الحاليين يُجمعون على أنه لو تقدم الألفان من الأنصار المنضوين في رتل تيفني الفرقةَ المتنقلةَ بساعة يوم 2 ماي 1920 بآيت إسحاق، وانقضوا على المخيمات المباغَتَة في السهل لخضعت القبيلة في الحال، متفادية بذلك الخسائر الفادحة التي تكبدتها لاحقا ولتفادينا نحن موت كثير من الجنود تحت ضربات إيجياشن،/285/وهو نفس ما حدث مع إيشقيرن في 16 ماي 1922 بتِينْتّغَالِينْ ثم بعد بضعة أيام بتِيمْدِيغَاسْ وآمْسّيدْ. تتضمن هذه العمليات مجازفات بالطبع لكنها لن تكون خطيرة أبدا، لأن أنصارنا المسلحين جيدا والمتوفرين كل مرة على ذخائر بالآلاف سيتغلبون دائما وبوضوح، كما أنهم مستشارون جيدون من هذه الناحية ولن يتخلف زعماؤهم المطلعون دائما أفضل منا عن تحذيرنا من الخطر حين يكون موجودا.

خامسا: معلومات عن النقاط الهامة.

سيدي يحيى أُويُوسف: بلدة كبيرة واقعة في منابع واد العبيد (آسِيفْ نْ وِيرِينْ هنا) على بعد ثلاثين كلم شرق آغبالا في اتجاه تونفييت، وهي مركز ديني دُفن فيه ولي بنفس الإسم وكانت ملجأ لمتمردي آيت سيدي علي من بوواطاس الذين غزوا أيضا مناطق بُواَغْدِيلْ وبوزيان في النواحي.

تاعدلونت: تجمع سكاني من مائة أسرة من إيغْدْلُونْ وأقدم مركز بالمنطقة قد يكون معاصرا للإحتلال البرتغالي، ويمثل إيغْدْلُونْ حسب الرواية المحلية أحفاد بقايا هذا الجيش المسيحي الذي سحقه سيدي يحيى أويوسف قديما، فانصهرت هذه البقايا التي أسلمت في البلاد ومنها ينحدر أهل تاعدلونت. شيدت تاعدلونت على الضفة اليسرى لواد وِيرِينْ في قدم الأطلس الكبير، وقد بنيت منازل خاصة حديثا/286/على الضفة اليمنى من طرف آيت سيدي علي، كما توفر عينٌ الماءَ الشروب ويكثر الخشب في الجوار. ويبدو أن هذا الموقع يوجد جنوب خط ملوية-واد العبيد ولكنه مَطْروق من تاوْرِيرْتْ لمْلُوشْ.

سيدي عْمَرْ أُوحَلِي: تجمع من ثلاثين إلى خمسين منزلا في ملك مْرابطين يحملون نفس الأسم، يقع على واد آغْدُّو بين كتلتين جبليتين ويتحكم في الممر المؤدي من آغبالا-بوتفردا نحو بلاد آيت حديدو. المسافة من آغبالا 28 كلم.

تيزي إيسلي: تجمع من حوالي مائة منزل لآيت عبدي يقع في سهل آزاغار فَالْ على

الضفة اليمنى لواد ويرين، على بعد حوالي 7 كلم من هذا المجرى المائي. وينبع من قدم جبل نِيفَارْ واد صغير يخترق تيزي إيسلي. التربة خصبة وملائمة لزراعة القمح والشعير يسقيها واد نيفار وواد ويرين. تتكون قرية تيزي إيسلي من جهة من القُصَيْرَاتْ التي تجمع في نفس الحي عناصر فخذة واحدة: قصيرة إِيزْغْوَادْنْ وقصيرة إِيمَرَّايْنْ وآيت سيدي علي وقصيرة لالة فَاضْمَا حَمُّو، ومن جهة أخرى من منازل فردية مستقلة عن بعضها البعض. تتزود الساكنة بالماء من نهر نيفار شتاء ومن عين واقعة في قدم قصيرة إيزغوادن صيفا يساوي صبيبها صبيب عين آلمسيد وماؤها عذب. وبها سوق أسبوعي ينعقد كل يوم أربعاء ويرتاده حشد كبير من المتسوقين. وتعتبر تيزي إيسلي المركز السياسي لآيت عبدي ويطل عليها جبل أوكشال ويتوفر الخشب في غابة نيفار.

بوتفردا: قصر من مائة وثلاثين أسرة من آيت عبدي على واد ويرين على بعد حوالي 10 كلم جنوب تيزي إيسلي، ينعقد فيه سوق محلي صغير يوم الأربعاء/287/وتعطي فيه الحبوب محصولا مهما. وهو أيضا مكان للرعي بالنسبة للماشية خلال الصيف والخريف. تتزود الساكنة من عيني ماء تنبعان من جوانب واد بوتفردا قرب القصر، كما يتوفر الخشب بكثرة في الغابة المجاورة، وهناك مسلكان: مسلك بُومَيَّا ومسلك تيزي إيسلي. ويبدو أن بُوِيْنُوبُودْنْ، وهو مرتفع من الأرض يقع بين واد وِيرِينْ وقصر بوتفردا، ملائم لإقامة مركز عسكري.

ناوور: قصر لآيت ويرا من بضع عشرات من المنازل لجأ إليه متمردو آيت ويرا وآيت مْ لْبَخْت وآيت إسحاق، وهو إقامة سيدي محمد بن الطيبي الحالية ومركز سياسي اكتسى منذ 1922 أهمية تكاد تساوي أهمية بوواطّاس.

سادسا: المقاومة.

نعتقد أن رتلا منطلقا من آغبالا في أي اتجاه بالقطاع المستهدف لن يجد قط أمامه أكثر من ألفي بندقية مختلفة في نفس الآن، منها ثلاثمائة إلى أربعمائة سريعة الطلقات. ويمثل أهل الدير أفضل المحاربين، ولكن نظرا لاضطرارهم لبيع أسلحتهم لكي يعيشوا فإن آيت سخمان-وهم أقل خطورة- مدعومين بآيت سيدي علي وآيت ويرا يشكلون القسم الأكبر لقوات العدو. وسنواجه المقاومة الأكثر عنفا لدى آيت ويرا في ناحية بن شَرُّو ونَاوُورْ إذا لم يؤد الإحتلال السابق لنقطة ما بجهة جبل موقين إلى الإخلاء المبكر للمنطقة.

/288 **استنتاجات وملاحظات.**

قبل إغلاق هذا العمل، لنحاول الختم باستخلاص الدروس من الوقائع المعروضة. فبداية على الصعيد العسكري، لنُحَيِّ التصور الناجح الذي أشرك ثلاثة أرتال قوية في احتلال خنيفرة يوم 12 يونيو 1914، فبدون انتشار القوات هذا كان النجاح مشكوكا فيه ومتاعبنا كبيرة.

قد يندم البعض على عدم توغل هذه القوة في بلاد زايان إثر تنظيم المركز السياسي لخنيفرة، أو على عدم احتلالها الفوري لكل مجرى مّ الربيع لمنع زايان من ولوج مراعي الضفة اليمنى للنهر، غير أنه يكفي التذكير بأننا وصلنا إلى بلاد زايان عشية الحرب الأوربية للإقتناع بأنه لم يكن بالإمكان فعل أحسن مما تم فعله، كما أن حوادث فرار المجنّدين الشباب من الفرق العسكرية المغربية تدعونا إلى عدم إشراك الجنود الأهالي غير المجرَّبين وغير المتعودين على طرقنا الحربية في العمليات الدائرة في مسقط رؤوسهم أو في جواره، فالجندي الأهلي حاد الطبع وسريع التأثر ولا قيمة له إلا حين تجعله أقدميته في الخدمة منضبطا ومُكونًا بما فيه الكفاية، ويكون لرؤسائه المباشرين سيطرة مؤكدة عليه.

كما أن قضية لهري غنية أيضا/289/ بالدروس، إذ تقوم دليلا بالخصوص على أنه لا ينبغي أبدا لجيش نظامي يقوم بعملية أن يعتبر مهمته منتهية، طالما هناك احتمال بأن العدو الذي اضطر إلى ترك دواويره سيعاود الهجوم، وهو ما يحدث عموما.

وفي المقام الثاني تبيَّن مرة أخرى أن أخطر أعدائنا المحتكّين بغير الخاضعين هم مخبرونا الأهالي حتى عندما لا يكون وفاؤهم ونزاهتم محل شك، لأن هؤلاء الأهالي لا يحكمون على الأحداث مثلنا وتصريحاتهم لا تكون أبدا بريئة بالكامل، مما يفرض الحذر منها دائما خصوصا حين يتعلق الأمر بمصير حياة الناس. كما أن تطوعهم المتكرر لتقدم أرتالنا أو عناصرنا الخفيفة لا يجب اعتباره ضمانة لأمن وسلامة لقواتنا، فإلى جانب كونهم لا يقيمون وزنا كبيرا لحياتهم فهم عاجزون عن تقدير الإمكانيات والصعوبات.

لقد تم احتلال بلاد آيت أومالو عقب انتهاء الحرب الأوربية في أحسن الظروف الممكنة بفضل الأنصار الزايانيين بقيادة زعمائهم الأهالي، وبفضل مخزن خنيفرة وطوابير الكوم الممتطين للخيول الأول والخامس والثاني عشر والثالث والعشرين، الذين بذلوا طيلة أكثر من سبع سنوات جهودا خارقة تحت إمرة بوعزا وضباط الشؤون الأهلية، وعلى حد علمنا ليست هناك قبائل أُشركت في الحرب ضد إخوتها كما فعل زايّان بتفوق. من جهة أخرى سيبقى مخزن بوعزا بالنسبة لكل الذين عرفوه نموذجا/290/ لما يمكن أن يكونه جنود أهالي من هذا النوع، حين يكونون تحت قيادة رجل شاب وشجاع ووفي. وأخيرا فإن رجال الكوم الممتطين للخيول المشار إليهم أعلاه أثبتوا لمن رآهم أثناء العمليات ما يمكن انتظاره من رجال كومنا حين نوافق على تركهم يحاربون بطريقة البلد الذي يشتغلون فيه. أما بوعزا فكان إحدى أجمل فتوحاتنا في بلاد زايان ولن نجد مثيلا له قط في المغرب، لأنه جمع إلى جانب الإخلاص الشديد والمؤكد تهورا لا مثيل له وتواضعا قلما نجده لدى أهالينا.



في المجال السياسي، سنحاول أن نستخلص من الصفحات السابقة بعض الدروس والخلاصات، وسنقوم أيضا ببعض المقارنات بين ما كان في الماضي وما حافظنا عليه أو حققناه في مجال العُرف، وأخيرا سنفحص في أي الظروف سنستفيد في المجال السياسي والعسكري من المعرفة المكتسبة اليوم عن العقلية الأمازيغية.

كما سبق أن رأينا، كان آيت أومالو يخضعون قبل وصولنا إلى البلاد لتنظيم جد بدائي، غير أن الجماعة والفرد كانا يجدان فيه مصلحتهما، ولم يكن يُؤاخَذ على المؤسسات القائمة إلا ضيق الإطار الإجتماعي الذي كانت تتحرك فيه: إطار القبيلة.كانت أسباب ومخاطر الحرب متوقفة فعلا على تعدد الحدود وعلى خُلُق ومزاج الناس المجاورين.

/291 ومهما يكن الأمر فإن لجْماعت كانت حقا سيدة مصائرها داخل القبيلة، فهي لم تكن تنتخب ممثليها أعضاء لَجْمَاعْت ولكنها كانت تمارس عليهم مراقبة لصيقة جدا بحكم حضورها الدائم تقريبا لمداولاتهم، بشكل كان يصعب عليهم مخالفة إرادتها أو معاكسة طموحاتها. وحدهم الزعماء الأقوياء جدا مثل موحى أوحمو الزاياني وموحى أوسعيد الويراوي تجرأوا على التفكير في ذلك ونجحوا في مناسبات عديدة، غير أنهم نجحوا في تكوين أنفسهم مسبقا بفضل القوة العسكرية فقط.

أما ما يتعلق بالفرد فكانت حياته وأملاكه مصونة في حدود المرجو بفضل تضامن أعضاء القبيلة ومواثيق التحالف التي كان حرا في إبرامها مع أفراد آخرين من المجموعات المجاورة. وحين يخرج من تراب «تاقْبِيلْتْ» كانت «تازْطَّاطْ» و«تَاضَا» مضافة إلى الشعور المثالي بالشرف لدى الأمازيغ يضمنان له أمنا وسلامة تامَّيْن في جميع الظروف، وإذا حدث وتعرض لأي أذى رغم الإحتياطات المتخذة جريا على العادة فإن دواره وفخذته وقبيلته فضلا عن حلفائها يعتبرون أنفسهم مضطرين لحمل السلاح من أجل إنصافه، ولن يجنحوا للراحة إلا بعد بلوغ هذه النتيجة أو السقوط دونها جميعا تحت ضربات الخصم. بالمقابل يلتزم كليا بمساندة إخوانه وفخذته أو حلفاء دواره بمجرد ما يرى أن دعمه ضروري بالنسبة لهم ضد أجانب.

أما بخصوص حريته فإنها مقدسة إلى حد أننا لم نجد في أي مكان أثرا لعرف يفرض عقوبة السجن حتى في حالة جريمة معترف بها، فالمتهم يمكن أن «يؤكل»/292/ أي تُنهب كل ممتلكاته كما قد يُضطر إلى النَفي أو يُقتل أثناء هيجان شعبي، لكن لا يمكن في أي حال من الأحوال إلقاء القبض عليه وسجنه. فحين رأى موحى أوحمو أنه من المفيد لسياسته سجن أفراد من آيت يعقوب أوعيسى بآذخسان أُسروا خلال معارك في بلاد إيشقيرن، لم يقم بذلك إلا تحت غطاء السلطة المخزنية التي كان مؤتمنا عليها. ثم إن هذه القبيلة التي تعرضت لتلك الإهانة احتفظت له بحقد دفين لم يخِفّ كليا بعدُ. والحقيقة أنه لا يمكن أن يُطلب أكثر من شعب في مثل هذه الحالة من التأخر.

لنَرَ الآن ماذا فعلنا لهذا المجتمع الذي أعلن وكرّر كل رؤسائنا وإدراريينا رغبتهم الأكيدة في احترام تقاليده وأعرافه، على الأقل بما لا يتعارض مع متطلبات أمننا. بداية عيّنّا على كل قبيلة قائدا يعتبر ممثلنا وممثلا للمخزن المركزي بين إخوانه ومسؤولا عن الشرطة والأمن، وعليه إخبارنا بكل حادث قد يهمنا، وبما أنه يتعين عليه من جهة أخرى السهر على تنفيذ قوانين وقرارات نظام الحماية فقد منحت له سلطات تأديبية واسعة جدا، إذ يمكنه أن ينطق تحت مراقبتنا بأحكام تصل إلى سنة سجنا وألف فرنك غرامة (ظهير 4 غشت 1918 والظهائر اللاحقة).

غير أن مؤسسة القائد لم يكن بإمكانها أن ترتاح لوجود لجْمَاعْتْ كما وجدناها قائمة لدى وصولنا إلى الجبل، وبما أن هذه الأخيرة هيئة تداولية تقريرية فإن الحفاظ عليها كان سيفضي إلى وضع/293/ ممثلنا تحت وصايتها وجعل تنفيذ إرادتنا رهينا بنتائج مداولاتها، فعوضناها بلجماعت جديدة يرأسها القائد في القبيلة والشيخ في الفخذة، ولا صلاحية لها إلا تقديم آراء أو توجيهات بصفة استشارية للسلطات المحلية بخصوص تدبير الممتلكات الجماعية للمجموعة (ظهير 21 نونبر 1916). أخيرا حصلنا على موافقة المخزن المركزي بأن «تظل القبائل الأمازيغية مسيَّرة بأعرافها الخاصة فيما يتعلق بالأمور العقارية والأحوال الشخصية» (ظهير 11 شتنبر 1914)، وتنفيذا لمقتضيات هذا الظهير خلقنا «لجْمَاعْتْ القضائية» الموجَّهة في البلاد الأمازيغية للقيام بالدور المنوط بالقاضي في بلاد الشرع.

يمكن القول إذن إنه باستثناء ما يتصل بهذه المواد الأساسية فإننا وضعنا الأمازيغي في قلب القانون العام، ثم أنه إذا اتفقنا مع المشرّع على أنه كان مستحيلا عدم منح القبائل الأمازيغية قيادا مستقلين متمتعين بالسلطة اللازمة، فإننا لم نكن لنتوقف أبدا عن مواجهة السلطات الزائدة الممنوحة لكل هؤلاء الموظفين الأهالي بمقتضى ظهير 4 غشت 1918. وإذا سلمنا بأن التزاماتنا الدولية فرضت علينا أن نعهد للسلطة المخزنية بقمع هذه الجرائم والجنح وألا نحتفظ إلا بالمراقبة، فإنه من غير المفهوم منح سلطات مماثلة لكل المؤتمنين على هذه السلطة في البوادي، في حين أننا لسنا بعْدُ في مستوى إقامة المراقبة المنتظرة والضرورية إلى جانبهم، وأن إدراريينا بالجماعات المختلطة للجزائر المؤهلين لإدارة القضاء قد انتزع منهم حتى حق/294/ معاقبة جُناتِهم بثلاثة أيام سجنا وخمسة عشر فرنكا غرامة. ربما كان بالوُسع أن نكون أكثر إلهاما بجعل اختصاص قياد «البلد» الأميين مقتصرا على بعض الأمور البسيطة وتقليص سلطاتهم القمعية إلى بضعة ايام من السجن، وجعل الأمور الأكثر أهمية والسلطات الواسعة التي جاء بها الظهير المشار إليه من اختصاص محاكم أكثر أهلية يكون مقرها بمراكز الدوائر الكبيرة، ومزوَّدة حقا بمندوبين للحكومة مؤهلين للمهمة المنوطة بهم.

سيعترض البعض دون شك بأن قايد البلد في حاجة إلى السلطات المخولة له لفرض

سلطته، لكنه يكفي الإطلاع على الأمور عن قرب والقيام بجرد حصيلة التجربة الجارية لإقناعنا بأن قضيتنا ليس لديها ما تكسب من كون هذه السلطة كبيرة جدا.
قد نرى بدون شك بعض المعمّرين يطالبون بسلطات كبيرة لزعمائنا الأهالي، غير أن العيش قريبا جدا من هؤلاء الرواد الشجعان يجعلنا نعرف أن الرغبة الحقيقية للعدد الأكبر منهم تكمن أساسا في الحصول على عدالة سريعة ضد اللصوص والزعران الذين تتطلب أعمالهم قمعا فوريا.
أما إمكانيات الإستئناف التي منحها ظهير 4 غشت 1918 للمتقاضين ولسلطة المراقبة في بعض الحالات، فنعلم أن بُعْد الرباط وبطء الإجراءات يجعلها صورية، ولعل أبلغ دليل على ذلك العدد القليل جدا لطلبات الإستئناف التي وصلت إلى المحكمة الشريفية العليا منذ تأسيسها.
ومهما يكُن فإننا جعلنا من القايْد الجبَلي الفظّ ليس شخصية/295/سياسية معتبرة فحسب، بل قاضيا ذا سلطات واسعة بشكل خطير، وهذا القاضي الذي تفرض الأمم الأكثر تأخرا في أوربا أن يكون مُلِمًّا بمعارف متعددة ويُطلب منه إخفاء حتى آرائه السياسية حين يسمح لنفسه بأن تكون لديه مثل هذه الآراء، يمكن أن يكون في هذه البلاد- وهو حال تسعة قياد من عشرة- أكثر الرجال جهلا وماكرا متحمِّساً.
زيادة على ذلك فإن هذا الموظف-القاضي ذي الدور الذي يقتضي كل النزاهة لا يحصل على أجر كافٍ، بينما تفرض عليه وظيفته التوفر على خدمٍ ومصاريف لا يستثنى منها شيء حتى السيارة الحديثة الفاخرة.
كما أننا متيقنون من عدم إثارة استغراب أحد إن قلنا بأننا لم نوفر بعد لمحميينا إلا أمنا نسبيا، فلا شيء من شؤونهم يفلت كليا من التعسف، حتى تلك الأحكام التي كُلِّفت مكاتبنا المدنية والعسكرية بمهمة مراقبتها، بل إن المهمة الضخمة التي أنيطت بها والتي تتنامى كل يوم تحول دون مواصلتها على الوجه المطلوب.
أما بخصوص لجِمَاعَات القضائية التي تمثل التجديد الحقيقي الوحيد المتفق عليه لصالح البلاد الأمازيغية، فيستجيب تأسيسها بالتأكيد لحاجة فعلية وسيكون المعنيون في غاية الإمتنان بمنحهم إياها. إلا أن التدابير الموصوفة في هذا الميدان إدارية حصرا، أي أن لجماعت القضائية ليس لها في الواقع أي وجود قانوني وبالتالي فقراراتها وأفعالها ليس لها بعد تلك القيمة التي تود الأطراف أن تكون لها، وإذا رغب أحد المتقاضين الغاضبين استئنافها لدى محكمة أخرى، فإن الأحكام الصادرة لن تعتبر إلا وسائل إثبات عادية/296/ لن تفضي بالضرورة إلى يقين واقتناع القضاة الجدد، علاوة على أن اللجوء إلى لجماعت اختياري رغم تعليمات القيادة القاضية بعدم اقتصار سلطات المراقبة على عرض حسنات التنظيم الجديد أمام الساكنة، بل ضرورة السعي لإدخاله تدريجيا في تقاليدها والسهر على ألا تبقى مجرد حبر على ورق.
يبدو لنا أنه من غير المفيد التوسع طويلا في سلبيات وضعية مماثلة تترك ثلاثة أرباع

ساكنة المغرب في حيرة باعثة على الأسى، وكفيلة بأن تؤدي إلى نتائج جد مؤسفة في المجال العقاري بالخصوص. وتكتسي هذه الوضعية خطورة أكثر حين نجد أنه من أجل إدماج لجماعت القضائية في التقاليد طبقا لتعليمات السلطة العليا، تجنب المراقبون عموما الإلحاح على الطابع العشوائي للمؤسسة، وبسبب ذلك لا يوجد أمازيغي واحد غير مقتنع بالصلاحية التامة للرسوم المسلمة من طرف لجماعت، فتحدث نزاعات يجب توقع الكثير منها مع تقدم عمليات التهدئة وتوسع الإستعمار الرسمي والخاص خصوصا بجوار السهل. إن أمازيغنا يواجهون مخاطر الوقوع والخسارة في كل قضية رغم «أوراقهم»، ماذا سيكون موقفنا حينئذ إذا آخَذَنَا محميونا بأننا خدعناهم؟

إن ذلك يعني أنه لا ينبغي مزيد من التأخير في الإعترف الرسمي بهذه المحاكم وبتنظيمها المادي -كتابات الضبط أو الإلحاق اللامشروط للقضايا التي تنظر فيها إما بالشرع الإسلامي أو بالمحاكم الفرنسية.

لا يمكن التوقع المسبق لتنظيم القيادة /297/ في البلاد التي ستتم تهدئتها، ومن ثم ينبغي أن يكون موقفنا من أهالي المكان متوقفا على الطريقة التي سيتعاملون بها معنا قبل وأثناء العمليات، لكنه يبدو مرغوبا إبعاد أي أمل في أبناء سيدي علي آمهاوش منذ الآن، لأن هذه الأسرة الدينية بالأساس لن تنضم أبدا إلينا بصدق، وفي الحالة غير المحتملة جدا التي تساعدنا فيها في مهمة التهدئة، سيكون من السهل مكافأتها على ذلك دون أن نعهد لها بآيت سخمان الذين لا يرغبونها على كل حال. طبعا يجب أن يسري نفس الشيء على أولاد سيدي الطيبي الذين يسعون إلى عرقلة وإرهاق الساحة السياسية أكثر فأكثر.

فيما يتعلق بالإستعمار تمنح المنطقة المدروسة إمكانيات جد قيّمة، غير أنه عند وضع البرامج يجب الأخذ بعين الإعتبار القطعان الكبيرة الموجودة وحاجياتها الضخمة لأراضي الرعي، ففي هذا المجال يتعين البحث عن تطور سريع للعقليات بلفت انتباه زايان وأهل الدير إلى وجود أشكال أخرى للثروة غير امتلاك أعداد لا حصر لها من البقر والغنم.

من جهة أخرى فإن إمحزان هم من حاز أحسن الأراضي سواء في آزاغار أو في الجبل وبالتالي سيكونون أول المتأثرين، لكننا نعرف أن هذه الشخصيات إذا تم تحسيسها بكياسة وحذر، ستوافق على كل التنازلات المرجوة دون الإضطرار إلى اللجوء للتهديد أو لمسطرة نزع الملكية العنيفة التي ليست من شيمنا.

لن نختم هذا العمل دون الحديث /298/ عن تعليم الفرنسية لدى آيت أومالو والذي يُقدَّم بالفعل في عدة مدارس خصوصا في خنيفرة ولقباب. كانت البدايات بالطبع شاقة وتطلب الأمر أولا ملء مؤسساتنا بواسطة أبناء التجار الأجانب المنحدرين من المناطق الخلفية، والمؤهلين أكثر من أمازيغنا لأن يعهدوا بأبنائهم لمعلم المدرسة، لكن الوضعية تغيرت حاليا ويبدو أنها تتحسن كل يوم بفضل الدعاية النشيطة لضباطنا ومهارة معلمينا خصوصا.

علينا إذن أن نثابر رغم كل المقاومات والأحكام المسبقة بالإقتناع بأن اعتراف الأمازيغ بالجميل سيعقُب سريعا حذرهم المفهوم حاليا. وعلى كل حال فإنه عن طريق المدرسة

ونشر اللغة والتفكير الفرنسيين ستنجح فرنسا في أن تكون محبوبة دون خلفية في هذه البلاد المؤهلة جدا لفهمها.

وكما يقول عن حق پول مارتي Paul Marty، ذلك الوطني المستنير والصديق الممتاز للأمازيغ في كتابه «مغرب الغد»: « لقد انتهى الغزو العسكري، ولكن هل يمكن الإغترار بضمان التهدئة؟ هل يمكن التسليم بشكل معقول بإننا أخضعنا كليا هذه القبائل المحاربة والشرسة التي لم يتمكن أحد أبدا لا عبقرية روما ولا القوة التوسعية المدهشة للإسلام من اختراقها وإخضاعها، وبأنه لا يخشى أي رد فعل من جهتها؟ لا، فمثال إخوانهم الأمازيغ في القبايل سنة 1871 والأمثلة حديثة العهد للأوراس وبلزما سنة 1916 تُثبت لنا أن الغزو المعنوي يتطلب قرونا من الجهود وعدة أجيال. فإلى العمل إذن في بلاد الأمازيغ المغربية ولنفتح المدارس».

299/ لنشر أخيرا إلى الموارد الضخمة لبلاد آيت أومالو من حيث الرجال سالمي البنية والأقوياء، نحن مقتنعون بأننا سنجند منهم قريبا أجمل وحدات جيوشنا المغربية ويدا عاملة قوية.



توزيع الجوائز على تلاميذ المدرسة الفرنسية الأمازيغية بلقباب (1923)
عوضت الكتب بجديان وخرفان صغيرة
وسط المجموعة وراء التلاميذ السيد آيت الحسين، معلم قبايلي.

لقد أنهينا هذا العرض، فمعذرة على التوسع المفرط وليُحتفَظ منه فقط بالهدف

المحمود وبالنزاهة، والمرجو ألا تنسب له غايات أو مآرب خفية بالخصوص. إننا لا نسعى إلا للإسهام بوسائلنا المتواضعة وبقلب خالص في العمل الرائع الذي تقوم به فرنسا في أفريقيا الشمالية، إنه في نظرنا الطريقة المثلى/300/ لتسديد جزء من دين اعترافنا بالجميل تجاه وطننا الجديد.

وباعتبارنا شاهدا يقظا على كل الأحداث التي جرت بالمغرب منذ تأسيسه، فإننا لا نجهل شيئا من جهود رؤسائنا الرامية إلى منح إخواننا المغاربة كل ما يمكن أن يجلبه النظام والتقدم من أمن ورخاء، ثم إنه من تزنيت إلى وجدة أو من الدار البيضاء إلى بودنيب ليس هناك ركن أرض لا يلهج بمجد وعبقرية أبنائها، وإننا ننحني باحترام وإجلال أمام كل الفرنسيين الطيبين، كبارا وصغارا مدنيين وعسكريين، الذين أكبوا على المهمة المشتركة وجعلوها تتقدم كل يوم في كل المجالات وفي الجبال الأكثر عزلة. لكن هذه المهمة ضخمة ولا تزال تتطلب جهودا كثيرة، فبعد تهدئةٍ ذات هَمٍّ إنساني وتنظيم البلاد المجهزة أخيرا بالدواليب اللازمة، يتعين علينا معرفة الساكنة وغزو أرواحها لنتمكن من معاملتها تبعا لميزاتها الخاصة ومنحها الفائدة الأكبر التي تنتظرها منا: العدالة.

إن هذا العمل يستجيب فقط لهذا الهدف لا أكثر فيما يتصل ببلاد آيت أومالو.

صفرو في 1 يناير 1929
القبطان سعيد كنون
من الشؤون الأهلية للمغرب



ملحق رقم 1

جدول قيادة زايان المدعوين زايان موحى أوحمو

العامل: حسن ولد موحى أوحمو

الخليفة: أمهروق ولد موحى أوحمو

الفخذات والعشائر		عدد الخيام		
		الخاضعة	المتمردة	المجموع
أيت حركات	أيت سعيد أويشو: أيت لحسن أوسعيد	672	23	650
	أيت شارط	312	2	314
	أيت مَايْ	700	0	700
	أيت حدو أوحمو	215	0	215
	أيت بوحمّاد	365	0	365
	إيحبّارْن	380	0	380
أيت كْرَاضْ	أيت عمو أوعيسى	526	0	526
	أيت بومْزِيل	467	0	467
	أيت بومْزّوغ	455	25	480
	أيت حدو...........	430	20	450
بوحسوسن		1510	0	1510
أيت لحسن		330	0	330
أولاد سيدي بوعباد		256	0	256
مختلف الشرفاء		210	0	210
المجاميع		6783	70	6853

ملاحظات: من بين كل القبائل، وحدهم آيت عمو أوعيسى وآيت شارط يتوفرون على قايد معين رسميا: بنعقا ولد الحاج حدو، أما القبائل الأخرى فلها قياد مؤقتون.
بما أن القبائل خاضعة، رأينا أنه من غير المفيد إعطاء تقسيمات مفصلة.

* * *

/303

ملحق رقم 2

جدول قيادة قبائل الدير

القبائل والعشائر		عدد الخيام		
		الخاضعة	المتمردة	المجموع
إيشقيرن	إيمزيناتن	800	350	1150
	آيت يعقوب أوعيسى	450	463	913
	آيت حماد أوعيسى	250	535	785
	شرفاء تاسكرت	150	0	150
آيت إيحاند		756	318	1074
آيت إسحاق		775	250	1025
المجاميع		3181	1916	5097

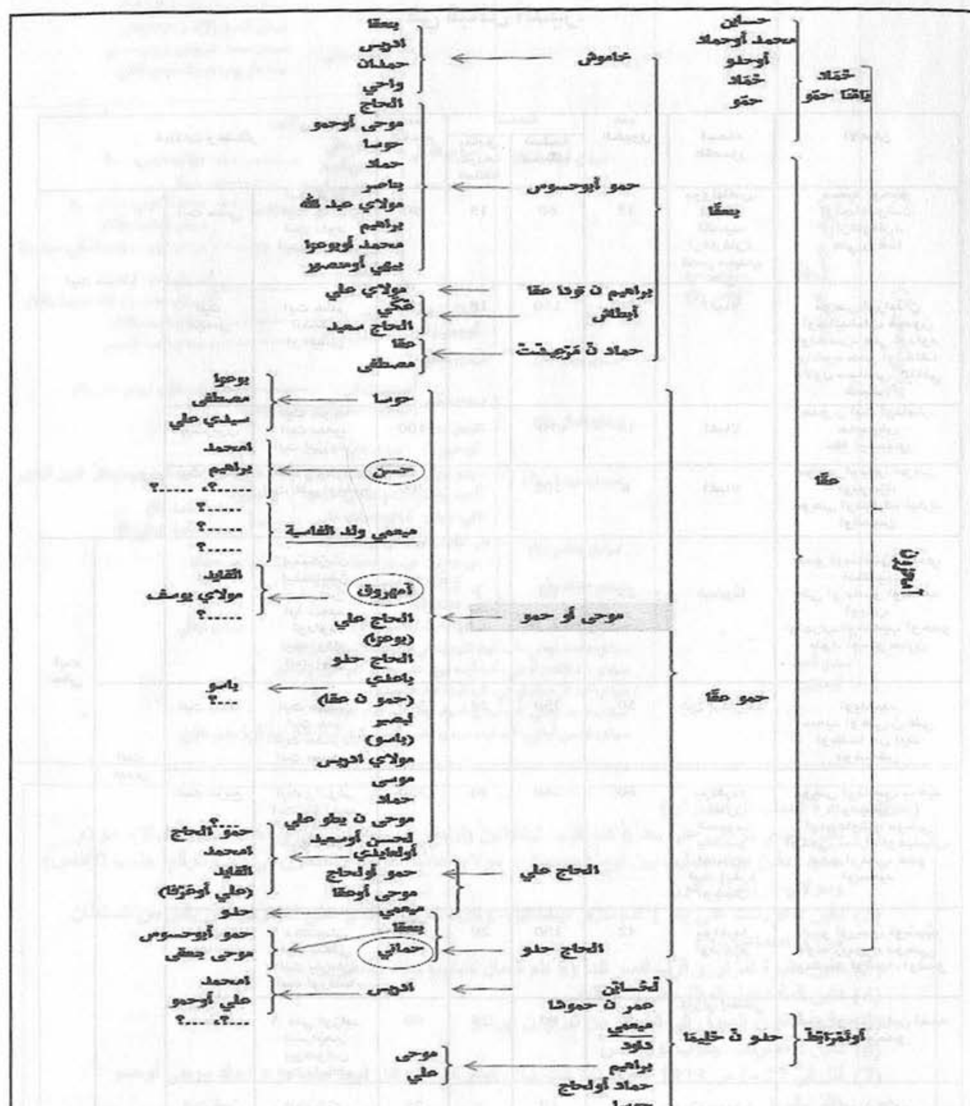
ملاحظات: لم يعين أحد من الزعماء الأهالي بشكل نهائي، إذ يقود الفخذات شيوخ مؤقتون. وحدهم آيت يعقوب أوعيسى يتوفرون على موظف قائد.

توجد العديد من الخيام الخاضعة بتادلا و أبي الجعد حيث تستقر لدى دخولها. وبما أن أغلبية هذه القبائل خاضعة، فقد اعتقدنا أنه لا جدوى من إعطاء تقسيماتها المفصلة.

* * *

ملحق رقم 3

شجرة أنساب موجزة لإيمحزان



ملاحظات:

الأسماء التي داخل دائرة هي لإيمحزان يتقلدون مناصب رسمية.

الأسماء التي تحتها خط أسود هي لإيمحزان متمردون.

الأسماء بين مزدوجتين هي لإيمحزان ماتوا في خدمتنا.

ملحق رقم 4 جدول قيادة آيت سخمان الشرق

ملاحظات: هذه القبيلة غير خاضعة بعد، لكن بعض المنعزلين متفرقين منذ سنوات في قبائل الدير.

فخذات وعشائر				عدد الخيام	أسلحة		عدد الخيول	أسماء القصور	الأعيان
					بنادق سريعة الطلقة	أسلحة مختلفة			
ايت خمّا		ايت خمّي	ايت كري، ايت حامد، ايت داود، ايت عدوش	90	15	60	15	بوواطاس، اغبالا، المسيد، ازغارفان/ قصر سيدي علي	سعيد إوحدو اونحاضوشت (ازغارفان)، علي نْ هدا
ايت خمّا		ايت عيسى	ايت جابر، ايتعلي اوعيسى	250	18	150	30	اغبالا	موحى اوزايد ن اوحايدشان، ميمون اولحسن، علي اوداود واخوه حدو اويخلف (الأول سياسي، الثاني ضيف)
ايت خمّا		إيخرِبِنْ	ايت خوجا، ايت سعيد، ايت إيززيكْنْ	100	7	70	16	اغبالا	حدو ن ايت اونامار، حايدوش، عقا اوسيدي
ايت خمّا		ايت إيشو	ايت زاوكري، ايت علي اويشو	200	8	100	8	اغبالا	موحى اويكو، موحى اوبوعزا، موحى اومبارك، نبارك اولحسن
ايت حقي		ايت اوپدِيرْ	إيمْنْكَرِيتْنْ، إيمْنْشيمْنْ، إيفْخَامْنْ، ايا سعيد اوداود، ايت زركان، ايت إيرو	100	3	80	25	تِيحُونَا	حدو اوبناصر، سيدي امْتْشِيمْ علي او باسو اوسعيد اويكن، اولهري، اوشعيب اوحمو بلوا، اوسو حازن
ايت حقي	ايت عبدي	ايت بندك	ايت مونس، ايت عمر، ايت عضوف، ايت حساين	300	24	250	50	تِينْ إيكارِيفْ	اوبلعيد، سعيد اوعلي نْ علي اوطلحا من ايت بوضاض
ايت حقي	ايت عبدي	ايت الرّبَغ	ايت وادّوشْ، ايت خا احمد، ايت شَاش، ايت وافْز	350	30	240	60	بوتفردا: مخازن الحبوب بالقصر المشترك ايت إيغْرَمْ اوجْيَال	موحى اوناصر، سعيد اوميمون، اومرعاوش، موحى اوملكي، مبارك اوغينيش، حمو اوملكي، حدو اوسعيد
ايت حقي	ايت عبدي	ايت واغاض	مكشيدان، ايت بنعلي، ايت بازمان، ايت اوركشا	200	20	150	42	بوتفردا اوتْرُوزو	باسو اورحو، اوسُيبُو ولد زيدوح، موحى اوطلحا، اوغجا، اولحو
ايت حقي	ايت عبدي	ايت بولمان	ا. علي اوزايد، إيمْزَايغِنْ، إيزكلوادن، ايت باسكلد	90	25	60	40	تيزي إيسلي	حمو اوعلي وابن اخيه حدو وحمو
ايت حقي	ايت عبدي	ايت عِمَرْ اويْشو	ايت خرّي، إيسَازَازْ، ايت العكوم، ايت سعيد	25	؟	10	؟	تيحونا ن ايت إيشو	زايد ن كرّي
المجموع يضاف بالنسبة لايتد سعيد اوعلي				1705 100	150 50	1170 30	286 50		
المجموع العام				1805	200	1200	336		

ملحق رقم 4

شجرة أنساب أسرة إيمهيواش



(إحالات شجرة أنساب آل أمهاوش)

(1) دفين سيدي بوعلي على بعد 6 كلم غرب تينتغالين (إيشقيرن). النسب: مولاي احمد (دفين آغبالا)، مولاي سعيد (دفين تيط ميسليت بين أومزا وإيديكل)، مولاي حامد المزداد والمدفون في واد وانرگي جنوب الأطلس) ومولاي ادريس زرهون.

(2) دفين تاعريشت على بعد 1 كلم شرق تينتغالين، ولعل بناء قبر سيدي علي آمهاوش كان بأمر من السلطان مولاي اسماعيل.

(3) دفين مقبرة آمزاورو قرب قصر لندا (6 كلم شمال لقباب) ببلاد إيشقيرن.

(4) دفين قمة الجبل المطل على بلدة لقباب.

(5) دفين آلمو ن السوق إلى الشرق من تيزي ن إيرشو

(6) دفين تاعدلونت جنوب بوواطاس

(7) قتل في 27 مارس 1923 جنوب تاگزالت خلال المعركة التي قتل فيها أيضا بوعزا ولد موحى أوحمو (الزاياني)

(8) يعيش لدى إيشقيرن. (9) يعيش في سيدي بويعقوب بالصحراء. (10) يعيش لدى آيت ويرا.

(11) يعيش في منطقة سيدي يحيى أويوسف-تاعدلونت. (12) ذريته منتشرة ناحية آزرو بني مكيلد

(13) يقيم في تاعدادات بتودغا. (14) يقيم في خَنّي لدى آيت إسحاق. (15) قتل سنة 1924 خلال الصراع الأسري.

(16) كان على صلة بمكتب آلمسيد عبر الرقاص سنة 1923، قتل سنة 1924 على يد مولاي أحمد خلال صراع أسري.

(17) زعيم الأسرة حاليا. (18) قتل سنة 1925 على يد أنصار الراحل سيدي محمد ولد لالة خديجة

محلق رقم 6

جدول قيادة آيت يحيى

ملاحظات: هذه القبيلة غير خاضعة بعد، لكن إيمتشمين قد ضموا إلى مكتب ميدلت منذ وقت بعيد، وهناك منعزلون متفرقون في القبائل المجاورة.

آيت يحيى — آيت يوسف

فخذات		عشائر		عدد الخيام الخاضعة	عدد المسلحين		مجموع المحاربين	عدد وأسماء القصور
					مشاة	فرسان		
آيت يوسف	آيت علي أوبراهيم	آيت ملول	آيت بنسعيد آيت علي مجوض	60	40	40	80	1 قصر ايت ملول (تونفيت)
		إيشمحان	آيت حدو آيت اوسو آيت مسكور آيت باجّا آيت عيسى ايفقيرن إيت إيشو	120	80	50	130	1 قصر إيشمحان (تونفيت)
		آيت اوخليف	إيزمحان آيت عبد النور آيت أزيمار	40	50	10	60	1 قصر آيت اوخليف (تونفيت)
		آيت عبدي	آيت بنحماد حاخوشن	60	60	20	80	1 قصر بتونفيت 1 قصر بتيمزيزلت
	آيت لحساين		آيت خيدجا آيت براهيم أوحساين	60	32	28	60	1 قصر بامان واردوز
	آيت فضولي		آيت فضولي آيت يَاوْ إيشيشاوْنْ	50	280	20	300	1 قصر تامالوت بمعسكر 1 قصر آيت يادو ما وراء معسكر 1 قصر تيسراولين ما وراء معسكر وآيت فضولي
آيت سعيد أويوسف	إيمتشيمنْ		آيت لهري آيت براهيم او بشو آيت أوشين	40 15 8	61	4	65	7 قصور 4 قصور 1 قصر
	آيت حنيني		آيت بنغمز آيت حمي آيت عيسى إيشو آيت لحامي	80	50	30	80	بوتاجوين إيديكل
	آيت موسى أوعثمان		آيت حطاب إيغذلانْ آيت علا آيت سعيد أوحوسى آيت مرزوق	7 8 8	280	20	300	8 قصور قرب مْطاف 1 قصر بتاكوديت، كوديم تاكوديت، بوتسرفين إيزدوفا 1 قصر قرب آيت حطاب
	آيت سليمان		أي تحدو أوعلي إيزيواد آيت تازبانْ آيت علي اوحساين		160		160	تيغرمين، تاعرارت (آيت عياش) لوكاكا حارارت (آيت حديدو)
	آيت بوعربي		آيت عبد لفاضل		60		60	2 قصور
المجاميع				556	1153	222	1375	

ملحق رقم 7

جدول قيادة آيت حديدو

ملاحظات: هذه القبيلة غير خاضعة بعدُ، لكن بعض المنعزلين يوجدون متفرقين منذ بضع سنوات في قبائل الدير

مجموعات			عدد المنازل	بنادق مختلفة	خيول	قصور أسيف ملول	قصور إيمدغاس	أسماء الأعيان
ايت تَلْتْ	ايت عمر أوحمي	إيحواش أيت داود أوعيسى ايت عُمَر أوعلي ايت شيشا ايت حدو أوعمر	منزل 520	600	5	امْلْكو 300 منزل اغْدو 40 مزل تيرْغِيس 150 منزل تيغدوين ن ايت شيشا 30 منزل		باسو أوحساين ن إلحويان
	ايت كيغوز	أيت عمر أوحدو ايت سعيد أوحدو ايت موسى أوحدو ايت إيكو أوحدو	680	1000	؟	امْرْفْرْكال 200 منزل اشاوْز 300 منزل افْرَاسْكو 50 منزل تاعزارت 30	إيغي 50 تازّارين 50	ا باواني، عباري
	ايت براهيم	ايت اوزدوز ايت علي اويكو ايت وازّرف	1170	1000	8	ايت وازرف 100 أوربديد 100 ابرنغو 70 تامستيرت 20 أوحدو أوعمر 50 (اكدود) أكدين 100 تيمْزكين 100 اغادي 200	ايت علي اويكو 70 أوتربات 200 أيت تادارت 60 تاوريرت ن أوساين 30 تابراحت 70	باكدال: أوعلي حدّاش؛ بتيمركين: أوحمايو؛ باكدين: باسو أوبناصر؛ بوازرف: موحى أو كورّا، حماد أوهنا؛ : موحى أولحو، موحى أوبنحمو
ايت عبد الرّازق	ايت أومناصف	خُوديغْن إيزناكن أيت أوعبي	790	400	3	علي أوداود 50 امردول أوراغ 100 إيميكْيل 60 أكداحي 100	يحيى أوصغير 200 تاغيت إيحومدكن 150 بوجام 100 إيزناكن 30	يدير أوبنيز ، مَمّيش نْ سُكو بويخلف
	ايت جازّا	إيبُوخْمَانْ ايت حمو أوعلي أيت عتّو أوغمر أيت لغازي	580	350	2	بوخمّان 100 –امردول أوراغ 40 إيميلكيل 40 بوتغبالوت 100 سونتاج 100 دَاوْ نْ تافات 50	ايت لغازي 30 ايت توشنت 20 بوخمان 100	ابناء زايد ن أيت عسو؛ أوسعيد ن أيت حمو أوعلي؛ ابناء حدو أوعلي؛ حدو أوباسو في سومتا
المجاميع			3740	3350	18			

سيرة ذاتية وعلمية

الإسم: محمد Mohammed

النسب: بوكبوط BOKBOT

المهنة: أستاذ باحث في كلية الآداب والعلوم الإنسانية -سايس- فاس، المغرب.

حاليا: عميد: كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، فاس، المغرب.

البريد الإلكتروني: mbokbot@hotmail.com

من مؤلفاته:

رحلة المكناسي، إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب، الحائزة على جائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي، نشر دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003.

سفارة ابن عثمان المكناسي ومشاهداته في أستانبول والشام والحجاز، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، فاس، 2004.

ترجمة كتاب القبطان جورج سبيلمان، آيت عطا الصحراء وتهدئة درعة الأعلى، لمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2004

مقاومة الهوامش الصحراوية للإستعمار الفرنسي، منشورات دار أبي رقراق ، الرباط، 2005

عدة مقالات وأبحاث، وعشرات المقالات في مجلات وطنية ودولية متخصصة

فهرس الموضوعات

* سلسلة كتاب الجيب:

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 1	عبد الله إبراهيم	ثورة العقل
العدد 2	عبد الإله بلقزيز	العنف والديمقراطية
العدد 3	محمد ضريف	الحركة الإسلامية: النشأة والتطور
العدد 4	محمد سبيلا	المغرب في مواجهة الحداثة
العدد 5	عبد الكريم برشيد	المؤذنون في مالطة
العدد 6	حسن أوريد	الإسلام و الغرب و العولمة
العدد 7	عبد الواحد الناصر	حرب كوسوفو: الوجه الآخر للعولمة
العدد 8	عبد السلام حيمر	مسارات التحول السوسيولوجي في المغرب
العدد 9	أحمد الريسوني	الفكر المقاصدي: قواعده وفوائده
العدد 10	ادريس كثير- عز الدين الخطابي	أسئلة الفلسفة المغربية
العدد 11	إدريس الخرشاف	المعرفة الإسلامية والعولمة، آي آفاق؟
العدد 12	سعيد يقطين	الأدب و المؤسسة
العدد 13	طه عبد الرحمن	حوارات من أجل المستقبل
العدد 14	محمد شقرون	الكتابة و السلطة و الحداثة
العدد 15	نور الدين أفاية	أسئلة النهضة في المغرب
العدد 16	محمد أسليم	الإسلام و السحر
العدد 17	عبد الإله بلقزيز	«حزب الله » اللبناني
العدد 18	المهدي المنجرة	عولمة العولمة
العدد 19	أحمد هوزلي	المغرب : البترول و التنمية
العدد 20	الميلودي شغموم	المعاصرة و المواطنة
العدد 21	محمد يتيم	الحركة الإسلامية بين الثقافي و السياسي
العدد 22	سعيد بنسعيد العلوي	الإسلام و أسئلة الحاضر
العدد 23	يحيى اليحياوي	العولمة و مجتمع الإعلام
العدد 24	زهور كرام	في ضيافة الرقابة
العدد 25	مالكة العاصمي	نحن وأسئلة المستقبل
العدد 26	عبد الهادي بوطالب	العالم ليس سلعة

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 27	مصطفى المسناوي	أبحاث في السينما المغربية
العدد 28	عبد الواحد أكمير	الهجرة إلى الموت
العدد 29	سعيد بنكراد	السميائيات السردية
العدد 28	أحمد بوعود	الظاهرة القرآنية عند محمد أركون
العدد 29	المقرئ الإدريسي أبو زيد	الغلو في الدين...المظاهر و الأسباب
العدد 30	مجموعة من الكتاب	الديانات السماوية وموقفها من العنف
العدد 31	عبد الله الشارف	تجربتي الصوفية (مساهمة في فهم الكيان الصوفي)
العدد 32	عبد النبي الرجواني	الأنترنيت والديمقراطية (إنعاش وتجديد أم تقويض وتأزيم؟)
العدد 33	مصطفى محسن	رهانات تنموية (رؤى سوسيوتربوية وثقافية نقدية)
العدد 34	عبد السلام حيمر	مسارات التحول السوسيولوجي في المغرب
العدد 35	محمد الشيكر	في الفلسفة الألمانية: هايدغر ضد نتشه
العدد 36	عبد الواحد الناصر	تقنيات البحث (من التأسيس والتركيب إلى النقد والتأصيل)
العدد 37	سعيد يقطين	المغرب.. مستقبل بلا سياسة؟ (.. في الثقافة والسياسة والمجتمع)
العدد 38	د. محمد اندلسي	نيتشة و معضلة التربية
العدد 39	أحمد بوعود	الإنسان في القرآن
العدد 40	د. عبد الله الشارف	مناظرة صوفية معاصرة
العدد 41	أحمد شحلان	التوراة و الشرعية الفلسطينية
العدد 42	كنزة الغالي	نساؤنا المهاجرات في إسبانيا
العدد 43	حنان السقاط	بين الاستشهاد و الإرهاب
العدد 44	هشام العلوي	الجسد بين الشرق و الغرب (نماذج و تصوات)
العدد 45	بشير قمري	دراسات في السينما
العدد 46	عبد النبي رجواني	التعليم في عصر المعلومات (تجديد تربوي أم وهم تكنولوجي)
العدد 47	عبد القادر العلمي	في الثقافة السياسية الجديدة
العدد 48	إدريس كثير / عز الدين الخطابي	في الحاجة إلى إبداع فلسفي

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 49	الحبيب الجنحاني	المجتمع المدني و التحول الديمقراطي في الوطن العربي
العدد 50	القاضي عياض	في محبة المصطفى (ص)
العدد 51	سعيد بنسعيد العلوي	شروط المصالحة مع السياسة في المغرب
العدد 52	محمد سليم العوّا	العلاقة بين السنة والشيعة
العدد 53	إدريس مقبول	المخفي والمعلن في الخطاب الأمريكي
العدد 54	التهامي الحراق	موسيقى المواجيد (مقاربات في فن السماع الصوفي المغربي)
العدد 55	ابراهيم أبراش	الثورات العربية.. في عالم متغير (دراسة تحليلية)
العدد 56	سعيد بنكراد	الدستور المغربي الجديد

* كتاب الجيب بالفرنسية:

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 1	Abdelkader Fassi Fehri	Langue et Ecologie

* سلسلة قضايا تاريخية:

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 1	محمود إسماعيل	الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي
العدد 2	إبراهيم القادري بوتشيش	مستقبل الكتابة التاريخية في عصر العولمة والإنترنيت
العدد 3	عبد الإله بنمليح	ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي
العدد 4	الحسين بولقطيب	جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين
العدد 5	محمد تضغوت	البنية الثقافية وقضايا الفكر في المجال العربي الإسلامي
العدد 6	بوبة مجاني	المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب
العدد 7	محمد استيتو	الفقراء في المغرب (نماذج من القرنين 16 و 17 م)
العدد 8	مصطفى نشاط	جوانب من تاريخ المشروبات المسكرة بالمغرب الوسيط
العدد 9	حماه الله ولد السالم	تاريخ موريتانيا
العدد 10	أحمد المكاوي	الدور الاختراقي و الاستعماري للطبابة في المغرب

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 11	فاطمة بلهواري	التكامل الاقتصادي والمبادلات التجارية بين المدن المغاربية خلال العصر الوسيط
العدد 12	سعيد بنحمادة	النظام التعليمي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط
العدد 13	عبد الحق المريني	محطات في تاريخ المغرب المعاصر (1894-1956)

* سلسلة روايات الزمن:

العدد	المؤلف	العنوان
الرواية 1	الطاهر وطار	الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي
الرواية 2	محمد عز الدين التازي	ضحكة زرقاء
الرواية 3	يوسف القعيد	قطار الصعيد
الرواية 4	محمد الهرادي	ديك الشمال
الرواية 5	للروائي العالمي إرنست همنغواي ترجمة: د. علي القاسمي	الوليمة المتنقلة
الرواية 6	عبد الرحمن مجيد الربيعي	الوشم
الرواية 7	حسونة المصباحي	الآخرون
الرواية 8	هدى بركات	حارث المياه
الرواية 9	محمد أنقار	المصري
الرواية 10	نبيل سليمان	سمر الليالي
الرواية 11	الطاهر وطار	الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء
الرواية 12	مجيد طوبيا	الهؤلاء
الرواية 13	شاكر نوري	نافذة العنكبوت
الرواية 14	عبد الرحمان مجيد الربيعي	الوكر
الرواية 15	ياسين رفاعية	أسرار النرجس

العدد	المؤلف	العنوان
عدد استثنائي	هنريك ابسن	بيت الدمية
عدد استثنائي	عفيفة كرم	بديعة وفؤاد
الرواية 18	للروائي العالمي إرنست همنغواي ترجمة: د. علي القاسمي	الشيخ والبحر
الرواية 19	عبد الرحمان مجيد الربيعي	الأنهار
الرواية 20	ألن لايتمن. ترجمة: علي القاسمي	أحلام أنشتاين
الرواية 21	لودفيغ هولبرغ. ترجمة: علي القاسمي	الفلاح البائس (ليس للضحك فقط..!)

* سلسلة ضفاف:

العدد	المؤلف	العنوان
الرواية 1	تأليف: كاترين كليمان ترجمة: محمد سبيلا وحسن أحجيج	التحليل النفسي
الرواية 2	تأليف: رولان بارت ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي	التحليل النصي
الرواية 3	تأليف: د. ميخائيل فوسلينسكي ترجمة: د. سناء المصطفى الموصلي	سقوط الإمبراطورية الحمراء
الرواية 4	تأليف: جيلبير كرانفال ترجمة: محمد بن الشيخ	أسرار مهمتي بالمغرب
الرواية 5	تأليف: ماريا ريكله/ فارغاس يوصا ترجمة وتقديم: أحمد المديني	رسائل إلى شاعر ناشئ روائي ناشئ
الرواية 6	تأليف: نيكولاس باباندريو ترجمة: مروان عكاوي	سياسة ورقص
الرواية 7	تأليف: أمبروسيو هويثي ميراندا ترجمة: عبد الواحد أكمير	التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية
الرواية 8	تأليف: بول لوران أسون ترجمة وتقديم: محمد سبيلا	التحليل النفسي (أسسه الفلسفية ومكتشفاته الكبرى)
الرواية 9	تأليف: ميغيل هيرناندو دي لارامندي ترجمة: عبد العالي بروكي	السياسة الخارجية للمغرب

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 10	تأليف: مارية روسادي ماداriاغا ترجمة: كنزة الغالي	مغاربة في خدمة فرانكو
العدد 11	تأليف: خيما مارتين مونيوث ترجمة: كنزة الغالي	الإسلام والمسلمون في إسبانيا (من خلال دراسات ميدانية)
العدد 12	تأليف: خوان باندو ترجمة: سناء الشعيري	التاريخ السري لحرب الريف (المغرب.. الحلم المزعج)
العدد 13	تأليف: خوان غويتيصولو ترجمة: عبد العالي بروكي	إسبانيا في مواجهة التاريخ .. فك العُقَد
العدد 14	تأليف: بيرنابي لوبيس كارسيا ترجمة: بديعة الخرازي	الانتخابات المغربية منذ سنة 1960 إلى الآن...
العدد 15	تأليف: مجموعة من المؤلفين ترجمة: محمد سبيلا	إشكاليات الفكر المعاصر
العدد 16	تأليف: رامون لوريدو دياث ترجمة: - د. مولاي احمد الكمون - د. بديعة الخرازي	السياسة الخارجية للمغرب (في النصف الثاني من القرن الثامن عشر) الجزء الأول: الجزء الثاني:
العدد 17	تأليف: رامون لوريدو دياث ترجمة: - د. مولاي احمد الكمون - د. بديعة الخرازي	المغرب وأحلام الزعامة على الغرب الإسلامي

* سلسلة شرفات:

العدد	المؤلف	العنوان
الرواية 1	حسن المنيعي	أبحاث في المسرح المغربي
الرواية 2	عبد الإله بلقزيز	زمن الانتفاضة
الرواية 3	نور الدين أفاية	السلطة والفكر
الرواية 4	عبد الرحمان بن زيدان	التجريب في النقد والدراما

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 5	إبراهيم أبراش	الديمقراطية بين عالمية الفكرة وخصوصية التطبيق
العدد 6	عبد الهادي بوطالب	نصف قرن في السياسة
العدد 7	علي القاسمي	من روائع الأدب المغربي
العدد 8	علال الأزهر	الماركسيون في المغرب(الطبعة الثانية)
العدد 9	عبد الحفيظ حمان	المغرب والثورة الفرنسية
العدد 10	عبد الحفيظ العمري	الشطرنج هدية العرب إلى العالم
العدد 11	سعيد بنكراد	السميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها
العدد 12	مجموعة من الاختصاصيين	ثورة هادئة: من مدونة الأحوال الشخصية إلى مدونة الأسرة
العدد 13	محمد الشيخ	مسألة الحداثة في الفكر المغربي المعاصر
العدد 14	أحمد الخمليشي	وجهة نظر: ج 5 لماذا لا نربط بين التنظير والممارسة
العدد 15	عبد السلام حيمر	المغرب: الإسلام والحداثة
العدد 16	كمال عبد اللطيف	في مواجهة اليأس العربي
العدد 17	محمد الشيخ	ما معنى أن يكون المرء حداثيا
العدد 18	عبد الإله بلقزيز	الحرب الإسرائيلية على لبنان (شهادات من قلب الحصار)
العدد 19	جميل حمداوي	من قضايا التربية والتعليم 2006
العدد 20	عبد النبي رجواني	حول إصلاح التعليم
العدد 21	المصطفى وزاع	الكلام المكمول لسيدي امحمد البهلول (ديوان عزري العلوة)

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 22	محمد سليم العوّا	الفقه الإسلامي في طريق التجديد
العدد 23	جميل حمداوي	من مستجدات التربية الحديثة والمعاصرة
العدد 24	جميل حمداوي	من الإبداع الروائي إلى نقد النقد (من مقررات البكالوريا)
العدد 25	جميل حمداوي	المسرح الأمازيغي
العدد 26	مصطفى محسن	مدرسة المستقبل (رهان الإصلاح التربوي في عالم متغير)
العدد 27	مجموعة من المؤلفين	التصوف السني في تاريخ المغرب (نسق نموذجي للوسطية والاعتدال)
العدد 28	أحمد بوعود	الظاهرة القرآنية عند محمد أركون
العدد 29	المقرئ الإدريسي أبو زيد	الغلو في الدين...المظاهر و الأسباب
العدد 30	مجموعة من الكتاب	الديانات السماوية وموقفها من العنف
العدد 31	عبد الله الشارف	تجربتي الصوفية (مساهمة في فهم الكيان الصوفي)
العدد 32	عبد النبي الرجواني	الأنترنيت والديمقراطية (إنعاش وتجديد أم تقويض وتأزيم؟)
العدد 33	مصطفى محسن	رهانات تنموية (رؤى سوسيوتربوية وثقافية نقدية)
العدد 34	عبد السلام حيمر	مسارات التحول السوسيولوجي في المغرب
العدد 35	محمد الشيكر	في الفلسفة الألمانية: هايدغر ضد نتشه
العدد 36	عبد الواحد الناصر	تقنيات البحث (من التأسيس والتركيب إلى النقد والتأصيل)
العدد 37	سعيد يقطين	المغرب.. مستقبل بلا سياسة؟ (.. في الثقافة والسياسة والمجتمع)
العدد 38	د. محمد اندلسي	نيتشة و معضلة التربية
العدد 39	أحمد بوعود	الإنسان في القرآن
العدد 40	د. عبد الله الشارف	مناظرة صوفية معاصرة

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 41	جميل حمداوي	بلاغة الصورة السردية في القصة القصيرة
العدد 42	جميل حمداوي	بلاغة الصورة الروائية
العدد 43	عبد النبي ذاكر	الصورة، الآنا، الآخر
العدد 44	عبد النبي ذاكر	إسبانيا، والمغرب، نظرات متقاطعة
العدد 45	محمود عبد الغني	السند والشهادة، دراسة في السيرة الذاتية لإبن خلدون

* اعداد خاصة:

العدد	المؤلف	العنوان
عدد خاص	عبد العزيز هنا	الحرس بين الأمس واليوم
عدد خاص	نادي القصة القصيرة بالمغرب	منارات
عدد خاص	كورت درافرت وعادل قرشولي	قصائد .. قصائد (شاعران، لغتان، عالمان)
عدد خاص	حفيظة لحر	امرأة.. وبقايا رجل
عدد خاص	عبد الهادي بوطالب (فرنسية)	Un demi siècle dans les arcanes de la politique
عدد خاص	روجي جارودي (فرنسية)	Les mythes fondateurs de la politique israélienne
عدد خاص	روجي جارودي (عربية)	الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية
عدد خاص	عبد الواحد الناصر	العلاقات الدولية الراهنة
عدد خاص	عبد الواحد الناصر	الإرهاب وعدم المشروعية في العلاقات الدولية
عدد خاص	عبد الواحد الناصر	التطبيقات المغربية لقانون العلاقات الدولية

العدد	المؤلف	العنوان
عدد خاص	عبد الواحد الناصر	المتغيرات الدولية الكبرى
عدد خاص	عبد الواحد الناصر	النظام القانوني الدولي وإشكاليات ما بعد هجمات 11 سبتمبر 2001
عدد خاص	عبد الواحد الناصر	المشكلات السياسية الدولية
عدد خاص	عبد الواحد الناصر	الحياة القانونية الدولية: مدخل لفهم اتجاهات التطور
عدد خاص	المصطفى المريزق	في الطريق الى ربيع الديموقراطية
عدد خاص	عبد الواحد الناصر	العلاقات الدولية للمغرب

ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⴰⵖⵔⵉⴱ
ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵏⴰ



المملكة المغربية
وزارة الثقافة

«نشر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة»

سلسلة
18
ضفاف

القبطان سعيد كنون
الجبل الأمازيغي
آيت أومالو وبلاد زايّان:
«المجال والإنسان والتاريخ»

«... أدرك نظام الحماية منذ البداية أهمية «المسألة الأمازيغية»، فجند في سبيل مواجهتها ضباط الشؤون الأهلية بالأساس لجمع المعلومات عن الاتحاديات القبلية الأمازيغية وبنياتها السياسية وقدراتها القتالية ومجالاتها الجغرافية وأعرافها، وغير ذلك من المعطيات الكفيلة بتوفير أدوات اتخاذ القرار العسكري والسياسي.
وفي هذا الإطار، أولت مصلحة الشؤون الأهلية اهتماما خاصا لاتحادية أومالو منذ اقتراب الجيوش الفرنسية من جبال فزاز الشامخة والعصية على الإخضاع؛ هذه الاتحادية التي كانت لها صولات في تاريخ المغرب الحديث تركت صداها في مصنفات المؤرخين والإخباريين القدامى...»

«... كما نجد في ثنايا الكتاب معطيات قيمة عن عادات وتقاليد آيت أومالو في المأكل والملبس والمسكن، والضيافة وأعراف الثأر وغير ذلك من تفاصيل الحياة الاجتماعية، فضلا عن تناول التنظيمات الاجتماعية للاتحادية، مثل الأسرة والقبيلة وأحلاف تاضا وتافركانت، وغير ذلك من ركائز مجتمع أمازيغ آيت أومالو في أواخر تلك المرحلة البطولية للمجتمع المغربي التقليدي...»

«... وقد أفرد المؤلف أحد أهم أقسام الكتاب «لتهدئة» بلاد آيت أومالو، فتعرض لاحتلال خنيفرة و «لقضية لهري» التي قدم عنها رواية كشاهد عيان لأطوارها...»

«... إن مؤلف سعيد كنون من صنف الكتابات الفرنسية التي تكتسي أهمية تاريخية لا تنكر، لكونه تناول أوضاع اتحادية أمازيغية ضاربة في منطقة استراتيجية إبان إحكام السيطرة الفرنسية على «المغرب النافع» حسب تقسيم ليوطي الشهير، ويكشف عن كثير من التفاصيل التي قلما ينتبه إليها لدى التعرض لمقاومة القبائل لزحف جيوش الاحتلال. إجمالا، يمثل كتاب الجبل الأمازيغي مرجعا هاما يسلط الضوء على صفحات من التاريخ المعاصر لآيت أومالو عند احتكاكهم بجيوش الاحتلال...»

الدكتور محمد بوكبوط

60 درهما



منشورات الزمن
الغلاف من تركيب الزمن